

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: الآثار الصحراوية

المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزاب الشرقي (دراسة تاريخية و أثرية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير
في علم الآثار الصحراوية

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور
صالح بن قربة

إعداد الطالب:
كريم الطيب

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة بسكرة	أستاذ محاضر	أ.د/زمام نور الدين
مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر	أستاذ التعليم العالي	أ.د/صالح بن قربة
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر	أستاذ محاضر – أ-	د/عقاب محمد الطيب
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر	أستاذ محاضر-ب-	د/ عبد الشكور نبيلة

السنة الجامعية 2008م – 2009م
1429هـ/1430هـ

بسم اله الرحمان الرحيم

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون
من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله و

لاتعتوا في الأرض مفسدين)

صدق الله العظيم

الآية 74 من سورة الأعراف

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان

عاقبة المكذابين(137) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)

صدق الله العظيم

الآية 137-138 من سورة آل عمران

إهداء خاص

إلي زوجتي التي ساهمت بصبرها ولم تبخل عليا بدعمها لي طوال مشوار
البحث.

الإهداء

إلي روح أبي الطاهرة وأمي أطل الله عمرها وإلي إخوتي و إلي كل من
ساعدني في إنجاز وإتمام هذا البحث أهدي عملي المتواضع هذا.

كلمة شكر

يسعدني ويشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي المحترم الدكتور صالح بن قربة الذي فتح لي داره قبل قلبه و على ما قدمه لي من دعم معرفي ومعنوي خلال مشوار البحث، وعلى إشرافه الجاد على هذا البحث وعلى حسن توجيهاته لنا فله منا أسمى آيات الشكر والتقدير.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلي أعضاء اللجنة العلمية، التي قبلت مراجعة هذا البحث وتوجيهنا إلي ما يخدم البحث العلمي، وكذا الملاحظات والتوجيهات التي قد يقع فيها الباحث مستقبلاً، تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير.

المقدمة:

إن العمارة النابعة والمعبرة عن مسيرة حضارية متواصلة ومنتامية هي العمارة التي يمكن أو يلزم أن تتحول بدروسها وعبراتها، ويعرفها الدكتور عرفان سامي: هي الفن العلمي لإقامة أبنية تتوفر فيها عناصر المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد، وتقي حاجات الناس المادية والنفسية والروحية في حدود أوسع الإمكانيات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر ، الذي تكون فيه. وهي طريقة في العمل وبتفكير ومنطق سليم وتعتمد على علم صحيح وفن رفيع، ويقوم بها معماريون على صلة بالواقع وبالحياء وعلى وعي وإدراك بأحوال بيئتهم وظروف العمل في عصرهم فالبدوي القديم الذي بني بفطرته نجح في أن يجمع بين القدرة الإبداعية الذاتية والجماعية وبين القوي الكامنة للصحراء بقسوتها وتمكن من خلال هذا الجمع من تشكيل عمارة الصحراء التقليدية التي نراها في الزاب عموما والزاب الشرقي خصوصا وقد ولدت العمارة حول مراكز الحياة في الصحراء وهي الأودية والعيون والآبار المائية. وقد ارتبطت دراسة العمارة الإسلامية في عصرنا بعلم الآثار الإسلامية، الذي نشأ على يد المستشرقين وهواة الآثار الغربيين ومن ثم تأثر هذا العلم بمناهجهم وأسلوبهم في التفكير وانعكس ذلك على طريقة تناول العمار الإسلامية الباقية، بالوصف والتحليل.

إن ثلاثية المكان والزمان والإنسان هي الثلاثية الجوهرية في التنمية و الإعمار بالنسبة للصحراء، وهذه الأخيرة التي نتعرف عليها في الدراسة البحثية هي الصحراء الجزائرية وأكثر تحديدا الجنوب الشرقي منها.

المتفحص لتسلسل المدن التاريخية الجزائرية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها يلاحظ كثرتها وتنوعها من حيث الموقع والأهمية ورغم هذا فإن الدراسات العمرانية والأثرية اقتصرت على مدن دون الأخرى سواء عن قصد أو غير قصد ولأن حظيت المناطق الشمالية من الجزائر بالدراسة والوصف من قبل المؤرخين والرحالة والجغرافيين فقد بقيت منطقة الصحراء رغم شساعتها واحتوائها على مخزون أثري وثقافي كبيرين لم تحظ بشكل كبير من قبل الباحثين والمهتمين بالدراسة والاهتمام. وتعد المساجد من أهم هذه المعالم في المنطقة لما لها من أهمية دينية واجتماعية وعلمية وثقافية وقد أشار حسين مؤنس

إلي أن ذكر المسجد والمسجد الحرام ورد في القرآن الكريم - بلفظها- ثمانيا وعشرين مرة، ومن الآيات القرآنية التي تناولت ذلك قوله تعالى في الآية(16) من سورة الأعراف(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأدعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) يهدف البحث إلي دراسة بعض المعالم الأثرية الإسلامية في الزاب الشرقي دراسة أثرية تاريخية.وكنماذج ركزنا في هذه الدراسة على مسجد عقبة بن نافع الفهري في بلدية سيدي عقبة ومسجد سيدي المبارك ومنزل أسرة بن حسين أو ما يعرف بالسرايا في بلدية خنقة سيدي ناجي.

لقد أبدع المسلمون في تخطيط المدينة الإسلامية كما أبدعوا في دراسة الفراغ وطريقة ملئه بالحيز المعماري المتكامل الذي يفى بالأغراض المادية والجسدية للإنسان المسلم كما يفى بالأغراض المعنوية والروحانية، فالبنيان المتلاصق والمتواصل في المدينة الإسلامية يعبر عن تضامن الأمة الإسلامية ورفض التعالي والشموخ، عملا بالعقائد والأخلاق الإسلامية، وفكرة التواصل والتماس في المدينة الإسلامية الخاضعة لمبدأ التضامن والممثلة في السنة النبوية الشريفة تمثل الجسد الحي، بينما يمثل المسجد القلب النابض والممثلة لهذا الجسد فهو بيت الله.وتعمير المسجد من أفضل القربات إلي الله حيث يقول سبحانه وتعالى الآية18:سورة التوبة (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوات وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسي أولئك أن يكونوا من المهتدين) ويقول النبي صلي الله عليه وسلم((من بني لله مسجدا ولو كمحص قطة بني الله له بيتا في الجنة)). ويعد المسجد الحرام بمكة أول مسجد وضع على الأرض لقول الله عز وجل في محكم تنزيله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) الآية(96): سورة آل عمران

من هنا اكتسى المسجد أهمية دينية ودنيوية فهو يعبر أولا عن القيم الدينية المتصلة بصلاة الجماعة،كما يجتمع فيه البشر للصلاة والتشاور والدرس والتعليم أيضا، ومنه تنبثق المدرسة والسوق والتكية والخان والمستشفى وبيت الحكم والتربة وبيت المال وبذلك تلبي احتياجات الناس الروحية والجسدية من المهدي إلى اللحد من هنا جاء اهتمام المسلمين بهندسة المسجد وزخرفته وتقسيم الحيز فيه والحيز المنبثق منه،تقسима يفى بأغراضهم الروحية والجسدية.

وأول مسجد بني في الإسلام، مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وقد اتبع تصميمه في بناء معظم المساجد في العصور الإسلامية المبكرة، وهو عبارة عن صحن مكشوف، تحيطه الأروقة المسقوفة على الجهات الأربعة، وقد أصبح للمسجد وظيفة مهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع الإسلامي لا تقل عن وظيفته الدينية، فهو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون للبت في كل الأمور الهامة التي تخصهم، وأول عمل يقوم به الخليفة عندما يتولى زمام الحكم هو الذهاب إلى المسجد والخطبة فيه، حيث يدعى له من على المنبر فيثبت، ومن هنا علت منزلة المسجد عند المسلمين وحين كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته يضعون أساس المسجد النبوي كانوا في نفس الوقت يضعون فن العمارة والزخرفة الإسلامية.

ومن أشهر المساجد المعروفة في تاريخ الحضارة الإسلامية مسجد عمرو بن العاص بمصر والجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس وجامع عقبة بن نافع في القيروان وهو أول المساجد في إفريقية وجامع القرويين في المغرب الأقصى.

1- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع المختار للدراسة في النقاط التالية:

• تاريخيا و حضاريا:

شهدت منطقة بسكرة عامة، ومنطقة الزاب الشرقي خاصة تعاقب حضارات متعددة، منها تلك التي تعود للفترة الإسلامية المتمثلة في المواقع الأثرية المحددة في الدراسة حيث ساهمت حضاريا، و بشكل كبير في نمو المنطقة وما جاورها.

ثقافيا: ن الدور الذي لعبه مسجد سيدي عقبة، وكذا مسجد سيدي المبارك والسرايا بخنقة سيدي ناجي. فلقد ساهمت ثقافيا في المنطقة من الناحية العلمية والثقافية والدينية، وحتى الاجتماعية وقد تجاوز ذلك إلى المناطق المجاورة و حتى خارج الوطن.

• أثريا و معماريا:

لا شك أن المواقع المخصصة للدراسة السالفة الذكر لها أهمية أثرية، إذ تعد بحق شواهد أثرية هامة، بسبب مقاومتها الظروف الطبيعية القاسية التي تسود المنطقة، والتي تتميز بمناخها الصحراوي، وكذا الظرف التاريخية والتحويلات السياسية التي شهدتها المنطقة على مر الفترات التاريخية. كما أن الطابع العمراني و الزخرفي لهذه المواقع، مازالت تحافظ على شكلها رغم مرور زمن طويل على إنشائها.

2 - أسباب اختيار الموضوع:

يهدف البحث إلي دراسة المعالم الأثرية الإسلامية في الزاب الشرقي دراسة أثرية تاريخية ويمكن حصر أسباب اختيارنا لهذا الموضوع في مايلي :

1. أن مسجد عقبة بن نافع في سيدي عقبة، وكذا السرايا ومسجد سيدي المبارك في خنقة سيدي ناجي، نماذج عمرانية قاومت الظروف المحلية القاسية مع مر الزمن.

2. أن هذه المواقع الأثرية لم تحظى بدراسة معمقة تتماشى مع المقاييس المعاصرة.

3. الدراسات الأثرية وحتى التاريخية في الفترة الإسلامية حول المنطقة أو الجنوب الشرقي ككل، مازالت قليلة وتحتاج إلي الإثراء. كما أن المؤرخين والرحالة وغيرهم ممن كتبوا أو مروا بالمنطقة، تعد كتاباتهم سطحية ولا تكاد تذكر المنطقة إلا من الجانب الوصفي المبسط.

4. شهدت المنطقة استشهاد حوالي ثلاثمائة من الصحابة والتابعين، وبذلك فالمنطقة لا تقل أهمية دينية وتاريخية عن باقي مناطق العالم الإسلامي.

5. التحسيس بضرورة الاعتناء بهذا الصرح الأثري الكبير وإبراز القيمة التاريخية والأثرية والمعمارية للعمارة الإسلامية الصحراوية بالجزائر.

6. إبراز عمليات التشويه التي طالت هذه المعالم الأثرية بسبب عمليات الترميم العشوائية التي أجريت عليها، والتي غيرت الكثير من الملامح الزخرفية والمعمارية الأصلية.

7. سد النقص الذي تعاني منه الدراسات الأثرية الجزائرية بشكل خاص والمكتبة العربية بشكل عام في مجال العمارة الصحراوية. وعمارة منطقة الزاب هي واحدة من تلك الدراسات التي لم تحظ بقسط وافر من الدراسة والتحليل، على الرغم مما يميز عمارتها من عناصر معمارية وفنية فريدة من نوعها.

8. المساهمة في تنشيط السياحة الدينية بالمنطقة في إطار التعريف بهذه المعالم.

3 - الإشكالية:

تكمن إشكالية البحث، في الكشف عن العلاقة الموجودة بين مسجد عقبة ابن نافع والسرايا ومسجد سيدي المبارك، بالفن المعماري الإسلامي، وإبراز مدي التأثير الإسلامي والعثماني علي العمارة في منطقة الزاب الشرقي .

من خلال الدراسة والمقارنة والاستنتاج والتحليل والدراسة الميدانية العلمية للأثر نفسه من ناحية الشكل والموضوع. وجدنا أن هناك تأثيرا كبير إن لم يكن كلياً للفن المعماري الإسلامي عامة والفن المعماري العثماني خاصة علي العمارة في منطقة الزاب الشرقي . وتندرج تحت هذه الإشكالية الأساسية، إشكاليات فرعية لعلا أبرزها:

1. مدي تأثير الفاتحين العرب المسلمين على النمط العمراني في المنطقة ؟
- 2 . مدى الترابط والانسجام بين المنطقة و السلطة العثمانية ؟
- 3 . كيف صمدت هذه المواقع والمعالم الأثرية، الظروف الطبيعية المحلية القاسية دون غيرها ؟

- 4 . مدي تأثير عمليات الترميم التي تمت على هذه المعالم الأثرية هل أضافت لها ؟ أم أثرت عليها؟ كيف ؟ ولماذا ؟

4 - منهج الدراسة:

وقد عولج موضوع البحث من خلال محورين رئيسيين:
أولهما: خصص للدراسة النظرية التاريخية وتتضمن تاريخ الأثر، وتنطلق من الأثر نفسه كمصدر مادي في دراسة الخصائص المعمارية والفنية، واستنتاج الحقائق التاريخية. وقد أثبتنا فيه بالأدلة التاريخية، أن منطقة الزاب الشرقي قد شهدت مراحل تاريخية زاخرة

بالأحداث المهمة ساهمت في بلورت النشاط السياسي، خاصة منطقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، كما أن المنطقة تعد بحق منطقة مقدسة لما احتوته من شهداء الفتح على رأسهم عقبة بن نافع الفهري .

كما أبرزنا الإسهامات والتأثيرات التونسية وكذا العثمانية، على عمارة الزاب الشرقي سواء في مسجد عقبة بن نافع أو معالم خنقة سيدي ناجي.

ثانيا: خصص للدراسة الميدانية أو العلمية، ونعني بها الدراسة التحليلية الوصفية للأثر نفسه من ناحية الشكل والموضوع و دراسة المعالم الأثرية الإسلامية في الزاب الشرقي معماريا وأثريا، من خلال توضيح أنماطها ومميزاتها و عناصرها المعمارية والفنية الزخرفية.

بالإضافة إلي ذلك فقد اهتمنا بالناحية الوظيفية، التي تأخذ في الاعتبار وظائف المبني و العناصر المعمارية التي تكونها، و جميع أنواع العناصر المعمارية الأخرى.

ثالثا: ولتبسيط الدراسة، اعتمدنا علي التنوع في مناهج البحث خاصة وأن مجاله يعرف بحيويته وتداخله مع مختلف العلوم ألا وهو علم الآثار. وقد اعتمدنا على التنوع والمزج بين المنهج الإخباري لسرد حقائق وأحداث تاريخية، والمنهج الوصفي الأثري لوصف العناصر المعمارية و الزخرفية الموجودة في المعالم الأثرية المخصصة للدراسة. بالإضافة إلي منهج المقارنة لإبراز مدي التأثير والتأثر في الناحية المعمارية بين النماذج المدروسة وبعض النماذج من العمارة الإسلامية، بالإضافة إلي المنهج التحليلي الإخباري عن طريق تحليل المعطيات والنتائج المستخلصة.

5 - صعوبات البحث:

أثناء إنجازنا لهذا البحث صادفتنا العديد من الصعوبات:

على الصعيد النظري:

- أبرزها الحقبة التاريخية المخصصة لموضوع الدراسة، وهي الممتدة من الفتح الإسلامي إلي غاية العهد العثماني وهي فترة طويلة. أضف إلي ذلك ندرة المصادر التي تتكلم عن منطقة الزاب عموما والزاب الشرقي خصوصا في الفترة الإسلامية وان ذكرتها فإنها تذكرها بصفة مختصرة.

أما الجانب التطبيقي أو الميداني فنذكر منها:

● أن المعالم الأثرية المخصصة للدراسة تعرضت إلي العديد من التشوهات والتلف، سواء فيما يتعلق بمسجد عقبة بن نافع أو خنقة سيدي ناجي، وكذا عمليات الترميم العشوائية التي لم تحترم فيها المقاييس العلمية الأثرية جعلتها تفقد العديد من أشكالها الأصلية.

● الروايات الشفوية المتضاربة، والتي حاولنا التعامل معها بحذر شديد خاصة أثناء دراستنا لمعالم خنقة سيدي ناجي.

● شساعة المساحة المخصصة لموضوع البحث وهي الزاب الشرقي، والتي تبلغ حوالي ثلاثمائة كيلومتر مربع وتحديدًا جغرافيًا، أضف إلي ذلك كثرة المعالم في هذه المنطقة. كل هذا زاد من المصاعب التي أعاقتنا في إيفاء المعالم المدروسة حقها من الدراسة، حيث يحتاج كل معلم منها إلي دراسة على حدي.

● بعد المسافة بين المشرف والطالب، وما يتطلب ذلك من عناء التنقل والسفر للجزائر العاصمة. ضف إلي ضيق الوقت خاصة مع ظروف العمل الوظيفي و الارتباطات الأسرية والتي لم تسمح لنا العمل بحرية.

● قلة المصادر والمراجع التاريخية و الأثرية، الخاصة بموضوع الدراسة في مكنتات ولاية بسكرة، والتي تعد على الأصابع وحتى المتنفس الرئيس ألا و هو مكتبة البلدية بدار الثقافة أصابته أيادي الترميم.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر التاريخية والجغرافية وأخرى أثرية و معمارية تناولت المنطقة بالدراسة والوصف ولها علاقة بالبحث.

ففي الجانب التاريخي:

اعتمدت على العديد من المصادر أهمها ابن عبد الحكم وكتابه "فتوح إفريقية والأندلس" وكذا الواقدي "فتوح إفريقيا" بالإضافة إلي ابن عذارى المراكشي وكتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" و أبي الحسن البلاذري "فتوح البلدان" وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" وأيضا ابن

خلدون "المقدمة" و " تاريخ ابن خلدون " والذي يعد مصدرا مهما بالنسبة للمنطقة، فقد عاش فيها أي منطقة الزاب وألف جزءا من مقدمته فهو يعطينا صورة واضحة على الفترة الزيرية وكذا الهجرات الهلالية التي مرت بالمنطقة، وكذا توزيع القبائل العربية بالمنطقة. أما من الجغرافيين: البكري عبيد الله والذي يعد من الجغرافيين الذين أعطوا وصفا دقيقا للمنطقة رغم انه لم تتح له الفرصة لزيارتها بالإضافة إلي ابن سعيد المغربي "كتاب الجغرافيا".

أما كتب الرحالة: فقد اعتمدنا على الرحالة الورتلاني و العياشي اللذين مرا بالمنطقة وذكرها بإسهاب مقارنة ببقية المصادر، وقد أعطتنا صورة عن الحياة الثقافية وحتى الاجتماعية للمنطقة.

المصادر الأثرية:

فقد تناولت العديد من الدراسات المنطقة، أهمها الدراسات الفرنسية (G.Marçais) في كتابه (L'architecture musulmane d'occident) و (w. Marçais) و (Gustaf. Mercier) في المجلة الإفريقية و (H. Simon) في المجلة الثرية لقسنطينة هذه الدراسات التي اهتمت بمسجد عقبة بن نافع بشكل كبير.

والملاحظ أن بعض هذه الدراسات تناولت المنطقة في الفترة الاستعمارية، وهذا ما يجعلها لا تخلو من المغالطات التاريخية وعلى سبيل المثال وليام مارسلي الذي حاول إنكار وجود ضريح عقبة بن نافع في المنطقة المدفون بها. أما المصادر الجزائرية التي حاولت رفع الغبار عن معالم المنطقة، فنجدها لا تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة، منها رشيد بورويبة الذي أشار في دراساته الأثرية لجامع عقبة بن نافع ومحمد عقاب في دراسته لآباب طبنة التذكاري، أما الرسائل الجامعية التي اهتمت بالمنطقة أهمها أطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة في الآثار الإسلامية قدمها عبد العزيز شهيبي تحت عنوان "مساجد الزاب ووادي ريغ" وتعد بحق أولى المحاولات الجادة التي حاولت نفض الغبار عن المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة وادي ريغ و الزاب. أما خنقة سيدي ناجي فلم نجدها تذكر في هذه الدراسات.

• المراجع التاريخية:

فقد اعتمدنا فيما يخص الجزء الخاص بخنقة سيدي ناجي على دراسة منشورة للأستاذة كريمة بن حسين حول خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني في المجلة المغاربية، بالإضافة إلي كتاب (kitab Aàyane el maghariba) (أعيان المغاربة) من تأليف (Marthe.et Edmond Gouvion) والذي يؤرخ للأسر الكبيرة في الجزائر ، والتي كانت لها مكانة كبيرة ، الصادر 1920م ومقال لـ (Gustave.Mercier) في المجلة الأثرية لقسنطينة 1915 تحت عنوان:

" Khanguet sidi Nadji, quelques inscriptions arabes inédites".
والجدير بالذكر أن هذه المراجع اعتمدت على مصدر واحد للتأريخ للبلدة وأسرة سيدي المبارك، وهو الكناش العائلي وهو ملك لأسرة بن حسين ورغم محاولتنا الإطلاع عليه إلا أننا لم نتمكن من ذلك.
أما الخطة التي اتبعناها في تقسيم مادة البحث فتنقسم إلي مقدمة ومدخل تاريخي وثلاث فصول.

● مدخل تاريخي وجغرافي.

وهو فصل تمهيدي للبحث، يتضمن لمحة تاريخية عن الفتوحات الإسلامية للمنطقة، بالإضافة إلي لمحة جغرافية ومناخية عن منطقة الزاب وكذا إشكالية التسمية.

الفصل الأول: ضريح ومسجد عقبة بن نافع.

خصص هذا الفصل للتعريف بالبلدية ودراسة مسجد وضريح عقبة بن نافع الذي تحمل اسمه، دراسة تاريخية و دراسة أثرية، وإبراز العناصر المعمارية والعناصر الزخرفية الموجودة بهذا المعلم و المواد المستعملة في بنائه، وكذا التقنيات المستعملة وقد ختمنا هذا الفصل بمجموعة من الاستخلاصات توصلنا لها من خلال الوصف والتحليل.

الفصل الثاني: مسجد سيدي المبارك والمدرسة الناصرية.

وينقسم إلي:

أولاً: بدأنا هذا الفصل بمدخل مهم، خصصناه للجانب التاريخي الخاص بمنطقة خنقة سيدي ناجي، وكذا الخصائص الجغرافية والمناخية. حيث تطرقنا لظرفية تأسيس البلدة وإشكالية

التسمية، والدور الذي لعبته منذ تأسيسها والمكانة التي حظيت بها من لدن الحكام التونسيين، وكذا الحكام الجزائريين إبان الحكم العثماني .

ثانيا: ضمناه دراسة ميدانية وصفية لمسجد سيدي المبارك مؤسس البلدة، ويعد بحق تحفة معمارية إسلامية في المنطقة وكذا المدرسة الملحقة به. وتم التطرق في هذا الفصل لظرفية تأسيس المسجد و أهم العناصر المعمارية و الزخرفية الموجودة به، وكذا التطرق للمدرسة الناصرية والدور الذي لعبته في المنطقة علميا وثقافيا. ويتميز مسجد سيدي المبارك بوجود العديد من الأضرحة الخاصة بشيوخ خنقة سيدي ناجي، وهم ضريح سيدي المبارك مؤسس خنقة سيدي ناجي، وضريح أحمد بن ناصر باني المسجد، وضريح محمد بن محمد بن حسين.

الفصل الثالث: السرايا أو منزل عائلة بن حسين.

تم التطرق فيه إلي منزل عائلة بناصر ومن بعد أسرة بن حسين، والذي يعد بحق تحفة معمارية في بيئة صحراوية، بسبب النمط العمراني الذي شيد عليه والذي يحاكي نمط القصور العثمانية في مدينة الجزائر قسنطينة، بالإضافة للزخرفة التي استعملت فيه، إلا أن انهيار جزء كبير من المبني، نتيجة هجرته وعدم استعماله والأمطار والسيول الجارفة، جعلت الكثير منها يندثر ويتشوه. كما تناولنا في هذا الفصل عمليات الترميم العشوائية التي تمت علي هذا المعلم، والتي تمت دون دراسة ومقاييس علمية مما استدعي الوزارة لتوقيف هذه العمليات. كما تم التطرق إلي مختلف الزخارف التي وجدت في معالم الخنقة سواء مسجد سيدي لمبارك والمدرسة الناصرية أو السرايا.

إن هذه الجوانب من الموضوع مرتبطة ببعضها البعض، كما تساعد وتكمل الواحدة منها الأخرى.

في ختام هذا التقديم اشكر الله وأحمده على توفيقني في إتمام هذا العمل كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلي كل من ساهم في إتمام هذا العمل المتواضع من بداية التأطير وصولا إلى إسداء النصيحة كما أشكر أعضاء اللجنة على سعة صدرهم وعلى ما بذلوه من وقت ثمين في قراءة الموضوع و ما تجشموه من مشقة السفر والتنقل .

• مدخل عام.

أولاً: الإطار الجغرافي.

ثانياً: الإطار التاريخي.

أ- منطقة بسكرة في فترة ما قبل التاريخ والحقبة الرومانية.

ب- بسكرة في المصادر والنصوص التاريخية الإسلامية.

ثالثاً: الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.

أ- التعريف ببلاد إفريقية والمغرب.

ب- الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.

رابعاً مفهوم الزاب ومدلوله الجغرافي.

أ- الزاب لغة.

ب- الزاب اصطلاحاً.

خامساً: دور القبائل العربية من بني هلال في المنطقة.

سادساً: ما جاء من أدعية في فضل إفريقية

• مدخل عام

أولاً: الإطار الجغرافي. (خريطة 1)

تتميز مدينة بسكرة بموقعها الجغرافي الممتاز والهام، فهي تعد حلقة وصل بين التل و الصحراء، وأكثر تحديداً بين الجنوب الشرقي الصحراوي، والشمال الشرقي التلي للقطري الجزائري⁽¹⁾. تمتد بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية شرقاً وجبال الأوراس في الشمال،

(1) Jean. despoi: (la bordure saharienne de L'Algérie orientale), *Revue Afriquane* 1942, pp171_219. انظر أيضاً : دائرة المعارف الإسلامية، ص 637/636 " بسكرة واحة ومدينة جنوبي الجزائر في إقليم قسنطينة، وهي علي خط طول 5 درجات و 42 دقيقة شرق غرينتش، وخط عرض 39 درجة و 27 دقيقة شمالاً، وعلي سفح جبل أوراس. ترتفع 428 قدماً عن سطح البحر، وهي أهم واحة بين واحات الزيبان، والواحة تمتد ثلاثة أميال على طول وادي بسكرة"

التي تعتبر حاجز طبيعي يفصلها عن التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ وواحات واد سوف، ووادي ريغ. بذلك تأخذ مكانا لا يستهان به في السفوح الأوراسية الجنوبية، وذلك على خط طول 5 درجات شرق خط غرينتش ودائرة عرض 34.5 درجة شمالا(صورة1).

كما تتمتع المنطقة بشتاء معتدل حيث لا يقل معدل الحرارة في شهر جانفي عن 11 درجة أثناء النهار، غير أن صيفها شديد الحرارة حيث تزيد أثناء النهار في كثير من الأحيان عن 35 درجة. مناخها جاف خال من الرطوبة لا سيما في فصل الصيف⁽²⁾، أما الأمطار فهي قليلة وغير منتظمة وغالبا ما يقل معدلها عن 200 ملم سنويا.

إداريا يحدها من الناحية الشمالية الشرقية ولاية باتنة، ومن الناحية الشرقية ولاية خنشلة، أما من الناحية الشمالية الغربية ولاية المسيلة، ومن الناحية الجنوبية ولاية الوادي، ومن الناحية الجنوبية الغربية ولاية الجلفة.

يعتمد الري وتوافر المياه على الوديان التي تصب من الاوراس و المناطق الجبلية القريبة، منها وادي جدي ينطلق من جبل مسعد بالقرب من الأغواط، ثم يشق كامل الزيبان ليصب بعد ذلك في شط ملغيغ، وكذا الوديان الشمالية الأخرى المنطلقة من الاوراس مثل: وادي عبدي ووادي الحي أو القنطرة، كلها تعبر وتصب في حوض منطقة بسكرة، أما جنوبا فيأتيها وادي ريغ الذي ينطلق من الجبال و الهضاب الصحراوية⁽¹⁾.

يقول عنها أحمد توفيق المدني " وتدعى ملكة الجنوب، وهي أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق، لها في الشتاء طقس معتدل يجعلها محط الرحال المتسوحين، حيث أن معدل حرارتها في أيام الشتاء تبلغ 15 درجة، وأقصى ما تبلغه الحرارة في تلك الأيام هو 16 درجة وأقله 6 درجات، أما المطر فلا ينزل بها إلا بمعدل 175مليمترا في السنة. واحة بسكرة تمتد نحو 5 كيلومترات يمين الوادي وتشمل 1400 هكتار.....وبسكرة كانت قرية بربرية عتيقة."⁽²⁾

ثانيا: الإطار التاريخي.

(2) Masque Ray: (Le Djebel Chachar) R, A, TXXIII, Alger 1879 .pp69/70

(1) Masque Ray : op.cit, p56.

(2) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار المعارف ودار الكتاب، طر، البليدة، الجزائر، 1963، ص ص 185-186.

تتميز مدينة بسكرة بموقعها الجغرافي الهام، الذي يعد حلقة وصل بين الجنوب الشرقي الصحراوي و الشمال الشرقي التالي للقطر الجزائري، وقد عرفت هذه الأخيرة تاريخاً طويلاً مليئاً بالأحداث عبر الفترات الزمنية المتعاقبة .

أ- منطقة بسكرة في فترة ما قبل التاريخ والحقبة الرومانية:

لعل أول إشارة لمدينة بسكرة في المصادر المادية، يعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل، حيث وردت الإشارة إلى شتمه التي عثر فيها على مستحاثات وحجارة مقلمة،⁽³⁾ كذلك تمت الإشارة بعد ذلك، إلى موقع الهامل بالقرب من بوسعادة .

أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري القديم الأوسط، فإن منطقة بسكرة ليست بعيدة عن الحضارة العاترية التي وجدت آثارها في المنطقة، ونفس الشيء يقال عن حضارة العصر الحجري اللاحق أو القديم الأعلى و المتمثلة في الحضارة القفصية، فهي الأخرى متوافرة في المنطقة . و تتمثل شواهد العصر الحجري الحديث، في رؤوس السهام الصحراوية التي وجدت بالمنطقة، أما عن بقايا فجر التاريخ في المنطقة فتتمثل في قبور بازيناس عين الحمارة المدرجة الواقعة بالقرب من أولاد جلال وكذا واد منقوب⁽¹⁾

لم تبرز بسكرة كمدينة ذات أهمية اقتصادية وسياسية في العهد الروماني(صورة2)، بل اتخذت كحصن عسكري ضمن حصون خط الليمس، و أطلق عليها اسم فسيرا "vescera" التي تعني المحطة، ولعل أهمية المنطقة في تلك المرحلة هو موقعها بين الشمال والجنوب، فهي كما يعرفها الجغرافيون عبارة عن بوابة بين الصحراء والتل. وكان الهدف من مد خط الليمس ذاك هو الحيلولة دون صعود البدو الجيتوليون نحو المناطق التالية التي كانت قد ترو نمت، ولذلك تضمن الخط المشار إليه خناقا وأبراج حراسة وطرقاً رئيسية علي امتداد كامل الخط الرابط بين الشمال والجنوب، إضافة إلي مستعمرات أقيمت للجنود المسرحين ومراكز تجارية.⁽²⁾ في هذا الصدد يقول الباحث ستيفان

M.dalloni: note sur la classification du pliocène supérieur de l'Afrique Bullde ⁽³⁾
la soc, Et de géo et archeol, D'Oran, T.L VXi, 1940, p29

G. Camps: la civilisation préhistorique de l'Afrique du nord et de sahra, Ed ⁽¹⁾
Doin, Paris, 1974, p222.

p.salama .les voies romaines de l'Afrique du nord Alger 1951 .pp ,22-30. ⁽²⁾

غزال "st.Gsell"⁽³⁾ أن الحي القديم الرئيسي كان يقع في الناحية الشمالية لوادي بسكرة، إضافة إلي وجود بقايا الحمامات والحجارة المصقولة التي استعملت فيما بعد في المباني الإسلامية إلا أنه يبدي بعض التحفظ فيما يخص أخذ تسمية "فسيرا" من "بيسينام"، و رأيه ربما يكون اسم بسكرة قد أخذ من اسم "فسيرا" التي كانت تمثل أسقفية كاثوليكية تابعة للكنيسة المسيحية في نوميديا. كذلك حاول المؤرخ شارل تيسو "ch.Tissot" أن يجد تقاربا بين تسمية فسيرا و بيسينام التي تعني الحمام المعدني الذي استعمله الرومان، والذي يبعد عن المدينة الحالية حوالي 6 كلم⁽⁴⁾.

أما عن أصل تسميتها، فكانت وما تزال مشكلا مطروحا تتخلله ثلاثة آراء مختلفة:

الرأي الأول: مفاده أنها تعني المحطة التجارية.

الرأي الثاني: فينسبها إلي كلمة أدبيسران التي تعني المنبع المعدني نسبة إلي حمام الصالحين.

الرأي الثالث: المتعارف عليه والشائع لدي سكان المنطقة، هو أن بسكرة أخذت من كلمة سكرة نسبة إلي حلاوة و غزارة تمورها. وبهذا فقد تبلورت كلمة بسكرة بين هذه الآراء.

(3) st .Gsell ,atlas archeologique.F/N37.

(4) Ibid, F/N37.

ب- بسكرة في المصادر و النصوص التاريخية الإسلامية.

تطرق المؤرخون و الرحالة العرب في كتاباتهم حول مدينة بسكرة، حيث يقول إسماعيل العربي⁽¹⁾ إنها ذكرت لأول مرة في المصنفات العربية في القرن التاسع الميلادي عند الحديث عن إخماد ثورة قام بها أهل الزيبان في وجه الأمير الاغليبي أبي عبد الله، وقد قضي على هذه الثورة قائده خفاجة .

وقد تم ذكرها بشكل دقيق من طرف عبيد الله البكري (ت487هـ)⁽²⁾ واصفا إياها " بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كثيرة النخيل و الزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، و بها جامع ومساجد كثيرة، و حمامات، و حواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور ... الخ"، ثم يردف البكري قائلا " وبسكرة علم كثير وأهلها على مذهب المدينة، ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث... سكنها المولدون، و حولها من قبائل البربر: سدرا ته وبنو مغراوة أهل بيت بني خزر، وبنو مزني. و داخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع.... وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم، و تعرف ببسكرة النخيل... و من مدنها جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي ومدينة بن طيوس وهي من البنيان الأول، و شراب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها منحدر من جبل الأوراس، و قرية من قرى بسكرة تسمى ملشونة منها أبو عبد الله الملشوني وابنه إسحاق عالمان يحمل عنهما العلم، سمع منهما أبو عبيد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما أما صاحب الاستبصار(ت)⁽³⁾ يصفها " وهي مدينة كبيرة و

(1) العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983، ص148.

(2) أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب "وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك"، تحقيق دي سلان مكتبة الحكومة، الجزائر1857، ص ص 52- 53 .

(3) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق عبد الحميد زغلول، الدار البيضاء،1985ص173 .

حواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها ولها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار وتعرف بسكرة النخل لكثرتة بها".

كذلك من الجغرافيين الذين وصفوا وحددوا بسكرة جغرافياً، ياقوت الحموي (ت626هـ)⁽¹⁾، فيقول "بسكرة بكسر الكاف وراء، هذه بلدة من المغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر قصب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة كذا ضبطها الحازمي بقول: بسكرة بفتح أوله وكافه. وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات، وأهلها علماء وعلى مذهب المدينة، بها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل. قال أحمد بن محمد المروزي:

"ثم أتى بسكرة النخيل *** قد اغتدى في زيه الجميل"
أما ابن سعيد المغربي (ت685هـ)⁽²⁾ فيذكر "بسكرة قاعدة الزاب، وهي بلاد نخل وزرع، ومنها تجلب أصناف التمر إلي حاضرتي تونس و بجاية، وهي حيث الطول أربع وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة والعرض سبع وعشرون درجة ونصف". أما الإدريسي (ت..)⁽³⁾ فيذكر بسكرة في القرن الثاني عشر ميلادي بأنها كانت حصناً منيعاً، وبها سوق و عمارة، وفيها أيضاً من التمور كل غريبة وطريفة.

إلا أن الحميري (ت أواخر القرن 9هـ)⁽⁴⁾، يذكر بسكرة بأنها " من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل و الزيتون وأصناف الثمار، وعليها بساتين كثيرة، وهي غابة كبيرة مقدار ستة أميال. ومن التمر منها جنس يعرف بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، و جنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس، وكان عبيد الله الشيعي صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه وبيعه ما هناك منه إليه، لطيبه وحسنه .. وتعرف هذه البلدة ببسكرة النخل، ويشق غابة بسكرة نهر

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد 1، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1995، ص 422.

(2) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط 2، 1982، ص 126.

(3) الإدريسي الشريف: وصف إفريقيا الشمالية و الصحراء، الجزائر 1957، ص 64 .

(4) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، ط 1984، ص ص 113-

كبير ينحدر من جبل الاوراس يسقى بساتينها ونخيلها وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة. و بسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء و أهلها على مذهب أهل المدينة".

إضافة إلي السيوطي⁽¹⁾ المتوفى في سنة 911هـ فيذكرها في كتابه (لب الباب في تحرير الأنساب) " و البسكري بكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى بسكرة وهي بلدة من بلاد المغرب".

ونجد البروشوي الشهير "بابن سباهي زاده"⁽²⁾ يذكر "بسكرة بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون المهملة وكاف وراء مهمله وهاء. مدينة من آخر الثاني من الجريد قبالة الغرب الأوسط، وهي قاعدة بلاد الزاب، وبسكرة بلاد ذات نخيل و زروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب إلي تونس و بجاية".

و من المصادر المتأخرة التي تكلمت عن بسكرة العدواني الذي جاء في القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن 17م فيرجع اسم بسكرة إلي سكره⁽³⁾.

إلا أن الحسن الوزان⁽⁴⁾ في كتابه "وصف إفريقيا" فيعطينا وصفا دقيقا للمدينة وضواحيها وقرأها وكذا الحالة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و البيئية حيث يقول " مدينة عريقة أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي، وسورها من الأجر النبيء. أما السكان فمؤدبون، لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمور. وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون، فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان، فثارت حينئذ بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميراً عليها، ولم يستطع ملك تونس استرجاعها منذ ذلك الحين. تكثر فيها العقارب التي يقتل

لسعها حالا، ولذلك يغادرها السكان في الصيف للإقامة في ممتلكاتهم خارجها إلى شهر نونمبر".

(1)السيوطي: لب الباب في تحرير الأنساب، تحقيق أحمد عبد العزيز و أشرف عبد العزيز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1991، ص 128.

(2) البرشوي الشهير بابن سباهي زاده: أوضح المسالك في معرفة البلدان و الممالك، تحقيق المهدي الرواضية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، صص 211-212.

(3)محمد بن محمد بن عمر العدواني: كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر أحوال والتقلبات السياسية و الاجتماعية لمنطقة المغرب العربي و أصول بعض المدن و القرى، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1996، ص301.

(4)الحسن الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، طح 1983، ص 138.

وقد تعرضت المنطقة لهجوم المرينيين، قاده أبي عنان المريني بنفسه، ذاقت فيه المنطقة ويلات الخراب والدمار، خاصة طولقة و فرفار، ويوصف لنا النميري تلك الحملة وصفا دقيقا "فلما أعملت الجيوش المرينية إلى الزاب نهضا و أنطفت نار الفتنة التي أكل بعضها بعضا ونبهت عيون الاغماض وهجمت علي تلك البلاد وتبسطت تلك الجهات اعتمالا في الجهاد." (1) ومن الرحالة الورتلاني الذي عاش في القرن 18م (2) الذي تحدث عن مدينة بسكرة بأنها "قاهرة عظيمة البنيان، غير أن المدينة القديمة قد خربت بسبب الفتنة التي وقعت بين سكانها وحكامها، حيث انقسموا على أنفسهم و أدخلوا الأتراك إليها، فشتتوا أهلها وفر أغلبهم إلى خارج المدينة، وقد بني فيها الأتراك برجين عسكريين: أحدهما داخل المدينة، و الآخر خارجها على منبع المياه التي ترد إلى المدينة كما ذكرها العياشي في رحلته للحج في طريق عودته (3).

فالمدينة من خلال المصادر التاريخية التي تطرقت لها، يتبين لنا أنها كانت كثيرة أسباب العيش، ثم تغير حالها إلى الأسوأ، ويبدو أن الحامية العثمانية لم تكن دائما على وفاق مع الأهالي (4) وقد لعبت دورا هاما بسبب مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في تاريخ المنطقة كما أنها كانت تمثل قاعدة الزاب.

ثالثا: : الفتح الإسلامي لإفريقية و المغرب. (خريطة 2)

أ- التعريف ببلاد افريقية و المغرب :

• المغرب:

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف الجغرافيون و المؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله. فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى اسبانيا الإسلامية (الأندلس) وجميع ممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل صقلية و جنوب إيطاليا و جزيرتي سردانيا و كورسيكا و جزر البليار

(1) ابن الحاج النميري: فيض العباب" وإضافة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب " دراسة و إعداد، محمد بن شقرن، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص436.

(2) حسين الورتلاني : الرحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"، ببير فونتاننا، الجزائر، ط1 1908، ص85.

(3) العياشي أبي سالم: ماء الموائد ، ج2، مخطوط، ص413.

(4) أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، المجلد5، دار الغرب الإسلامي، الطبعة1، 2005م، ص180.

أو الجزر الشرقية. وتعتبر مصر أيضا من ضمن البلاد المغربية، باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى.⁽¹⁾

أما المراكشي⁽²⁾ فيورد حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا. وينقسم أقساما: قسم من الإسكندرية إلى إطرابلس، وهو أكبرها وأقلها عمارة.

وقسم من إطرابلس وهي بلاد الجريد، ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تيهرت، ويليهما بلاد المغرب وهي بلاد طنجة، وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب. وأول من جمع مصر و المغرب حتى طنجة هو معاوية بن أبي سفيان لمسلمة بن مخلد الأنصاري⁽³⁾.

أما الإصطخري⁽⁴⁾ المعروف "بالكرخي" فيذكر أن المغرب نصفان يمتدان على بحر الروم، نصف من شرقيه ونصف من غربيه، فأما الشرقي فهو برقه وإفريقية و تيهرت و طنجة والسوس و زويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم، و أما الغربي فهو الأندلس. وأمام ازدياد الفتوحات الإسلامية زاد مدلول المغرب اتساعا، خاصة أيام العباسيين حيث صارت الشام ضمن بلاد المغرب، فالمسعودي يذكر أن العباسيين قسموا مملكتهم إلى قسمين وهما:

المشرق: ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا.

المغرب: ويشمل الشام ومصر وإفريقية وما يليها غربا.

وأما المغرب، فيقصي القلوب ويوحش الطبع، ويطيش اللب، ويذهب بالرحمة، ويكسب الشجاعة⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس قسم هارون الرشيد مملكته على أبنائه الأمين و المأمون و المؤمن.⁽²⁾

(1) ابن سعيد المغربي: المرجع السابق، ص50.

(2) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج س كولان و إلفي بروفنسال ج 1، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص05.

(3) المصدر نفسه، ص21.

(4) الإصطخري (المعروف بالكرخي): المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحبي، مطابع دار القلم، القاهرة 1981، ص33.

(1) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ج2، المكتبة العصرية بيروت لبنان، ص49.

(2) المصدر نفسه: ج1، ص70.

كما حدد ابن خلدون المغرب بأنه قطر واحد مميز بين الأقطار " فحده من جهة المغرب بحر المحيط، وهو عنصر الماء وسمي محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض ...و أما حده من جهة القبلة و الجنوب فالرمال المتهيلة المائلة حاجزا بين بلاد السودان و بلاد البربر، ومن جهة الشرق بحر أهل القلزم المتفجر من بحر اليمن. وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة و إنما يختص بطرابلس و ما ورائها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد"⁽³⁾.

رغم هذه الاختلافات و التقسيمات السالفة الذكر، إلا أن المتفق عليه و الشائع الآن، هو تحديد المغرب بالأرض الإسلامية الممتدة غرب مصر إلى المحيط الأطلسي، وهناك المغرب الإفريقي وهناك أيضا المغرب الأندلسي، وعلى هذا الأساس تعد مدينة الإسكندرية هي الحد الفاصل بين المغرب و المشرق، وقد تقلص مدلول مصطلح المغرب في وقتنا الحاضر و أصبح قاصرا فقط على بلاد شمال إفريقيا أو ما يسمى بالمغرب العربي الكبير.

• إفريقية:

قال قوم إنها إفريقية أي صاحبة السماء، وقال آخرون سمية بإفريقية لأن إفريقيس بن أبرهة بن الرايش غزى نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض البربر،⁽¹⁾ وهو الذي بني إفريقية وباسمه سمية. وحدها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريتانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق⁽²⁾.

وقد تحول هذا المصطلح مع مرور الزمن من التعبير عن منطقة جغرافية محدودة وهي شمال إفريقيا ككل ليصبح مدلول الكلمة يدل على القارة بمختلف تكويناتها وتركيباتها، وهي

(3) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مجلد 06، القسم الثاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ن طح، 2003 ص ص 114 - 118.

(1) ابن منظور: لسان العرب، المجلد 3، دار صادر بيروت لبنان، حرف الراء، ص 55- 56 (كلمة البربر تعني كثرة الكلام والجلبة باللسان وقيل: الصياح ورجل بربر إذا كان كذلك وقد بربر إذا هذى: قال الفراء: البربري الكثير الكلام بلا منفعة وقد بربر في كلامه بربرة إذا أكثر و البربرة الصوت وكلام من غضب وقد بربر مثل ثرثر).

(2) البكري: المصدر السابق، ص 21.

تعريب للكلمة اللاتينية "AFRICA"، التي أطلقها الرومان على هذا الإقليم الذي نظموا شؤونه بعد تخريبهم لقرطاجة (في بلاد تونس الحالية).

أما في الفترة الإسلامية، فكان يقصد بها المغرب الأدنى و كان يشمل تونس و بعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهديّة أيام الفاطميين، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم.⁽³⁾

بعد ظهور الدين الإسلامي بالجزيرة العربية ببعثة محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام سنة 610م، و انتشاره بها استطاع الرسول صلي الله عليه وسلم أن يكون نواة لدولة إسلامية كانت عاصمتها المدينة المنورة، و بعد وفاته سنة 11هـ (632م) تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوطد أركان الإسلام في الجزيرة العربية وقضى على حركة المرتدين بها وأرسل الجيوش لفتح الشام و العراق و التي حققت انتصارات باهرة، وكان القائد عمر ابن العاص يلح على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب أن يسمح له بالتوجه إلى مصر وفتحها ونشر الإسلام بها، و لذلك كان يعطي المبررات في الحصول علي الإذن من الخليفة بالفتح مخاطبا له "يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أسير إلي مصر فأنا إن فتحها كانت قوة للمسلمين وهي أكثر الأرض أموالا وأعجزه عن وقتال⁽¹⁾. و استجاب الخليفة إلي فكرة فتح مصر و عقد له سنة 18هـ اللواء وأمره علي 4000 رجل، ولما افتتحها أقام بها، ثم كتب إلى عمر يستأمره في الزحف على الإسكندرية فكتب إليه يأمره بذلك، فسار إليها في سنة 21هـ واستخلف على مصر خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويش⁽²⁾. ثم بعث إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخ العاصي لأمه⁽³⁾.

(3) مختار العبادي: تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت لبنان، ص10.

(1) اليعقوبي: كتاب البلدان، نشرم.ج.جوية، ط2، بريل، ليدن، 1892م، صص 101-102.

(2) الحسن البلاذري: فتوح البلدان، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978، صص 221-222.

(3) المصدر نفسه: ص238.

هذه الفتوحات شجعت عمرو بن العاص على المضي قدما وكتب إلى عمر بن الخطاب مرة أخرى يستأذنه في غزو إفريقية بقوله: " إن الله فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل " (4).

وقد كانت خشية الخليفة على جند الإسلام والزج بهم في معارك في الأطراف القاسية تدفعه إلى التريث، فالصحراء الإفريقية الكبرى وهي أكبر صحاري العالم تمتد من البحر الأحمر شرقا "من صحراء مصر" إلى المحيط الأطلسي غربا "موريتانيا" ومن سواحل ليبيا إلى منخفض تشاد جنوبا، بمساحة سبع مليون كيلومتر مربع أي حوالي ربع مساحة القارة الإفريقية⁽⁵⁾. ولهذا كان رده على كتاب عمر " لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت." (6) ومع اعتلاء عثمان رضي الله عنه الخلافة سنة 24 هـ ندب الناس لغزوها، فخرج المسلمون في جيش عظيم فيهم من الصحابة و المهاجرين (مروان بن عبد الحكم وجمع كثير من بني أمية، وبشر كبير من بني أسد بن عبد العز و عبد الله بن الزبير بن العوام في عدة من قومه، وعبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن عمر بن العاص، و المطلب بن السائب و بشر بن أرطأة⁽¹⁾). وعرفت الحملة بجيش العبادلة . وقد انطلق العرب نحو الغرب محفزين بالانتصارات السريعة و المدهشة التي حققها رماثهم وفرسانهم ومهاريوهم الخفاف على القوات البيزنطية الثقيلة، و مدفوعين بالاطمئنان لموقف أهل مصر الذين كانوا يعتبرونهم محررين وضعوا حدا لظلم البيزنطيين وليسوا غزاة، كما أن تموينهم كان مؤمنا بسبب سيطرتهم على منطقة الفيوم⁽²⁾ . وأرسل أخاه من الرضاعة، عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر بعد عزل عمر بن العاص على رأس حملة اجتاز بها طرابلس، واستولى على سفن للروم كانت راسية على الشاطئ هناك والتقى بجيوش البيزنطيين في سببلة سنة 27 هـ (3).

(4) ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964، ص33.

(5) مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء 11، طبع لبنان، 1996، ص 215.

(6) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 03.

(1) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 08-09 .

(2) ثيري جاك: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي مصراته، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، 2004، ص 32 .

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، ص09.

"SUFFTULA" ويعربها العرب سبيطلة التي كانت تحت سيطرة قائد يلقب بالبطريق "patricius" واسمه جريجوريوس يسميه العرب جرجير⁽⁴⁾. وكان ملكه ما بين أطرابلس إلى طنجة، وكان على خلاف مع هرقل و الدولة البيزنطية استقل بولايته وعاصمتها قرطاجنة⁽⁵⁾. وكانت من أكبر موانئ البحر المتوسط. فخرج عبد الله بن الزبير من مصر في 20 ألف رجل إلى إفريقية سنة 27 هـ أما جرجير فكان في 120 ألف⁽⁶⁾ وقتل القائد البيزنطي على يد عبد الله بن الزبير وانتصر المسلمون فيها.

وفي سنة 34 هـ غزا معاوية بن حديج إفريقية، وهي أول الغزوات إلى المغرب⁽⁷⁾ بعد موقعة سبيطلة، بسبب الفتنة وما أعقبها من حرب أهلية، فلما انتهت وخلصت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان 40 هـ الموافق لـ 621م (عام الجماعة)، قرر إعادة فتح إفريقية

وعهد بذلك الأمر إلى قائده معاوية بن حديج الكندي 45 هـ⁽¹⁾. وكان هذا الأخير عثمانيا. فبعث السرايا إلى مراكز البيزنطيين برا وبحرا وحقق انتصارات باهرة، غير أن هذا القائد لم يستمر طويلا لإخضاع إفريقية حيث عزل من طرف الخليفة معاوية، وتم تعيين القائد التابعي المشهور "عقبة بن نافع الفهري" وأقر معاوية بن حديج على مصر⁽²⁾. وهذه هي الولاية الأولى لعقبة، وقد استمرت من سنة 50 هـ إلى 55 هـ الموافق 670م/675م.

ويقول مختار العبادي⁽³⁾ "إن اختيار معاوية لعقبة كان اختيارا موفقا لأن عقبة يعتبر من أوائل المجاهدين في المغرب، إذ أنه دخل برقة مع ابن خالته عمرو بن العاص سنة 23 هـ وكان عمره وقت ذلك 14 عاما، وشارك في الغزوات التي قام بها المسلمون في إفريقية. وتشير المصادر التاريخية إلى أنه في الوقت الذي كان فيه معاوية بن حديج يرسل السرايا إلى الأقاليم الشمالية الساحلية في سوسة وبنزرت وقابس، كان عقبة بن نافع يحارب في

(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 35.

(5) المصدر نفسه، ص 35.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 10.

(7) المصدر نفسه: ص 14.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 16.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

(3) مختار العبادي: المرجع السابق، ص 38-39.

الصحراء في فزان، وودان، وما وراء الواحات الجنوبية. ويذكر مختار العبادي أن عقبة بن نافع كان طيلة ربع قرن رجلا مرابطا في سبيل الله لدرجة أن بعض الروايات جعلت منه بطلا أسطوريا بل قطبا عارفا مستجاب الدعوة. ويذكر حسن مؤنس⁽⁴⁾ "إذا كانت معركة سببيلة الخطوة العربية الأولى لفتح إفريقية، فإن ولاية عقبة بن نافع الفهري بقيادة الفتح في المغرب ما بين 50 و55هـ الموافق 670 م/675 م تعد الخطوة الثانية الحاسمة كما يقول أن طول مكوث عقبة في الفتح ربع قرن جعلته مغربيا عربيا وكان قائدا موهوبا ذا نزعة إسلامية بالغة العمق.

وقد قام هذا الأخير بإنشاء مصر للمسلمين تكون مستقلة بأمرها عن مصر، واختار موقعا وسطا حسب ما تذكره المصادر التاريخية وسط البلاد إلى شمال سببيلة سمية بالقيروان⁽¹⁾، وهو معرب عن الفارسي وهو "عظم الجيش" وهو ما يصدق تمام الصدق على الغرض الأصلي من تأسيسها لأول مرة سنة 50 للهجرة 670م⁽²⁾ ونظرا لطول عهد عقبة بالمنطقة و بالسكان ولخبرته الطويلة ولكونه تشبع منذ زمن طويل بنوأة مشروع ديني ثقافي، حضاري، سياسي، فقد افتتح عهده بتحديد إستراتيجيته المستقبلية بقوله " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر... فاتفق الناس على ذلك⁽³⁾.

(4) حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، مطابع تين واه سنغافورة، ط1، 1987، ص 134.
(1) الأسيدي الدباغ (ت 696 هـ): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (839 هـ)، تعليق إبراهيم شيوخ، جزء 1، مطبعة السنة المحمدية مصر، 1968، طر، ص 8 " اختلف العرب في لفظ القيروان فقليل هي موضع اجتماع الناس والجيش وقيل محط ثقال الجيش وقيل هي الجيش نفسه والمعنى متقارب ذكرتها المصادر التاريخية:

أنظر (الاستبصار ص 197، الإصطخري ص 34، البكري) من المدن الأولى التي أسسها المسلمون علي يد عقبة بن نافع الفهري ما بين 50 هـ/55 هـ "هي أجل مدينة بأرض المغرب خلا قرطبة بالأندلس فإنها أعظم منها وهي المدينة التي كان يقيم بها ولاية المغرب و بها كان مقام الأغلب وبنيه إلي أن أزال ملكهم أبو عبيد الله المحتسب. وقال الواقدى سميت القيروان قيروانا لان العرب أقرت رحلتها فيها. قال الأزهرى القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما.

قال إمرء القيس: وغارت ذات قيرون *** كأن أسرابها الرعال

(2) مرخي الكعبي: **القيروان**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 16.

(3) ابن عذارى: **المصدر السابق**، ص 19.

وفي اختيار الموقع، وتأسيس القيروان وكذا موضعها. يقول ابن عذارى⁽⁴⁾ دائما "إني أخاف أن يطرقتها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها، ولكن نجعل بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون ... و قال قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل، وهي التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على و باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر و النصارى. و بذلك فقد ارتكزت إستراتيجيته على أمن المسلمين الفاتحين بالمقام الأول، و بني فيها أول ما بني المسجد الجامع، و اتخذ دار الإمارة و أذن للعرب باتخاذ الخطط". و دام ذلك خمس سنوات و أصبحت رابع الأمصار الإسلامية بعد الكوفة، البصرة، الفسطاط. و يقال إن اختيار موضع القيروان و اختيار القبلة لمسجدها تداخل بين الأسطورة و الواقع حيث تروي الأساطير، أن عقبة بن نافع عندما اختط المسجد ظل يحدث فيه البناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، فاختلف الناس عليه في القبلة فدعي الله عز وجل أن يفرج عنه فأتاه في منامه فقال له إذا أصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله في عنقك فإنك تسمع بين يديك تكبير لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك، فانظر الموضع الذي ينقطع فيه التكبير فهو قبلتك و محرابك.

و يذكر ابن عذارى⁽¹⁾ أن عقبة تبع التكبير حتى انقطع وركز لوائه و قال: هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة، و أخذ الناس في بناء الدور و المساكن و المساجد، وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع حتى كمل أمرها.

وقد كانت القيروان قاعدة لمواصلة الفتح و عنوان للتيار السياسي الديني الجديد و عندما تم البناء أفصح عقبة عن أهدافه الحضارية بدعائه المشهور " اللهم أملاها علما وفقها وأعز بها الإسلام وامنعها من جبايرة الأرض.⁽²⁾ و اتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، و أمنوا واطمننوا على المقام فثبت الإسلام⁽³⁾. و دام حكم عقبة

(4) المصدر نفسه، ص20.

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ص ص 20-21.

(2) الدباغ: المصدر السابق، ص7.

(3) محمد الخصري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، ج1، دار التحرير للطبع و النشر، 1969، ص115.

أربعة أعوام.⁽⁴⁾ مثلما يذكر ابن عذارى المراكشي حيث ركز فيها على تثبيت دعائم المسلمين في إفريقية وجعل القيروان نقطة ارتكاز في سائر المراكز. إلا أن أمر العزل وتولية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر و إفريقية، هذا الأخير الذي كافأ مولاه أبو المهاجر دينار و ولاه إفريقية واكتفى هو بحكم مصر. وقد تركت حادثة العزل أثرا سيئا في نفسية عقبة ابن نافع، حيث تذكر المصادر التاريخية إساءة أبو المهاجر له، وبلغت أن أقدم أبو المهاجر على بناء مدينة جديدة تبعد عن القيروان بقراية ميلين تدعى "تكروان"

و أمر الناس بحرق القيروان وعمل على إفساد ما قام به عقبة.⁽¹⁾

كما تذكر المصادر التاريخية، أن أبا المهاجر خالف وصية مسلمة بن مخلد بأن يحسن العزل بعقبة ولكنه سجنه وأقره حديدا "⁽²⁾. وهذا من الخلل القديم الذي يئن منه المسلمون إلى حد الآن، فإن الخلف من الولاة كان، عوضا عن أن يستعين بآراء سلفه وتجاربه يجتهد في تصغيره وتحقيره حتى ينطفئ اسمه ويكون لهذا الخلف الذكر المحمود وحده. ولا يدرى انه بهذا يقتطع من نفسه قوة كان يمكن الانتفاع بها⁽³⁾.

وتذكر المصادر التاريخية أن عقبة صلى ودعا وقال: اللهم لا تمتني من أبي المهاجر دينار بن أمي دينار. وذهب عقبة إلى معاوية شاكيا إلا أن معاوية وافته المنية وبعد تولية يزيد سنة 61هـ رده إلى المغرب. ويذكر بن عبد الحكم⁽⁴⁾ أن عقبة بن نافع عاد سريعا بحنقه على أبي المهاجر حتى قدم إفريقيا فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد وأساء عزله وغزا به معه السوس وهو في حديد.

وفي الولاية الثانية لعقبة بن نافع للمغرب و التي كانت قصيرة في زمانها كبيرة في إنجازاتها العسكرية و الروحية. رحل إلى بلاد الزاب، فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا

⁽⁴⁾ ابن عذارى: المصدر السابق، ص21.

⁽¹⁾ ابن عذارى: المصدر السابق، ص23.

⁽²⁾ ابن عبد الحكم: فتوح إفريقيا و الأندلس، المصدر السابق، ص58.

⁽³⁾ محمد الخضري بك: المرجع السابق، ص116.

⁽⁴⁾ ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص58.

مدينة يقال لها أذنه⁽⁵⁾ ومنها الملك، وهي مجمع ملوك الزاب. وكان حولها ثلاثمائة قرية وستون قرية وكلها عامرة⁽⁶⁾. وقاتل الروم في وادي المسيلة فهزمهم وقتلهم وذهب عز الروم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر⁽⁷⁾.

وقد امتدت هذه المرحلة من 61هـ إلى 63هـ ويقول في هذا الصدد حسن مؤنس⁽¹⁾ "وعقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري شخصيته تختلف عن كل ما رأينا في الفتوح حتى الآن من القادة و الفاتحين إذ بينما كان هؤلاء رجال السياسة و حرب في المقام الأول كان عقبة أولا وقبل كل شيء رجل دينية و جهاد في سبيل الله فهو لا يهتم بمظاهر أو مراكز أو نتائج سياسية و إنما هو يجاهد في سبيل الله ولا ينظر لغير الله ولهذه الطبيعة الصوفية فيه نتيجتين واضحتان:

الأولى: أن حملته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط لم تكن مجرد غارة واسعة المدى بعيدة المدى ولكنها رغم نهايتها الأسيفة خلفت نتائج إيجابية مباشرة وبعيدة المدى بمستقبل الإسلام و العروبة في المغرب .

الثانية: أنه لقلة نظره إلى السياسة أو الكسب المادي قد تحول عند أهل المغرب إلى شخصية دينية جليلة تركت في نفوسهم أثرا عميقا و أظهرت بوضوح الجانب الأهم من النشاط العسكري الإسلامي .

وقد انتهت حملة الفتح الكبرى التي قادها عقبة بن نافع، و التي شملت المغرب الأوسط إلى الأقصى بكارثة تهوذه سنة 63هـ الموافق 682م، والتي استشهد فيها عقبة و أبو مهاجر و من معهما على أيدي قوات التحالف البربري الرومي الذي تزعمه كسيله و أنصاره والتي كان لها وقع أليم في نفوس المسلمين خاصة في مدينة القيروان.

(5) يذكرها البكري في كتابه المسالك والممالك ص328 "وبلد أذنه بلد كثير الأنهار والعيون العذبة...وبينها بين المسيلة مرحلة".

(6) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، 1991، ص11.

(7) ابن عذارى: المصدر السابق، ص64.

(1) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، (من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6 إلى القرن 19م)، المجلد1، ج1، مطبعة العصر الحديث، بيروت لبنان، ط1، ص86.

ويقول أحمد المختار العبادي⁽²⁾ في هذا الصدد " لم تكن لعقبة النظرة السياسية الهادئة التي كانت لأبي المهاجر بل كان رجلا عنيفا متشعبا بذلك الحماس الصوفي، الذي يدفعه إلى التماس الشهادة وبيع نفسه من الله، كما يقول. هو بنفسه وهذا الحماس الديني الشديد جعله يسخر من سياسة سلفه، و يستهين بقوة أصحابه، بل ويتعمد الإساءة إليهم ويواصل قوله أن مغامرة عقبة بن نافع لم تنجل عن أي كسب حربي إيجابي، إلا أنها في الوقت نفسه نبهت الأذهان في أقاصي المغرب إلى هذا الدين الجديد، ومهدت الطريق أما قادة المسلمين الذين سلكوا هذا الطريق فيما بعد.

ويتناول حسين مؤنس⁽¹⁾ واصفا نتيجة المعركة " هكذا كانت نتيجة حملة عقبة الكبرى ضياع إفريقية من يد المسلمين وكان هذا ثمنا باهظا ... ولكن الحقيقة أن إفريقية لم تضع على الإسلام فقد بقي البلد إسلاميا".

وهكذا سقطت القيروان في قبضة كسيلة، بعد أن غادرها زهير بن قيس البلوى إلى أطرابلس ولم يبقى في القيروان، إلا ضعاف القوم وبعد تولي عبد الملك بن مروان سنة 65 هـ⁽²⁾. فقال لهم لا يصلح للطلب بدم عقبة من المشركين وكفرة البربر إلا مثله في دين الله فاتفق رأيهم على زهير بن قيس البلوى وقالوا: هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وتدبيره و أولاهم بثأره⁽³⁾ فأرسل المدد إليه و أمره بالانتقام لمقتل عقبة. وانتصر زهير بن قيس في معركة ممس 69 هجري. وأثناء عودته إلى أطرابلس اعترضته قوة بيزنطية واستشهد ومعظم أصحابه في نفس السنة.

وتوقف الفتح العربي مرة ثانية لبلاد المغرب لعدة سنوات، لتأتي حملة حسان بن النعمان الذي عين واليا على بلاد المغرب من طرف عبد الملك بن مروان في سنة 73 هـ/692م⁽⁴⁾.

(2) مختار العبادي: المرجع السابق، ص40.

(1) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص95.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ص65.

(3) الرقيق: المصدر السابق، ص17.

(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص62.

ليهزم في الحملة الأولى على يد الكاهنة، وكانت هذه الأخيرة قد ملكت إفريقية خمس سنين⁽⁵⁾. وانسحب إلى إقليم برقة⁽⁶⁾ لينتظر خمس سنوات ويعاود الكرة سنة 80 هـ، واستغل حالة الفوضى بين البربر ليجهب جيشا ضخما إلى إفريقية وعند مدينة قابس⁽¹⁾ هزم الكاهنة ووطد حسان بن النعمان الحكم الإسلامي في بلاد المغرب. وعمل على استمالة البربر وقد استقامة له إفريقية فلا يغزو ولا ينازعه أحد⁽²⁾ ليعزل سنة 86 هـ ويعين التابعي المشهور موسى بن نصير، استطاع وهذا الأخير أن يوطد نفوذ المسلمين في المغربيين الأدنى و الأوسط توجه لمغرب الأقصى و أصبحت هذه البلاد كولاية تابعة للدولة الإسلامية. لم تدخل الجزائر الشرقية تحت نفوذ دولة بني رستم التيهرتية أو دولة بني سليمان الإدارة التلمسانيين لضعف نفوذهما، وإنما دخلت تحت نفوذ الأغلبية بتونس وكان يطلق عليها في ذلك العهد بلاد الزاب الأوسط (خريطة3)⁽³⁾. و تحولت المنطقة بعد عقود من الزمن إلى مركز هام للثقافة العربية الإسلامية خاصة بحواضرها التاريخية.

رابعاً: مفهوم الزاب ومدلوله الجغرافي.

أ- الزاب لغة :

لا نعرف في واقع الأمر شيئاً عن الزاب في الجاهلية، ولا في القرون الأربعة الأولى للهجرة، وقد تناولت الكثير من المصادر التاريخية مصطلح الزاب، واختلفت في ضبط مفهومه وتحديد إقليمه جغرافياً. فقد ذكر البكري⁽⁴⁾ في كلامه حول كلمة "الزاب الزابيان مكسر الباء بعدها الياء أخت الواو، نهران أسفل الفرات، وربما سموها بما حولهما الزوابي،

(5) الرقيق: المصدر السابق، ص30.

(6) برقة: تقع على مسافة 100 كلم تقريبا شمال شرق مدينة بنغازي وقد أسست في عهد أركسيلاس الثاني رابع ملوك مدينة قورني الذي حكم بين سنتي 544/554 ق م، وقد أفتتحها العرب المسلمون سنة 22 هـ/643م. ذكرها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي في كتابه البلدان بقوله "مدينة برقة في مرج متسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهي مدينة عليها سور و أبواب حديد و خندق ... وحوالي المدينة أرباض يسكنها خليط من الناس "انظر ابن حوقل في كتاب صورة الأرض "تفرد بتجارة القطران" ويذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق انظر أيضا دائرة المعارف ص 555.

(1) قابس: ذكرت في العديد من المصادر التاريخية والرحالة بأنها مدينة جبلية مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين و أرباض وأسواق وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد حاط بجمعها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع انظر: الاستبصار ص189 ومعجم البلدان للحموي.

(2) الرقيق: المصدر السابق، ص34.

(3) راجع بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط2، 1981، ص 32 .

(4) البكري: المسالك و الممالك، تحقيق مصطفى السقا، ج1، عالم الكتب، ط3، 1983، بيروت لبنان، ص692.

وعامتهم يحذفون الياء، فيقولون الزاب، كما يقولون للبازي باز وهي ثلاثة زواب: الزاب الأسفل وهي كورة الزوابي، و الزاب أيضا هذا البلد المعروف المتاخم لإفريقية".

أما ياقوت الحموي⁽¹⁾ فيذكر في باب الزاب خمس مواضع وان مصطلح الزاب اسم لملك من ملوك الفرس القديم حفر هذه الأنهار بالعراق فسمية به وربما قيل لكل واحد منها الزابي (خفيفة الباء) والتثنية زابيان والجمع زوابي.

كذلك جاء في لسان العرب⁽²⁾ في حرف الزاي "الزابيان نهران بناحية الفرات وقيل في سافلة الفرات ويسمى ما حولها من الأنهار الزوابي وربما حذفوا الياء فقالوا الزابان والزاب كما قالوا في البازي باز".

كما جاء في القاموس المحيط⁽³⁾ "زاب زوبا أي انسل هربا والماء جرى، والزاب بالأندلس أو كورة، منها نهر بالموصل ونهر بالأربل ونهر بين موراء و واسط، ونهر بقرية، وعلي كل منها كورة وهما الزابان أو الأصل الزابيان والعامية تقول الزابان ويجمع حواليهما من الأنهار الزوابي وزاب ملك للفرس حفرها جميعها".

إلا أن ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية⁽⁴⁾ بخصوص اسم الزاب اسم رافدين من روافد نهر دجلة يتصلان به من الضفة اليسرى (الزوابي) أما في المغرب فتربطه بزابي (ZABI)، وهي مدينة رومانية في إقليم الحضنة كانت مقر أسقفية في القرن الخامس الميلادي.

نستنتج من هذا كله، أن مصطلح الزاب يطلق على تلك المناطق المحصورة بين الأنهار والأودية، والتي تشكل روافد. وعادة ما تكون خصبة، مثل أراضي سواد العراق ما بين

(1) ياقوت الحموي: **المشترك وضعاً و المفترق صفعا**، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط 2، 1986، ص ص 329-330.

(2) ابن منظور: المصدر السابق، المجلد3، ص319

(3) الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، دار صادر، بيروت لبنان، ط5 1996، ص122.

(4) خور رشيد زكي وآخرون: **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد 13، (باب حرف الزاي) 1997 ص ص170. أنظر أيضا: سعاد سليمان: منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآثار معهد الآثار جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004/2005.

" تقع هذه المنشأة المعروفة حاليا باسم بشليقة (Bechilga)، علي بعد ثلاث كيلومترات شرق مدينة المسيلة الحالية، لازالت آثارها منتشرة هنا وهناك، منها ما استغل في المباني بعين المكان ومنها ما نقل إلي المسيلة، تتراوح مساحتها ما بين 90 و30 هكتار، كما أشار المؤرخ بروكوب: أنها فيما وراء مرتفعات الاوراس ببلاد موريتانيا الأولى (السطايفية) التي تحوي كل الصحراء الوسطي والتي تعرف بالحضنة، وربما من هنا استمدت زابي اسمها "

دجلة والفرات، وما يشابهها من حيث التربة و الجغرافيا والنبات و المناخ في بلاد المغرب العربي. أي الأرض الخصبة الممرغة⁽¹⁾.

ب- الزاب اصطلاحا.

و فيما يتعلق بالزاب جغرافيا، فالأكيد أن المؤرخين و الجغرافيين في القديم اختلفوا كثيرا في تحديد إقليم الزاب و أقسامه. فالبكري⁽²⁾ يحدده جغرافيا بالمنطقة الجنوبية الشرقية للجزائر المتاخمة لتونس، ويمتد حتى شط الجريد وبرقة على الحدود التونسية الجزائرية وحتى الكتلة الأوراسية وجبال النمامشة بالجزائر، ومن بين مدنه طبنة، طولقة وتهودة و الدوسن.

كذلك صاحب الاستبصار⁽³⁾ فيعطينا وصفا أكثر شمولا"و هي علي طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد، وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها، وهي مدينة كثيرة ونظار واسعة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة".

ويدرج ياقوت الحموي هذا الإقليم ضمن "الزاب" مدن بسكرة، توزر، وقسنطينة، وطولقة وقفصة، ونفزاوة، وبادس، وبلاد ريغ، على التخوم الصحراوية⁽⁴⁾ وبذلك فهو أوسع جغرافيا مما حدده البكري.

أما ابن عذارى المراكشي، فيحدد إقليم الزاب من بلاد الجريد حتى تيهرت ويقسمه إلى قسمين الزاب الأعلى، من إطرابلس إلى بلاد الجريد ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تيهرت⁽¹⁾. (خريطة3)

كذلك ابن خلدون تطرق لحدود إقليم الزاب و أقسامه وصفا وجغرافية بما يلي "هذا البلد بسكرة، هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب، إلى قصور تنومه وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم* من

(1) عبد الحليم صيد : أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، مطبعة سوف الوادي، ط1، 2000، ص3.

(2) البكري: المصدر السابق، ص692.

(3) الاستبصار: المصدر السابق، ص171.

(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص326.

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ص5.

* جبل جاثم المقصود به جبل حاتم بالمسيلة.

المغرب إلى المشرق إلى قبلة برقة. يعمر ذلك الحيل في محاذاة الزاب من غربيه بقايا عمرت من زناته، ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة. وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب، و أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة*. و زاب بسكرة، و زاب تهوذا، و زاب بادس، و بسكرة أم هذه القرى⁽²⁾.

أما حسن الوزان فقد كان تحديده لإقليم الزاب تحديدا دقيقا حيث يذكر انه "يقع هذا الإقليم في وسط مغازات نوميديا وبيتدي غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية لا يوجد بها إلا يسر من الماء وقليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب، لكن عدد حدائق النخل بها لا تحصى. يشمل الإقليم خمس مدن وعدد كثير من القرى وهي بسكرة، البرج، نفضة طولقة، الدوسن"⁽³⁾. (خريطة4)

أما دائرة المعارف الإسلامية⁽¹⁾، فقد جاء تحديد إقليم الزاب المنطقة التي حول بسكرة وطولها 125 ميل من الشرق إلى الغرب، وما بين 30 إلى 40 ميلا من الشمال إلى الجنوب "وهي سهل منبسط يتلاشى تدريجيا حتى يندرج في الصحراء، يحده شمالا المنحدرات الجنوبية للأطلس الصحراوي، و الاتصالات بينه وبين قسنطينة و الحضنة ميسورة بسبب الفتحات الطبيعية* الموجودة في السفوح الجنوبية للأوراس وفي جبال الزاب الواقع في الغرب أما مناخه فهو متأثر بالصحراء ولذلك فالمطر فيه نادر عارض لا يكفي في الأوقات العادية لزراعة الحبوب، غير أن المياه المنحدرة من الجبال تقوم بري المزروعات الواحاتية في مواضع كثيرة تسقي أكثر من 800 ألف نخلة". كما تطرق له الشعراء بالذكر⁽²⁾.

* مليلة المقصود بها مليلي: قرية من قرى بسكرة بالقرب من طولقة تبعد عن مقر الولاية ب 30 كلم .

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد 6، القسم الرابع، ص 510.

(3) الحسن الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، الجزء الأول، ت محمد حجي و محمد الأخضر، طح، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ص ص 138-139.

(1) دائرة المعارف الإسلامية: المجلد 3، ص 313.

* الفتحات الطبيعية المقصود بها: فج القنطرة الذي يسمح بالمرور بين التل و الصحراء وما زال حتى الوقت الحاضر الممر الرئيسي بين الشمال والجنوب الشرقي للجزائر.

(2) من هؤلاء الشعراء ابن هاني الأندلسي لجعفر أمير المسيلة قائلا:

خليلي أ بين الزاب مني وجعفر.... وجنة عدن بنت عنها و كوثر

الواضح مما سبق ذكره، أن إقليم الزاب: هو تلك المنطقة الموجودة على السفوح الجنوبية لجبال الاوراس، و التي تتميز بالانسياط وتتصل شيئا فشيئا بالصحراء. يمتد من حدود المسيلة و نقاوس شمالا، إلى وركلة (وارجلين)* و وادي ريغ جنوبا، ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا، وتبعد مدينة بادس هذه عن بسكرة بنحو 110 كيلومتر، ويمكن التمييز بين ثلاثة أجزاء من الزاب :

1. الزاب الشرقي: بين سفح تلال أوراس و شط ملغيغ، ويضم سيدي عقبة، سريانه،

اوماش، زريبة الوادي، وبادس وخنقة سيدي ناجي.

2. الزاب الظهر اوي أو (الزاب الشمالي): بين تلال الزاب و وادي جدي يضم

بوشقرون، ليشانة، فرفار، طولقة، التي تعد قصبه هذا الجزء من الزيبان.

3. الزاب القبلي أو (الجنوبي): ويفصله عن الزاب الشمالي شريط من الأراضي الرملية

و سبخات، من قراه أولاد جلال، اورلال، الدوسن، مليلي⁽¹⁾.

ويذكر زهير الزاهري* وهو من الباحثين في تاريخ المنطقة (الزاب) نقسم المنطقة إلى ثلاثة أقسام:

• الزاب الشرقي: الذي يمتد من أقدام الاوراس إلى شط ملغيغ.

• الزاب الصحراوي: الذي يقع بين جبال الزاب و وادي جدي.

• الزاب الظهر اوي⁽²⁾: المفصول عن السابق بواسطة حزام رملي وسهول رعوية⁽³⁾.

خامسا: دور القبائل العربية من بني هلال في المنطقة:

و قال الحاج أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ في حضرة أبي عنان المريني:
دخلت بلاد الله شرقا ومغربا فلم تر عيني مثل بسكرة يبسا
ورد أبي عنان المريني بقوله : ويا قبح ما أسود القتام بوجهها..... فمذ غشي الأبصار لم تبصر الشمس
خسراه سحقا لابن هان لقد غوي..... بمدح بلاد الزاب إذا عدم الحسا.

انظر النميري:المصدر السابق، ص441.

* وركلة أو ورجلان وهي مدينة ورقلة الحالية.

(1) عبد الرحمن الجليلي : تاريخ الجزائر العام، الجزر الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ط 7، ص56.

* زهير الزاهري: 1999-1908 "شاعر وباحث في التاريخ ،لقب بعميد الملتقيات الجزائرية، ولد باليانية وتوفي بعنابة ودفن بمسقط رأسه له العديد من المحاضرات حول تاريخ الزيبان".

(2) الزاب الظهر اوي : المقصود به زاب طولقة .

(3) مجلة التاريخ: "أعمال الملتقى الوطني الأول لمراسلي مركز الدراسات التاريخية الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية"، الجزائر العاصمة، النصف الثاني من سنة 1985، رقم19، ص ص73-78.

شهدت المنطقة توافد العديد من الهجرات العربية عقب الفتح الإسلامي للمنطقة، أما قبائل بني هلال التي تمت علي دفعات، وتشير المصادر إلي أن توافدهم علي المنطقة استمر نصف قرن تقريبا، ومن أهم هذه القبائل "الاثبج". ويقول ابن خلدون⁽⁴⁾ في هذا الصدد "كان هؤلاء الاثبج من الهالبيين أوفر عددا وأكثر بطونا، وكانت مواطنهم جبال أوراس من شرقه"، وقد كانت لهم الحظوة والمكانة خاصة في العهد الحفصي، ويذكر ابن خلدون أن الدولة أقطعت لقبيلة كرفه من بطون الاثبج جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثير من البلاد الشرقية حيث كانت محلاتهم الصيفية، حيث كانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان"⁽¹⁾.

و الحيز الجغرافي المقصود في هذه الدراسة وما يوجد به من معالم أثرية إسلامية، هو منطقة الزاب الشرقي، و الذي يمتد من منطقة سيدي عقبة إلى بادس وخنقة سيدي ناجي، يضم الواحات و القرى (سيدي عقبة، بادس، الفيض، زريبة الوادي، زريبة حامد، و الخنقة، و التي تعد الحد الفاصل لولاية بسكرة مع ولاية خنشلة و التي تقع في السفوح الجنوبية للكتلة الأوراسية). يتميز بالانبساط و الاستواء في اغلب مناطقه، على مسافة 100 كيلومتر من مقر بلدية بسكرة حتى خنقة سيدي ناجي، وبعرض حوالي 30 كيلومتر، وبذلك تبلغ مساحته الإجمالية بحوالي 3000 آلاف كيلومتر مربع.

ولعل وصف ابن خلدون لهذه المنطقة بالبسيط، الدليل على انبساط المنطقة التي تقع أسفل المنحدرات الأوراسية، وهو بذلك يتشكل أساسا من: روافد الأودية ومصباتها وما تفرغه أثناء جريانها من طمي وأشياء تحملها من أعالي الكتلة الأوراسية، لهذا تشكل الأودية المصدر الرئيس للتزود بالمياه في السقي أو الزراعة و باقي الاستعمالات الحياتية اليومية لسكان المنطقة، فالتساقط ضئيل باعتبار منطقة الزاب الشرقي خاصة و الزاب عموما، تقع في منطقة الحارة و جافة نادرة التساقط و التي لا تتجاوز عموما وفي أفضل حالاتها 200 ملم سنويا. وهكذا مع مرور الزمن أصبح مصطلح الزاب ينحصر فقط على منطقة بسكرة، و أصبحت هذه الولاية يقترن اسمها بالزيبان وأصبح الزاب يشكل هلال خصيب يحيط بالكتلة الأوراسية و الصحراوية، من سيدي خالد و أولاد جلال من الجنوب الغربي، إلى

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ص27.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ص27.

خنقة سيدي ناجي و الفيض من جهة الجنوب الشرقي، ومن التخوم الأوراسية و الأطلس الصحراوي، شمالا إلى الصحراء و الرمال جنوبا. (خريطة5)

و قبل أن أختتم هذا المدخل أود الإشارة إلي بعض ما جاء من أدعية في فضائل إفريقية
سادسا: ما جاء من أدعية في فضائل إفريقية:

جاء في فضل إفريقية العديد من الأدعية للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عليه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " (1).

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال عصابة من أمتي بالمغرب يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة، لا يضرهم من خالفهم حتى يرو يوما غماما فيقولون : غشيتم فيبعثون سرعان خيلهم ينظرون فيرجعون إليهم الجبال قد سيرت فيخرون سجدا فتقبض أرواحهم " (2).

وقال أبو بكر المالكي لا يعلم أن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع من المواضع إلا القيروان، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه في حجة الوداع أخذ من شعره أبو زمعة البلوي رضي الله عنه وجعله في قلنسوته، فلما مات بالقيروان دفن بها معه. فهذه مزية لأهل القيروان عظيمة ومنفعة جليلة لا يشاركون فيها غيرهم من بلاد المغرب حيث ضمت أرضهم بعض جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، ففقلوا فذكروا لرسول الله شدة برد أصابهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لكن إفريقية أشد بردا و أعظم أجرا " (4).

هذه المكانة لإفريقية و المغرب دفعت المسلمين إلى مواصلة الفتوحات في إفريقية و المغرب وقد احتاج العرب إلى نحو سبعين سنة ليتغلبوا على مقاومة البربر و الروم و الوصول بالفتح الإسلامي إلى أقاصي البلاد و السبب في ذلك أن العرب المسلمين فتوحهم للمغرب لم يقتصر على السواحل كما فعل من سبقهم من الروم والبيزنطيين والوندال.

(1) صحيح مسلم: تحقيق وتخريج أحمد زهوية وأحمد عناية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة 1، 2004م، ص818

(2) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص6.

(3) الأسيدي الدباغ: المصدر السابق، ص 13.

(4) البكري : المصدر السابق، ص 21 .

الفهارس

- 1 فهرس الخرائط.
- 2 فهرس الأشكال الصور.
- 3 فهرس الصور.
- 4 فهرس الموضوعات.

الفهارس:	الصفحة:
1. ثبت المصادر والمراجع.....	154-167
2. ملحق الخرائط.....	168-173
3. ملحق الأشكال.....	173-193
4. ملحق الصور.....	194-298
5. فهرس الخرائط.....	299
6. فهرس الأشكال.....	300-301

7. فهرس الصور 307-302
8. فهرس الموضوعات 310-308

الخريطة:	الصفحة:
1 موقع بسكرة بالنسبة للجزائر.....	168
2 الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب وبلاد الأندلس	168
3 إقليم الزاب ضمن مملكة بجاية وتونس في العهد الاغربي.....	169
4 إقليم الزاب تحت النفوذ الاغربي.....	169
5 إقليم الزاب في الوقت الحاضر.....	170
6الموقع الإداري لبلدية سيدي عقبة.....	170
7أ المسلك الذي اتخذته الفاتح عقبة بن نافع من طبنة إلي تهودة.....	171
7ب الطرق والمسالك الرومانية بالمنطقة.....	171
8 القلاع الرومانية التي أقيمت على مصبات الأودية في منطقة الأوراس.....	172
9الموقع الإداري لبلدية سيدي ناجي والبلديات المحيطة بها.....	172
10مسار رحلة الحج والتي تمر بكل من سيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي.....	173

الشكل:

الصفحة:

- 1: مراحل التوسع العمراني لبلدية سيدي عقبة حسب الرواية المتداولة حالياً 173
- 2: عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة 174
- 3: وجود قبر الفاتح عقبة بن نافع و قبر سيدي عسكر المجاور لمسجد سيدي عقبة بنفس المستوى من الأرضية 174
- 4أ: شكل مسجد سيدي عقبة في سنة 1847 175
- 4ب: مخطط مسجد عقبة بن نافع من عمل الطالب 175
- 5أ: مخطط مسجد سيدي عقبة هنري سيمون 176
- 5ب: مخطط مسجد عقبة بن نافع عبد العزيز شهبي 176
- 6: مخطط المسجد النبوي الشريف في بداياته الأولى 177
- 7: وسائل الدعم المستعملة بين التيجان وأقواس الرواق 177
- 7ب: محراب مسجد سيدي عقبة زخرفة تيجان سواري المحراب 178
- 8: زخرفة تيجان سواري المحراب 178
- 9: رسم تخطيطي للزخارف الجصية المستعملة في محراب مسجد سيدي عقبة 179
- 10: تركيب وزخرفة منبر مسجد سيدي عقبة 180
- 11أ: رسم تخطيطي لمئذنة جامع سيدي عقبة مع مقطع أفقي للمئذنة 180
- 12: رسم تخطيطي للباب التذكاري بجامع سيدي عقبة 180
- 13: نماذج من الزخارف النباتية بجامع عقبة بن نافع 181
- 14: نماذج من عناصر الزخرفة النباتية المستعملة بمسجد سيدي عقبة 181
- 15: نماذج من الزخارف الهندسية بجامع عقبة بن نافع 182
- 16: نماذج من الزخارف الهندسية المستعملة في المساجد بالجزائر 182
- 17أ: نموذج من الخط الكوفي و النسخي بجامع عقبة بن نافع 183
- 18أ: نموذج من الخط الرقعي والتوقيعي بجامع عقبة بن نافع 183
- 19: القناة الرومانية التي استغلها سكان الخنقة في الزراعة 184
- 20: مسجد سيدي المبارك و المدرسة الناصرية والمقبرة الملحقة 184
- 21: بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك 185
- 22: صحن مسجد سيدي المبارك 185
- 23: أنواع التيجان المستعملة في عمارة خنقة سيدي ناجي 186
- 23: صحن مسجد سيدي المبارك 186
- 24أ: طريقة وضع الحجارة في عقود عمارة خنقة سيدي ناجي 186
- 24ب: شكل العقد النصف دائري المتجاوز 187
- 25: الوسائل المستعملة بين التاج والعقد في عمارة الخنقة 187
- 26: رسم تخطيطي محراب جامع مسجد سيدي لمبارك 188
- 27: مقطع طولي لمئذنة سيدي المبارك 188
- 28: المدرسة الناصرية 189
- 29أ: ب: الطابق الأرضي من السرايا (منزل أسرة بن حسين) 189
- 30: يبين الطابق الأول من السرايا 190
- 31أ: يبين الطابق الثاني من السرايا 190

- 31ب: العقود المتجاوزة في عمارة خنقة سيدي ناجي.....191
- 32:يبين الطابق الثالث من السرايا.....191
- 33:المراوح النخيلية المستعملة في الزخارف على أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المبارك.....192
- 34أ:يبين نماذج من العقود الرومانية.....192
- 34ب:عقد نفقي استعمل في المدرسة الناصرية.....193
- 35: شجرتا سرو يتوسطهما هلال.....193

الصفحة:

الصورة:

- 1:تصوير جوي لموقع بسكرة بالنسبة للجزائر.....194
- 2:تمثل بعض البقايا الرومانية التي عثر عليها في المنطقة.....195
- 3:تصوير جوي لواجهة سيدي عقبة.....194
- 4أ:تصوير جوي لمنطقة تهودة.....196
- 4ب،ج:تصوير جوي لبقايا مدينة تهودة الرومانية.....196
- 5:شاهد قبر عبد الرحمان بن حيوة المؤرخ بـ 128هـ.....197
- 6:تصوير جوي لمسجد سيدي عقبة والمركب الإسلامي الذي أقيم بجانبه.....197
- 7:منظر عام لبيت الصلاة بجامع عقبة.....198
- 8ب:بانكة تتوسط بيت الصلاة بمسجد سيدي عقبة.....198
- 9أ:إحدى الغرف التي كانت مستعملة من طرف طلبة المسجد.....199
- 9ب:محارات كانت تستعمل من طرف الطلبة في المسجد.....199
- 10:بئر مسجد سيدي عقبة التي كانت تزوده المياه الضرورية.....200
- 11:غرفة ضريح عقبة بن نافع.....200
- 12أ:الباب الشرقي لغرفة باب الضريح.....201
- 12ب:باب غرفة الضريح.....201
- 13:ضريح سيدي عقبة داخل الروضة.....202
- 14ب:مداخل بيت الصلاة بمسجد سيدي عقبة في الجدار الغربي للمسجد.....202
- 14أ:المدخل الغربي لمسجد سيدي عقبة.....203
- 15:النوافذ في مسجد سيدي عقبة.....203
- 16أ،ب:عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة.....204
- 17:أنواع التيجان المستعملة في مسجد سيدي عقبة.....205
- 18:الروابط في مسجد سيدي عقبة.....205
- 19:العقود المستعملة في مسجد سيدي عقبة.....206
- 20:عقد مدبب بمسجد سيدي عقبة يتقدم باب المئذنة.....206
- 21أ:العقود التي ترفع القبة التي تتقدم محراب مسجد سيدي عقبة.....207
- 21ب:عقد نصف دائري تزينه أخاديد.....207
- 22:محراب مسجد سيدي عقبة.....208
- 23:الأعمدة الثلاثية الملتصقة التي تزين محراب مسجد سيدي عقبة.....208
- 24:الجزء العلوي من محراب مسجد سيدي عقبة.....209
- 25أ:كتابة تزين طره المحراب.....209

- 25ب: الزخرفة التي تزين محراب مسجد عقبة بن نافع من الداخل.....210
- 26:منبر مسجد سيدي عقبة.....210
- 27:الزخرفة التي تزين المنبر.....211
- 28:غرفة المنبر.....211
- 29: قبة ضريح عقبة بن نافع الفهري.....212
- 30:تبين قاعدة القبة التي تتقدم محراب مسجد سيدي عقبة.....212
- 31:القبة التي تتقدم المحراب.....213
- 32:جزء من السقف الأصلي لمسجد سيدي عقبة.....213
- 33:منذنة مسجد سيدي عقبة.....214
- 34:باب طينة.....214
- 35:زخرفة الإطار العلوي لباب طينة التذكاري.....215
- 36أ:أنواع المسامير المستعملة في زخرفة باب طينة.....215
- 36ب:أنواع الزخارف التي تزين باب طينة.....216
- 37أ: بعض الزخارف التي تزين أبواب المسجد.....216
- 37ب: لوحة شاهدة بالخط الكوفي بدون التنقيط "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله".....217
- 38:بلاطات خزفية على جانبي المحراب.....217
- 39:لوحة شاهدة من الحجر كتب عليها بالخط الكوفي "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله".....218
- 40أ: كتابة شاهدة نقشت على الخشب ثبتت على الجدار الغربي لغرفة الضريح.....218
- 40ب:كتابة تزين طره المحراب في مسجد سيدي عقبة وبعض الزخارف الجصية.....219
- 41:الزخارف الجصية التي تزين محراب مسجد سيدي عقبة بن نافع.....219
- 42:عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة.....220
- 43:بلدية خنفة سيدي ناجي صورة جوية.....220
- 44أ: منظر عام لخنفة سيدي ناجي.....221
- 44ب منظر عام لخنفة سيدي ناجي تنحصر بين الجبال ووادي العرب.....221
- 45أ:المدخل الرئيسي لخنفة سيدي ناجي بعد ترميمه.....222
- 45ب: توضيح خنفة سيدي ناجي في عشرينيات القرن الماضي.....222
- 45ج:رغم المرتفعات التي تحيط بالخنفة أحيطت بسور يحميها من هجمات الأعداء.....223
- 46: وادي العرب.....223
- 47:كتابة تأسيسية على يسار محراب بيت الصلاة بمسجد سيدي مبارك.....224
- 48: كتابة تأسيسية على ساكن باب المدرسة الناصرية.....224
- 49:الاسكوب المقابل لمحراب مسجد سيدي المبارك.....225
- 50:صحن مسجد سيدي المبارك.....225
- 51:الرواق المقابل لجدار القبلة بصحن مسجد سيدي المبارك.....226
- 52:نموذج لأحد الأعمدة الاسطوانية يظهر فيها القاعدة والبدن.....226
- 53:البلاطة الموازية لجدار القبلة بمسجد سيدي المبارك.....227
- 54أ:قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية.....227
- 54ب: قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية.....228
- 55أ: شكل أحد التيجان في بيت الصلاة مسجد سيدي المبارك.....228
- 55ب:تيجان بسيطة مستعملة في صحن المدرة الناصرية.....229
- 55ج: تيجان كورنثية في صحن المدرسة الناصرية.....229
- 56أ: أنواع عقود بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....230

- 56ب: عقد نصف دائري في صحن المدرسة الناصرية.....230
- 57: الوسائل المستعملة في الانتقال بين العقود والتيجان بمسجد سيدي المبارك.....231
- 58: الروابط الخشبية بمسجد سيدي المبارك.....231
- 59: الباب الذي يتوسط الجدار الشمالي لبيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك والذي يدخل للمدرسة الناصرية.....232
- 60: الجزء العلوي لباب بيت الصلاة المؤدي للصحن بمسجد سيدي المبارك.....232
- 61أ: منظر خلفي لأحد الأبواب بمسجد سيدي المبارك مازال على حالته الأصلية.....233
- 61ب: طريقة غلق وفتح الأبواب في مسجد سيدي المبارك.....233
- 62: باب غرفة منبر مسجد سيدي المبارك.....234
- 63: باب غرفة الإمام على يمين المحراب ببيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....234
- 64أ: قباضتان على باب المدرسة عليها زخارف هندسية.....235
- 64ب: باب المدرسة الناصرية.....235
- 65: الباب الغربي لمسجد سيدي لمبارك.....236
- 66: بويب فتح في الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك يدخل للروضة.....236
- 67: توضيح شكل أحد الأعمدة في فتحة محراب مسجد سيدي المبارك.....237
- 68أ: شمسيات استعملت في بيت الصلاة بجامع سيدي المبارك.....237
- 68ب: استعمال الشمسيات فوق المداخل في المنازل في خنقة سيدي ناجي.....238
- 69: محراب مسجد سيدي المبارك.....238
- 70أ: ب: نتوء في الجدار الجنوبي لمسجد سيدي المبارك.....239
- 71أ: الجزء العلوي لمحراب بيت الصلاة.....258
- 71ب: إفريز من الزخارف النباتية تزين إطار محراب مسجد سيدي المبارك.....240
- 72: استعمال التناظر لملاً الفراغ في محراب مسجد سيدي المبارك.....240
- 73: الزخرفة التي تزين طره المحراب بمسجد سيدي المبارك.....241
- 74أ: ب: منبر مسجد سيدي المبارك.....242
- 75: السكة المستعملة في جر المنبر إلي داخل وخارج المشكاة بمسجد سيدي المبارك.....241
- 76أ: قاعدة القبة التي تتقدم محراب بيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك.....243
- 76ب: القبة التي تتقدم المحراب بمسجد سيدي المبارك فتحت في رقبته نوافذ.....243
- 77: قبة ضريح سيدي المبارك.....244
- 78أ: كتابة تأسيسية ثبتت فوق مدخل غرفة الضريح سيدي المبارك.....244
- 78ب: زخارف جصية تزين سقف قبة ضريح سيدي المبارك.....245
- 79: القبة التي تعلو ضريح محمد بن حسين.....245
- 80أ: قبة المقبرة (التربة).....246
- 80ب: شكل العقود التي تحمل القبة التي تعلو المقبرة.....246
- 81أ: استعمال العوارض بين التيجان والجدران في صحن مسجد سيدي المبارك.....247
- 81ب: المواد المستعملة في تسقيف المقبرة تتمثل في جذوع النخيل وأشجار العرعار.....247
- 81ج،د: طريقة التسقيف المستعملة في المباني بخنقة سيدي ناجي.....248
- 82: سقف بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك بعد ترميمه واستعمال المواد الحديثة.....249
- 83: الجبال المحيطة ببلدة خنقة سيدي ناجي المصدر الأساسي لمادة التافز.....249
- 84أ: ب: عناصر الإضاءة المستعملة في مسجد سيدي لمبارك.....250
- 85: استعمال الخشب في التسقيف في مسجد سيدي المبارك.....251
- 86: بيض النعام معلقة في بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....251
- 87أ: غرفة ضريح سيدي المبارك.....252
- 87ب: كتابة شاهدة في غرفة ضريح سيدي المبارك.....252

- 88:ضريح احمد بن ناصر.....253
- 89:لوحة شاهدة على ضريح محمد بن حسين علي الجدار الجنوبي للضريح.....253
- 90:زخارف كتابية بخط مغربي و هندسية ونباتية تزين نافذة ضريح بن حسين.....254
- 91: صورة مؤذنة مسجد سيدي المبارك.....254
- 92: جوسق مؤذنة مسجد سيدي المبارك.....255
- 93:سارية ذات قاعدة مربعة في الشرفة التي تعلو المؤذنة في مسجد سيدي المبارك.....255
- 94أ،ب،ج:منظر من شرفة المؤذنة بمسجد سيدي المبارك.....256
- 95:محراب صحن مسجد سيدي المبارك.....257
- 96:كتابة تأسيسية على ساكف باب المدرسة الناصرية.....257
- 97:صحن المدرسة الناصرية المبلط بالأجر الأحمر.....258
- 98أ،ب:المحارات التي كانت تستعمل في المدرسة الناصرية.....259
- 99:تبيين الطابق الأرضي والأول بالمدرسة الناصرية.....260
- 100:رواق الطابق الأول.....260
- 101:المقبرة الملحقة بالمسجد أو ما تعرف "بالتربة".....261
- 102أ،ب،ج:شواهد القبور في مقبرة سيدي ناجي.....262
- 103: شواهد القبور العثمانية في مقبرة الكتانية بقسنطينة.....261
- 104:كتابة شاهدة غير متقنة على احد القبور بالمقبرة.....263
- 105:السرايا قبل عملية الترميم.....263
- 106:منظر عام للسرايا أو منزل أسرة بن حسين بعد عمليات الترميم.....264
- 107:المدخل الرئيسي للرحبة.....264
- 108:منظر عام للرحبة التي تفصل بين مسجد سيدي المبارك والسرايا.....265
- 109:طريقة العقود المتشابكة التي استعملت في تسقيف السقيفة"الرحبة" داخل السرايا.....265
- 110:قبو مخصص للجلوس داخل السقيفة بداخله مشكاة.....266
- 111أ:الرواق المدخل للسرايا.....266
- 111ب: رواق جانبي داخل الرحبة.....267
- 112:دكانات ملاصقة لجدار المسجد وجدار السرايا تخصص للجلوس.....267
- 113: تبيين الصحن والأروقة المطلة على وسط الدار في سرايا الخنقة.....268
- 114أ،ب:غرفة مستطيلة في الطابق الأرضي.....269
- 115: تبيين طريقة البراميل في تسقيف غرف الطابق الأرضي للسرايا.....270
- 116:بئر يتوسط صحن السرايا.....270
- 117:تبيين الأروقة الجانبية في الطابق الأول المطلة على الصحن أو وسط الدار.....271
- 118أ:أحد السلالم الجانبية داخل السرايا.....271
- 118ب: تبيين السلم في الطابق الثاني من السرايا.....272
- 119:منظر الطابق الثاني من قصر السرايا بعد الترميم.....272
- 120:زخرفة نباتية قوامها شجرة السرو وهندسية قوامها الدائرة تزين إطار نافذة في السرايا.....273
- 121أ:منظر داخلي لأحدى الغرف في الطابق الأول من السرايا.....273
- 121ب:العقود النصف دائرية المتجاوزة داخل إحدى الغرف استعملت كمشكاوات.....274
- 122:الرواق المخصص للرجال في الطابق الأول في السرايا.....274
- 123:العقود المتجاوزة نصف دائرية تطل على وسط المنزل بعد عمليات الترميم.....275
- 124:العقود المتجاوزة في الطابق الأول.....275
- 125أ: نقوش رخامية بأحد أطر النوافذ بدار عزيزة ونجد ما يماثلها في أطر نوافذ وأبواب السرايا
ومسجد سيدي لمبارك.....276
- 125ب:منظر جانبي يبين الجزء الشرقي من منزل أسرة بن حسين.....276

- 126أ:البئر السلمي يستعمل عادة لتخزين الأغراض.....277
- 126ب:غرفة صغيرة من المحتمل أنها كانت تستعمل كمخزن داخل السرايا.....277
- 127:السطح بالطابق الثاني من السرايا.....278
- 128أ،ب:الحجارة التي استعملت في التيجان والأعمدة بمسجد سيدي المبارك.....279
- 129:استعمال النوافذ في الطوابق العليا من المنزل.....278
- 130:النوافذ المقضبنة و الشمسيات في طوابق العليا للسرايا.....280
- 131:الطريق المؤدي إلي الدمس حيث نلاحظ تقابل الدكنات داخل الدمس.....280
- 132 نافذة في الطابق الأول مقضبنة تزخرف إطارها زخارف هندسية ونباتية.....281
- 133أ:استغلال الحجارة في زخرفة مسجد سيدي المبارك والسرايا.....281
- 133ب:العارضة الجانبية للباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....282
- 134أ:طريقة الحفر البارز وأسلوب تنفيذ الزخارف البارزة في مسجد سيدي المبارك.....282
- 134ب:ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....283
- 134ج:الزخارف النباتية والهندسية المستعملة في تزيين إطار الباب الغربي.....283
- 134د:زخارف نباتية قوامها وردتان رباعيتا الفصوص تتوسطهما دائرة بها نجمة سداسية.....284
- 135أ:زخارف نباتية قوامها مزهرية تنبعث منها ورود ثمانية وخماسية الفصوص.....284
- 135ب،ج:مزهرية علي احد الأبواب في مسجد سيدي المبارك.....285
- 136أ:الزخرفة النباتية بطريقة الحفر الغائر قوامها زهرة القرنفل ومراوح نخيلية.....286
- 136ب:زخارف نباتية وهندسية تزين قاعدة إطار الباب الغربي بمسجد سيدي المبارك.....286
- 136ج:زخارف نباتية وهندسية وفلكية قوامها الهلال والمراوح النخيلية والأزهار تزين تيجان أعمدة وإطار محراب بيت الصلاة لمسجد سيدي المبارك.....287
- 137 شجرة السرو على إطار أحد نوافذ السرايا.....287
- 138:نوع الزخرفة على ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....288
- 139أ:أشكال هندسية قوامها الدائرة بداخلها أوراق تتطلق من مركز الدائرة.....288
- 139ب:زخارف نباتية وهندسية تزين إطار باب غرفة الإمام.....289
- 139ج:زخارف متنوعة نباتية وهندسية أعلى مدخل الباب المدخل لصحن المسجد.....289
- 140أ،ب:استعمال المسامير الحديدية في زخرفة الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....290
- 140ج:زخارف هندسية جصية تزين محراب مسجد سيدي المبارك.....291
- 141:طريقة الحفر الغائر في نقش الأشكال الهندسية في أطر النوافذ والأبواب بمسجد سيدي المبارك والسرايا.....291
- 142أ:استعمال العوارض الخشبية والطوب والأجر في مبني السرايا.....292
- 142ب:استعمال الحجارة في البناء لمقاومة السيول الجارفة من واد العرب.....292
- 142ج:تقنية البناء التي كانت سائدة في مباني الخنقة.....293
- 141ب:تاج سارية المحراب بمسجد سيدي المبارك والزخرفة التي تزيينه.....293
- 143أ:مواد البناء المستعملة في عمارة الخنقة.....294
- 143ج،د:منظر سفلي لسلم في أحد المنازل بالخنقة.....295
- 144:زخرفة تزين إطار الروضة الخاصة بضريح أحمد بن ناصر.....295
- 145أ:العقود المتجاوزة في المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك.....296
- 145ب:العقود النصف دائرية التي كانت موجودة في السرايا قبل انهيار جزء منها.....296
- 145د:تقنية السنبل في البناء بعمارة الخنقة.....297
- 145ج:تقنية السنبل في البناء بعمارة الخنقة.....297
- 146أ:استعمال اللين والأجر في عمليات الترميم.....298
- 146ب:عمليات الترميم العشوائية التي تمت علي السرايا دون دراسة علمية.....298

فهرس الموضوعات

العنوان:	الصفحة:
الإهداء.....	1.....
الشكر.....	2.....
قائمة المختصرات.....	3.....
المقدمة.....	13-4.....
*مدخل عام.....	28-1.....
أولاً: الإطار الجغرافي.....	3-2.....
ثانياً: الإطار التاريخي.....	9-3.....
ت- منطقة بسكرة في فترة ما قبل التاريخ والحقبة الرومانية.....	5-3.....
ث- بسكرة في المصادر والنصوص التاريخية الإسلامية.....	9-6.....
ثالثاً: : الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.....	21-9.....
أ- التعريف ببلاد إفريقية والمغرب.....	12-10.....
ب- الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.....	21-12.....
رابعاً: مفهوم الزاب ومدلوله الجغرافي.....	39-21.....
ت- الزاب لغة.....	23..21.....
ث- الزاب اصطلاحاً.....	26-23.....
خامساً: دور القبائل العربية من بني هلال في لمنطقة.....	27-26.....
سادساً: ما جاء من أدعية في فضل إفريقية.....	28.....
*الفصل الأول: ضريح عقبة بن نافع الفهري ومسجده.....	74-29.....
أولاً: التعريف بالبلدية.....	34-31.....
أ- الموقع الجغرافي.....	31.....
ب- لمحة عن المناخ السائد في المنطقة.....	33-31.....
• (الحرارة، التساقط، التبخر، الجفاف، الرياح، سرعة الرياح، العواصف الرملية).....
ت- تأسيس بلدة سيدي عقبة.....	34-33.....
ثانياً: ضريح عقبة بن نافع مسجده.....	47-35.....
أ- ظرفية التأسيس.....	35.....
1. نسبه.....	42-35.....
2. إشكالية موقع ضريح عقبة بن نافع.....	44-42.....
3. قصة الكشف عن القبر.....	45-44.....

47-45.....	● استخلاصات.....
74-48.....	ثالثاً: الدراسة الوصفية التحليلية
48.....	أ- الوصف العام للمسجد.....
50-49.....	1. بيت الصلاة.....
51-50.....	2. الصحن.....
51.....	3. ملاحق المسجد.....
52-51.....	4. المداخل.....
52.....	5. النوافذ.....
54-53.....	6. وسائل الدعم.....
53.....	7. الأعمدة.....
54-53.....	8. التيجان.....
54.....	9. الدعامات.....
55.....	10. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.....
55.....	11. العقود.....
55.....	ب- العناصر المعمارية.....
58-55.....	1. المحراب.....
59-58.....	2. المنبر.....
60.....	3. نظام التغطية.....
62-60.....	1-3 القبة.....
63.....	2-3 السقف المسطح.....
66-63.....	4. المئذنة.....
69-67.....	ج- العناصر الزخرفية بمسجد سيدي عقبة.....
69-67.....	1. وصف الباب التذكري لجامع سيدي عقبة (باب طينة).....
72-69.....	2. أنواع الزخارف الموجودة في المسجد.....
69.....	1-2 الزخارف النباتية.....
70.....	2-2 الزخارف الهندسية.....
72-71.....	3-2 الزخارف الكتابية.....

74-73.....	رابعاً: الاستخلاصات
124-75	*الفصل الثاني: مسجد سيدي المبارك بن ناجي والمدرسة الناصرية
76.....	أولاً: التعريف بالبلدية
76.....	أ- الموقع الجغرافي
76.....	ب- الموقع الإداري
77.....	ت- إشكالية التسمية
79-78.....	ث- المناخ السائد في منطقة سيدي ناجي (الحرارة، التساقط، الرطوبة، الرياح)
81-80.....	ج- اختيار موقع الخنقة
93-82.....	ح- ظرفية التأسيس

	ثانياً: مسجد سيدي المبارك بن ناجي
96-94.....	أ- ظرفية التأسيس
96.....	ب- الوصف العام للمسجد
97.....	1. بيت الصلاة
97.....	2. الصحن
98.....	3. الدعامات والأعمدة
99.....	4. التيجان
99.....	5. العقود
100.....	6. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود
102-100.....	7. المداخل
102.....	8. النوافذ
	ج- العناصر المعمارية للمسجد
104-103.....	1. المحراب
105-104.....	2. المنبر
108-106.....	3. نظام التغطية
112-111.....	4. المنذنة
113.....	5. الصحن

	ثالثاً: الأضرحة الموجودة بمسجد سيدي المبارك
110-108.....	1. ضريح سيدي المبارك
110.....	2. ضريح أحمد بن ناصر
111-110.....	3. ضريح بن حسين محمد بن حسين

	رابعاً: المدرسة الناصرية
116-114.....	1. ظرفية التأسيس
119-116.....	2. الوصف العام للمدرسة
121-120.....	3. المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك

124-122.....	• الاستخلاصات:
149-125.....	*الفصل الثالث: السرايا (منزل عائلة بن حسين)
128-127.....	• تمهيد

.....	أولاً: الوصف العام للسرايا
130-129.....	1. التصميمات العامة
130.....	2. السقيفة
131.....	3. الصحن
132.....	ثانياً : أقسام السرايا
132.....	1. الطابق الأرضي
134-133.....	2. الطابق الأول
135.....	3. الطابق الثاني
136.....	ثالثاً : الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا
137.....	1. الدمس
137.....	رابعاً: أنواع الزخارف المستعملة في السرايا ومسجد سيدي المبارك
140-137.....	1. الزخارف النباتية
141.....	2. الزخارف الهندسية
143-141.....	3. العناصر الرمزية الفلكية
145-143.....	4. الزخارف الكتابية
146-145.....	خامساً: المواد المستعملة في الزخرفة
149-147.....	• الاستخلاصات
153-150.....	• الخاتمة
166-154.....	• ثبت المصادر والمراجع
173-167.....	• ملحق الخرائط
193-173.....	• ملحق الأشكال
298-194.....	• ملحق الصور
299.....	• فهرس الخرائط
301- 300.....	• فهرس الأشكال
307-302.....	• فهرس الصور
310-308.....	• فهرس الموضوعات

- ثبت المصادر والمراجع.....166-154
- ملحق الخرائط.....173-167
- ملحق الأشكال.....193-173
- ملحق الصور.....298-194
- فهرس الخرائط.....299
- فهرس الأشكال.....301- 300
- فهرس الصور.....307-302
- فهرس الموضوعات.....310-308

أولاً: التعريف بالبلدية.

ث- الموقع الجغرافي.

ج- لمحة عن المناخ السائد في المنطقة

1. (الحرارة، التساقط، التبخر، الجفاف، الرياح، سرعة الرياح، العواصف الرملية)

ح- تأسيس بلدة سيدي عقبة.

ثانياً: ضريح عقبة بن نافع مسجده.

ب- ظرفية التأسيس.

• نسبه.

• إشكالية موقع ضريح عقبة بن نافع.

• قصة الكشف عن القبر.

ثالثاً: الدراسة الوصفية التحليلية.

ت- الوصف العام للمسجد.

1. بيت الصلاة.
2. الصحن.
3. ملاحق المسجد.
4. المداخل.
5. النوافذ.
6. وسائل الدعم.
7. الأعمدة.
8. التيجان.
9. الدعامات.
10. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.
11. العناصر المعمارية.

أ- المحراب.

ب- المنبر.

ت- نظام التغطية.

1. القبّة

2. السقف المسطح

ج- المنذنة.

ح- العناصر الزخرفية بمسجد سيدي عقبة.

أ- وصف الباب التذكاري لجامع سيدي عقبة (باب طينة).

ب- أنواع الزخارف الموجودة في المسجد.

1. الزخارف النباتية.

2. الزخارف الهندسية.

3. الزخارف الكتابية.

رابعاً: الاستخلاصات.

أولاً: التعريف بالبلدية:

أ- الموقع الجغرافي:

تقع سيدي عقبة في منطقة انتقالية، بين نطاقين جغرافيين، وهما الأطلس الصحراوي والصحراء، أي المنطقة المسماة السهول الصحراوية وهذا ما أعطاهم موقع إستراتيجي هام (صورة3)، كما أنها منطقة عبور للطريق الوطني رقم 83 الذي يربط مقر الولاية بكل من تبسه، وخنشلة مرورا ببلديات عين الناقة، وزربية الوادي.

فالطريق الولائي رقم 86 يربط بلدية شتمة ببلدية الحوش مرورا بالتجمع الثانوي سريانه. يحدها من الجهة الشمالية، بلدية شتمة ومن الجهة الشمالية الشرقية، بلدية مشونش، أما الجهة الغربية بلدية بسكرة، و من الجهة الغربية والجنوبية الغربية بلدية اوماش، أما الجهة الجنوبية بلدية الحوش والجهة الشرقية بلدية عين الناقة. (خريطة6)

من خلال الخريطة يتبين لنا أن موقع بلدية سيدي عقبة يتوسط الولاية. تتربع بلدية سيدي عقبة على مساحة قدرها حوالي 254.55 كلم² وهي تنظيم مقر البلدية والتجمعين الثانويين قرطه وسريانه.

ب- لمحة عن المناخ السائد بالمنطقة:

منطقة سيدي عقبة تمتاز بمناخ انتقالي ما بين الجاف والصحراوي الجاف لكونها تحت التأثير المباشر للأطلس الصحراوي.

1. الحرارة⁽¹⁾:

من خلال المعدلات الشهرية للقياسات القصوى والدنيا سواء كانت مطلقة أو نسبية في الفترة 1968م/1991م كان متوسط الحرارة - المعدل الشهري - 22,55 درجة مئوية بينما كان المعدل الأقصى 39,6م° والمعدل الأدنى 3,2م° و مدينة سيدي عقبة كونها تقع في سهل مغربي بغابات كثيفة من شجر النخيل لهذا حصلت علي مناخ لطيف محليا مقارنة بمدينة بسكرة وغيرها.

2. التساقط⁽¹⁾ :

مثل كل مناطق جنوب الأطلس الصحراوي التساقط قليل جدا وتوزيعه عبر السنة غير منتظم كما تبينه الإحصائيات التالية(كميات التساقط والتبخر في الفترة الممتدة من 1968 م /1991م) : المعدل الأقصى 16.3 ملم في شهر نوفمبر أما المعدل الأدنى 1.6ملم في شهر جويلية وبذلك يكون المعدل السنوي هو 114ملم ومعدل الأيام الممطرة 35يوما

3. التبخر⁽²⁾ :

ارتفاع درجات الحرارة ينتج عليه بالضرورة ارتفاع كميات التبخر. إذ سجل 479ملم كمعدل أقصى في شهر جويلية كما بينه الجدول السابق المذكور أعلاه. أما بالنسبة للفترة ما بين 1968م/1991 م بلغ 301ملم

4. الجفاف:

تقاس فترة الجفاف بقلة التساقط وارتفاع درجة الحرارة ففي منطقة سيدي عقبة فترة الجفاف هذه تمتد إلي جميع أشهر السنة غير أنها بدرجات متفاوتة أكبر فترة تمد من شهر مارس إلي أكتوبر

5. الرياح:

توجد بلدية سيدي عقبة تحت تأثير تيارين هوائيين متباينين:

(1) مصلحة الأرصاد الجوية محطة بسكرة ما بين 1968م/1991م

(1) مصلحة الأرصاد الجوية محطة بسكرة ما بين 1968م/1991م.

(2) المصدر نفسه.

تيارات شمالية وتيارات جنوبية فهي تحت تأثير خاص من:

- الرياح الشمالية الغربية في فصل الشتاء.

- الرياح الجنوبية الشرقية في فصل الصيف.

أما الرياح الجافة والحارة أي السيروكو تهب من الجهة طوال الفترة الممتدة من أفريل إلى أكتوبر فتبلغ أقصاها في جويلية بمعدل 20.5 يوم في الشهر⁽¹⁾.

فهذه الرياح لها تأثير سلبي على المنتجات الزراعية والمحيط الجوي للسكان والحيوان

6. سرعة الرياح:

ينتج عن سرعة الرياح الجفاف ، ففي مدينة سيدي عقبة السرعة المسجلة للرياح ضعيفة 5.5م/ثا⁽²⁾.

7. العواصف الرملية:

تتعرض بلدية سيدي عقبة ككل مناطق جنوب الأطلس الصحراوي إلى عواصف رملية تمتد من شهر مارس ،أفريل إلى سبتمبر ،أكتوبر فأقصاها سجل في مارس، ابريل بمعدل 6.6 إلى 6.2 يوم⁽³⁾.

خ- تأسيس قرية سيدي عقبة:

قامت القرية على أنقاض مدينة تهوده التي تراجعت (صورة4أ، ب، ج) و(شكل 1) مكانتها شيئا فشيئا، وتحولت إلى خراب بعد ما أصبح ضريح عقبة بن نافع مزارا و مقصد البركة و الدعاء. و شيئا فشيئا بدأت المناطق المجاورة له تشهد استقرارا للسكان على مر الحقب التاريخية.

ويرجح أن يكون تأسيسها في القرنين التاسع والعاشر للهجرة وجعل العرب الساكنون من حولها يستوطنوها قصد البعد عن الفتن التي كانت دائرة آنذاك بين القبائل العربية وهجمات

(1) مصلحة الأرصاد الجوية محطة بسكرة ما بين 1968م/1991 م.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه .

الأعراب على بسكرة، وفرارا من الأوبئة التي كانت تضرب منطقة بسكرة⁽¹⁾ بين الفينة و الاخري، خاصة وان شهرة الضريح كمزار كانت واسعة حيث كانت تستغله بعض القبائل كمورد مالي.

في هذا الصدد يقول برنشفيك⁽²⁾ متسائلا " ألا توجد هناك علاقة بين موقع ضريح سيدي عقبة القريب جدا من ذلك المكان وبين الحظوة التي كانت تتمتع بها مجموعة بن عبد الوادي، الأوراسية؟ وهل كانوا يستغلون أدبيا بل وحتى ماديا ذلك المزار المبجل؟ إلا أن هذا الطرح يخالف توزيع القبائل العربية في منطقة الزاب وفقا لما ذكره ابن خلدون.

- الجانب الغربي منه وقاعدته طولقة لأولاد محمد سباع بن يحي.

- الجانب الوسط وقاعدته بسكرة لأولاد محمد.

- الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادس و تنومه فهو لأولاد ثابت رؤساء كرفه⁽³⁾.

وقد بدأت عمارتها تزداد، واتسع عمرانها في عهد تولية الأشراف عليها خصوصا في عهد

الشيخ احمد بن الحاج وحفيده محمد الصغير، الذي كان شيخا عليها كسلفه ثم أصبح خليفة

للأمير عبد القادر بالمنطقة وله ادوار كثيرة في محاربة الاستعمار.

ثانيا: ضريح عقبة بن نافع ومسجده :

4. ظرفية التأسيس.

على بعد 18 كيلومتر جنوب شرق مدينة بسكرة يقع ضريح سيدي عقبة، و إلى جانبه الجامع الذي يحمل اسمه لحد الآن. و البلدية التي أصبحت مقرونة باسم الفاتح العظيم الذي

(1) الورتيلاني: المرجع السابق ص114.

(2) روبر برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصيين (القرن 13م إلي نهاية القرن 15م)، ترجمة حمادي الساطي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص325 .

(3) ابن خلدون:المصدر السابق، ص 7.

قاد جيوش الفتح الإسلامي إلى إفريقية و المغرب. ونظرا للدور الذي لعبه في الفتوحات والتاريخ الإسلامي، تطرقت له العديد من المصادر التاريخية وكذا المراجع بإسهاب .

4. نسبه.

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر، ومن فهر بن مالك تفرقت القبائل. وقال ابن أبي الفياض إن عقبة ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة (1). بذلك فقد ولد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، أما فيما يتعلق في صحبته، فوقع اختلاف كبير، منهم من يعتبره صحابي بالمولد، ومنهم من يعتبره تابعي.

ويذكر خير الدين الزر كلي (2) " هو عقبة بن نافع بن عبد ألقيس الأموي القرشي الفهري، (1ق هـ- 63هـ) الموافق لـ(621م-683م). فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام وهو باني القيروان. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحبة له، وشهد فتح مصر وكان ابن خاله عمر بن العاص". ويؤكد علاقة النسب تلك بين عمر بن العاص وعقبة بن نافع الفهري الحسن البلاذري (3) في فتوح البلدان " لما فتح المسلمون مصر، بعث عمر بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم، فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخا العاص لأمه". وبذلك فنسب عقبة يمتد إلى أهم البطون العربية. كل من لم ينتسب إلى فهر فليس بقرشي، وقال علي بن كيسان " فهر هو أبو قريش ومن لم يكن من ولد فهر فليس من قريش، وهذا أصح الأقوال في النسبة لا في المعنى" (1). وبنو فهر بطن من بني كنانة، وهو فهر بن مالك بن النظر بن كنانة، ويقال لبني فهر من قريش الظواهر (2)، وقريش الظواهر بنو

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ص19.

أنظر أيضا: ابن حجر العسقلاني: ص 80 .

الأسدي الدباغ: معالم الإيمان، ص44 .

(2) خير الدين الزر كلي: قاموس الأعلام (تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين) ج5، ط

2، ص 138.

(3) أبي الحسن البلاذري: فتوح البلدان تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العلمية، روت، لبنان، 1978، ص238.

(1) ابن عبد البر أنمري القرطبي: القصد و الأمم) في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن تكلم بالعربية من

الأمم)، مكتبة القدسي، القاهرة، عام 1350هـ، ص 67 .

(2) الفلقتشندى أبي العباس أحمد: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري

و دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط3، 1991، ص 200 .

محارب والحارث بن فهر وبنو الأردم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي (3).

بالإضافة إلى هذا النسب، فقد مكنت عقبة بن نافع مشاركته في السن 14 الفتوحات الإسلامية برفقة أبيه في الصحراء المصرية وبلاد النوبة تجربة وحنكة عسكرية كبيرة مكنته من توظيفها، وهو قائد في فتح إفريقية و المغرب.

يقول في هذا الصدد موسى لقبال "... وعقبة بن نافع بن عبد ألقيس الفهري القرشي الصحابي مولدا، وآخر من نزل إفريقية من طبقة الصحابة... لم يكن حديث عهد بهذه الأرض، فقد عرفته منذ أكثر من ربع قرن مجاهدا ومرابطا وداعية ونموذجا لما ينبغي أن يبدو عليه المسلم المتحمس لعقيدته " (4).

اكتسب عقبة من معارك مصر ومن أساليب عمر بن العاص في إدارة القتال خبرة عملية وبرزت موهبة القيادة بصورة مبكرة حينذاك (5).

ولعل طريقة استشهاده وما روي عنه من كرامات و أنه مستجاب الدعوة، جعلت من ضريحه مزارا يحج إليه الناس من كل صوب. تذكر المصادر التاريخية العديد، منها أنه أقام بمكان اسمه اليوم (ماء فرس) ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة و أصحابه على الموت. فصلى عقبة ركعتين و دعا الله، و جعل فرس عقبة يبحث فيه برجليه في الأرض، حتى كشف عن صفات فانفجر منها ماء. فجعل الفرس يمس ذلك الماء فأبصره عقبة فناد في الناس أن احتفروا فحفروا حسبا، فشربوا و استقروا وسمي ذلك ماء فرس . (1)

ويعتبر كارل بروكلمان (2) عقبة المؤسس الحقيقي للحكم العربي في إفريقيا الشمالية ويقول "انه على الرغم من اجتياز عقبة بجيوشه مناطق القبائل البربرية حتى الأطلس الأوسط، فإن

(3) المسعودي: المصدر السابق، ص46

(4) موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج (سياسة ونظم)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 29.

(5) خطاب محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1966، ص 94.

(1) عبد الحكم: المصدر السابق، ص 53.

(2) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1977، ص 127. أنظر أيضا: شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقية من الفتح الإسلامي حتى 1830م ج2، ت محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1978، ص22 "ومعلوم أن جثمان عقبة مدفون في مسجد الواحة

البربر لم يخضعوا له خضوعا كاملا. فقد فر زعيمهم كسيله لينظم بالاتفاق مع الحاميات البيزنطية الباقية في البلاد للمقاومة ضد العرب. بعد ذلك قسم عقبة جيشه في غير حذر، واندفع في الطريق إلى جبال الأوراس على رأس فرقة صغيرة. و في سنة 683م أوقع به البربر عند تهودا على طرف الصحراء الكبرى، فقتل و قتل المسلمين جميعهم. ومن دون شك تأثرت هذه الجماعات الإسلامية من أهل البلاد من النهاية المحزنة التي ختمت بها حياة عقبة ورفاقه، وقد دفن الشهداء حيث ماتوا ووضع على قبورهم أسنمة وجصت، وبني عليها مسجدا ومزارات و أصبحت المنطقة كلها تعرف باسم سيدي عقبة عوضا عن تهودة التي تنوسيت، ووضع أحاديث نسبت للرسول صلي الله عليه وسلم في لعنها مسبقا وتحقير شأنها ونهي الناس عن سكنها، وتعظيم فضل المجاهدين الذين ضمهم ترابها إلى حد ما و أنهم في الأجر بشهداء بدر أولى معارك الإسلام الحاسمة⁽³⁾. و يتفق اغلب المؤرخين على أن عقبة وصحبه، بما فيهم أبو المهاجر الذي كان في وثاقه استشهدوا بطريقة شجاعة تم عن صفات هؤلاء الفاتحين وعن إيمانهم بعقيدتهم. و يصف في هذا الصدد ابن عذارى المراكشي⁽⁴⁾ هذه الطريقة أي استشهاده

"إن عقبة لما وصل إلى مدينة طبنة⁽¹⁾ أمر أصحابه فتقدموا ثقة منه بما دوخ من البلاد، و أنه لا يقوم له أحد ... فصرف أصحابه إلى منازلهم عند قربهم منها، وصار هو إلى مدينة تهودة لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان. فلما انتهى إليها في بقية من معه وكانوا قليلا نظر الروم إليهم فطمعوا فيهم، فأغلقوا باب حصنهم وجعلوا يشتمونه ويرمونهم بالحجارة و النبل وهو يدعوهم إلى الله عز وجل، فلما توسط البلاد بعث الروم إلى كسيله بن لمزم الأربي

التي تحمل اسمه(سيدي عقبة) على بعد 5كلم جنوب تهودة تحت قبة متواضعة البناء يحج إليها أحفاد الذين ساهموا في مقتله"

(3) موسى لقبال:المرجع السابق،43 .

(4) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 29 .انظر أيضا

- ابن عبد الحكم، فتوح البلدان، المصدر السابق ص، ابن خلدون:تاريخ بن خلدون، المصدر السابق، ص 172.
(1) طبنة: ذكرت في العديد من المصادر، منها الاستبصار والبكري وابن خلدون " وهي مدينة كبيرة قديمة عليها صور من طوب ولها حصن قديم عليه صور من صخر جليل ضخمتقن البناء من عمل الأوائل ولها أرباض واسعة وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية و المغرب وبلاد الأندلس فبلغ سببها 20 ألف رأسولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها .

وقيل البر نسي...فركبه البربر في الجيوش العظيمة وغشيه بهم كسيله بقرب تهودة (2). فنزل عقبة رضي الله عنه وركع ركعتين، وقال لأبي المهاجر: ألحق بالمسلمين فقم بأمرهم فأنا أغتتم الشهادة فقال له أبو المهاجر وأنا والله أغتتمها معك. فكسر كل واحد منهما جفن سيفه وكسر المسلمون كذلك أغماد سيوفهم وأمرهم أن يترجلوا عن خيولهم، فقاتلوا قتالا شديدا حتى بلغ منهم الجهد وكثر منهم الجراح وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين ولم يفلت منهم أحد إلا بعض وجوههم أسروا ففداهم صاحب قفصه وبعث بهم إلى زهير بن قيس".

وعلى مسافة ثماني كيلومترات جنوب تهودة التي دارت بقربها المعركة دفن مع أصحابه بجوار بسكرة، فأصبح مدفنه مزارا ومحلا للبركة في المغرب الأوسط وتخليدا لهذه الذكرى عرفت القرية كلها باسم سيدي عقبة (3) وقبر عقبة اليوم بمدينة تهودة على مقربة منها بمرحلة (4).

كما يذكر ابن خلدون " أولئك الشهداء عقبة وأصحابه بمكانهم ذلك من أرض الزاب بهذا العهد. وقد جعل على قبره أسنمة ثم جصص، واتخذ عليه مسجدا عرف باسمه وهو في عداد المزارات و مطان البركة، بل هو أشرف مزور من الأجدات في بقاع الأرض بما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد (1).

كما يقول أنه أسر من الصحابة يومئذ، محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف القيسي ونفر معهم ففداهم بن مصاد صاحب قفصه (2)، ولعل هؤلاء الأسرى هم من دل على قبر عقبة وأصحابه.

(2) تهوده: ذكرتها المصادر التاريخية ووصفتها، بأنها مدينة كبيرة قديمة أزلية، عليها صور عظيم مبني بالحجر الجليل، ولها رياض كبيرة ولها أرياض كبيرة. يدور بجميعةا خندق ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كانت بينهم وبين أحد حرب وخافوا النزول إليهم أجرو ماء ذلك النهر في الخندق المحيط ببلدهم، فامتنعوا منه. وهي كثيرة البساتين و الزرع و النخل وجميع الثمار. انظر البكري المصدر السابق و ابن خلدون المصدر السابق.

انظر أيضا: st.Gsell: op.cit, F.N 49 "مدينة على مصب الوادي الأبيض مدينة رومانية ثابيديوس.
(3) رشيد بورويبة و آخرون: الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 23.

(4) الاستبصار: المصدر السابق، ص 175.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ص 172.

(2) : نفسه، نفس الصفحة .

لم تتطرق المصادر التاريخية إلي تأسيس مسجد عقبة بن نافع واكتفى الرحالة بالإشارة إليه دون البحث عن تاريخ تشييده وإنشائه، مثل البكري، ابن خلدون، الورتلاني، و العياشي. و يقول لوبون⁽³⁾ "أن هذا المسجد هو أقدم أثر ديني إسلامي في إفريقيا". إلا أن المصادر التاريخية والمادية تنفي ذلك فهناك ما هو أقدم منه وهو مسجد القيروان الذي أمر ببنائه عقبة بن نافع سنة 50هـ الموافق لـ 670م.

كما يذكر كارل بروكلمان⁽⁴⁾ "والواقع أن المسجد الذي يضم رفاته في المنطقة التي تحمل اسمه سيدي عقبة جنوبي بسكرة، هو أقدم أثر في فن العمارة الإسلامية في إفريقيا و يعود إلى وقت كانت فيه العمارة لا تزال بسيطة بدائية".

ويضيف قائلا " فكانت المساجد تتألف من فناء، في أحد طرفيه سقيفة على غرار بيت النبي في المدينة، ولكن هذه البساطة لم تلبث أن أصبحت زيا قديما."⁽⁵⁾

إلا أن المصادر التاريخية والأثرية تدحض هذه الآراء، فمسجد القيروان الذي اختطه عقبة بن نافع في سنة 50 هجرية. يعد أول أثر ديني إسلامي في المنطقة، وحتى الشواهد الأثرية التي توجد بالمسجد و الضريح، فهي لا تعطينا صورة واضحة على تأسيس المسجد. فشاهد القبر الموجود على ضريح عقبة بن نافع يفتقر للسنة التي وضع فيها. أما النقيشة* التي توجد في إحدى زوايا المسجد فهي والمؤرخة ب128 للهجرة لا تعطينا صورة واضحة على تأسيس المسجد(صورة5)

وحاول جورج مارسي⁽¹⁾ أن يقارن بين الكتابة الكوفية التي وجدت على الضريح وكتابة وجدت في القيروان في القرن الخامس هجري الموافق لـ الحادي عشر ميلادي. وعلى أساس ذلك يؤرخ لبناء المسجد، إلا أن المهتمين بالدراسات التاريخية و الأثرية في المنطقة أمثال عبد المجيد بن حبة رحمه الله⁽²⁾ أورد في كتاباته حول المسجد أن شاهد القبر وجد

(3) Gustave le bon : **la civilisation des arabes**, S.N.E.D, Algérie, p196.

(4) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص127 .

(5) المرجع نفسه، ص140.

* عثر عليها الباحث والمؤرخ زهير الزاهري في قرية قرطة القريبة من مسجد سيدي عقبة في ثمانينات القرن الماضي وقام بوضعها في مسجد سيدي عقبة

(1) Marçais. George : **l'architecture musulmane d'occident**, p70.

(2) إمام ومدرس، وله كتابات تاريخية، شغل وظيفة إمام بمسجد عقبة بن نافع لسنوات.

بداخل الضريح. كما يقول زهير الزاهري رحمه الله عميد الملتقيات الوطنية أنها ترجع إلى وفاة عقبة، ونقشت قبل حدوث النقاط و التشكيلات بنحو عشرين سنة كما يقول الشيخ التواتي وهو من أعيان المنطقة و إمام سابق.

ويرجح عبد العزيز شهبي⁽³⁾ تاريخ بنائه إلى الفترة الممتدة ما بين، القضاء على مملكة الكاهنة سنة 82 هجري الموافق لـ 701 ميلادي وبين نهاية حكم أسرة الفهريين في إفريقية سنة 140 هجري الموافق لـ 758 ميلادي.

وقد تطرقت بعض المراجع التاريخية لهذا المسجد حيث يقول الدكتور حسين مؤنس⁽⁴⁾ "لا نزاع في أن هذا المسجد يعتبر أقدم مساجد المغرب بعد مسجد القيروان، فالراجح أنه نشأ أول الأمر بجا أو روضة في الموضع الذي استشهد فيه هذا الصحابي الفاتح العظيم... ولا شك أن المسجد قد تناولته يد الترميم مرة بعد مرة قبل أن يصل إلى شكله الحالي، ولكنه ما زال محتفظا بهيئته البسيطة التي ترجع إلى عصوره الأولى".

وقد شهد المسجد إصلاحات وترميمات عدة من قبل الأهالي في البداية، وتواصلت مع مر الزمن حسب إمام المسجد (الزبيري)، ولعل ما قام به الأغلبية عندما كانت منطقة الزاب خاضعة لهم، من إضافات وفي عهد حكم الأمير الزيري المعز بن باديس 406 هـ / 454 هـ الموافق لـ 1062 م / 1106 م. تم ترميم و إصلاح المسجد و تم إضافة شريط كتابي جاء فيه " هذا قبر عقبة بن نافع الفهري "، بالإضافة إلى صنع ووضع الباب التذكري الذي صنع وزخرف في مدينة طنبة و المعروف حاليا بباب طنبة⁽¹⁾ كما يذكر المؤرخين و علماء الآثار كغولفن⁽²⁾، بورويبة⁽³⁾ ومارسي⁽⁴⁾.

(3) شهبي عبد العزيز: مساجد الزاب ووادي ريغ دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه درجة ثالثة، جامعة الجزائر، 1984، ص20.

(4) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص60.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ص 217.

(2) Golvin.Lucien **Le Maghrib centrale a l'époque des Zirides** PP, 86,90.

(3) Bouruiba Rachid. **L'art relegieux musulman en Algérie**, S.N.E.D, 2Edition, Alger 1981, P57.

(4) Marçais. George : **l'architecture musulmane d'occident**, PP, 70-71.

حيث يقول هذا الأخير " ففي أثناء النصف الأول من القرن الحادي عشر تلقى مسجد سيدي عقبة الزخرفة التي نتأمل آثارها " (5).

ويحاول جورج مارسى التأكيد على عمليات الإصلاح التي تعرض لها المسجد بقوله "...هناك مستند آخر يسمح لنا أيضا بتحديد التاريخ (أي تاريخ الإصلاح) وهو الكتابة الكوفية المنقوشة على الحجر، والتي هي الآن مرصعة في احدي زوايا الضريح... ليس لها تاريخ، ولكن شكل الحروف يعطينا معلومات مفيدة وتقريبا كل الحروف التي تكونها لها ما يشابهها في خطوط الكتابة التونسية الموجودة في مقابر القيروان، والتي تعود إلي القرن الحادي عشر ميلادي. (6) ويذكر بورويبة، أن إصلاح المسجد تم على يد المعز بن باديس الزيري عندما هجم على الزاب في الفترة ما بين 429هـ/1037م، و الذي أقام سنتين في المنطقة في هذه الظروف، يكون قد تم إصلاح وتجهيز المسجد. (7) كما شهدت المرحلة العثمانية إصلاح المسجد و طالته يد الترميم، و الشواهد كثيرة حيث تؤرخ لذلك الكتابات الموجودة بالمسجد والتي تعود إلي 1800م وفقا لقراءته لكلمة د.شير على الكتابة المنقوشة على المحراب.

وحسب إمام المسجد الزبيري وعبد المجيد بن حبة وزهير الزاهري، وهم من أعيان المنطقة. وحسب رواياتهم فقد كان الأهالي يقومون بعمليات الترميم وفقا لطبيعة المنطقة و طرق البناء المحلية، و التي تعتمد على المواد الأولية كاللبن و التبن و جذوع النخل و الجص، ونظرا لطبيعة المنطقة المرفولوجية و الفيزيولوجية و التي تتميز بوجودها في منخفض وملتقى أودية كوادي العرب و الوادي الأبيض و وادي مزيرعة و التي كلها تصب في شط ملغيغ، وعادة ما يؤدي ذلك إلي حدوث فيضانات و إلى كوارث طبيعية ولهذا يسارع السكان المحليون بالترميم و التجديد كلما سحبت الفرصة، مثلما حدث بعد الاستقلال حيث تعرضت المنطقة بأكملها(الزاب) إلى فيضانات كبيرة سنة 1969م. هذه الترميمات و الإصلاحات التي تمت على المسجد جعلت من الصعب تحديد تاريخ بنائه رغم محاولات

(5) Marçais. G : *mélange d'histoire et d'archéologie*, P156.

(6) Marçais. G : *op.cit*, même p.

(7) بورويبة رشيد: *الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية*، ص229 .

البعض(الشكل2)، إلا أن عمليات الترميم الأخيرة التي أدخلت على المسجد في إطار الاهتمام به كمعلم تاريخي أثري سنة1997م. كشفت عن المواد الأولية المستعملة في بنائه، كالأعمدة وتيجان، وهي عبارة عن أعمدة حجرية بيزنطية نعتقد أنها من بقايا مدينة تهودة، التي خربت بعدما أصبح الضريح عامل جذب للسكان.

5. إشكالية موقع ضريح عقبة بن نافع.

ظهرت كتابات كثيرة محاولة طمس التاريخ الإسلامي للمنطقة، وذلك بالتشكيك في وجود جثمان عقبة بن نافع بمسجده. ومن بين هؤلاء هنري سيمون (Simon.h) في مقاله تحت عنوان "نقاط حول جامع سيدي عقبة"⁽¹⁾، والذي يستدل في مقاله بنصوص بعض المؤرخين المسلمين كالنويري وابن خلدون والعدواني واضعا استنتاجات وتحليلات لا مكان لها من الصحة. وللدرد على هذه الاستنتاجات نتتبع مسار جيش عقبة عند عودته إلي القيروان للدرد عليها.

- من المحتمل جدا أن يكون عقبة بن نافع وجيشه المتكون من حوالي ثلاثمائة مجاهد، قد عبروا المسلك المعروف ب(طريق) ممر الثنية الوسطي، ويصب هذا الأخير في بلاد الضاية ويربط بين طبنة ومنطقة الزاب (طريق الصحراء)(خريطة7أ)، ومن ثم اتجه الفاتح ومن معه نحو طولقة عبر بلاد السلقة حين قام حسب الرواية المتداولة،

والتي يذكرها الواقدي⁽¹⁾ بفتح المدينة وتحويل كنيستها البيزنطية إلي مسجد، والقيام بصلاة ثلاث أو ست جماعات بالمسجد. ومن طولقة إلي تهودة تكون المسيرة عبر مليلي مرورا بالمسلك المعروف ب(طريق) اوماش الرابطة بينها وبين قرية سيدي عقبة⁽²⁾

(خريطة7ب) ، وبالتالي يكون موقع جيش عقبة بن نافع رضي الله عنه بجنوب مدينة تهودة ، وهو ما يتطابق مع موقع قبره الآن. ولو افترضنا أن عقبة بن نافع أتخذ مسلكا آخر دون هذا كالقادم من بسكرة مثلا، لكان موقع قبره بشمال غرب تهودة وليس بجنوبها، كما أنه لا يوجد نص مكتوب ومروي يذكر أن عقبة بن نافع قد مر عبر بسكرة أو غيرها ماعدا

(1) Simon.h: notes sur le musoleé de sidi Okba, "revue africaine" année1909, p26

(1) الواقدي،محمد: فتوح إفريقية، مطبعة ومكتبة المنار، ج2، 1966، ص3.

(2) محمد دبور: تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاؤه، 1963، ص75.

القصة المذكورة بطولقة. فإذا من المؤكد أن عقبة ورجاله قد عبروا (الطريق) المبين سابقا وليس غيره نحو تهودة .

وتثبت المصادر الأثرية والتاريخية وجود هذا المسلك آنذاك حيث يؤكدون بأنه في الاتجاه الجنوبي الشرقي لطبنة، وذلك نحو القنطرة توجد (طريق) رومانية معروفة تعبر ضاحية الضاية وتتلاقى هذه الطريق مع مسلك سبع مقاطع وهو يربط قاعدة لمباز بالصحراء.(3) وإن تتبعنا هذا المسلك في خريطة شبكة الطرق لإفريقيا الرومانية(خريطة8) نجد أن هذا المسلك يعبر طولقة التي تكون مرتبطة بـ(طريق)مع مليلي، التي تتصل بدورها بتهودة عبر (طريق) لم يزل رسمها مجهولا، بالرغم من أنها مذكورة ومحددة المسافة في لائحة بوتينجر. حيث يحددها بـ24ميل.(4) وقد اختلف المؤرخون، حول إن كان عقبة قد هاجم مدينة تهودة أم لا. فالنويري(5) يقول بأن السكان قد أغلقوا أبواب حصونهم. رموه بالسهام والحجارة. و شتموه حين كان يدعوهم للإسلام، وهذا يعني بأن جيش عقبة قد اقترب من أسوار المدينة.

أما ابن عذارى(1) فيذكر أن عقبة بن نافع لما اقترب من تهودة بوغت من طرف الروم والبربر. بينما يقول ابن خلدون(2)، بأن هذا الجيش قد هاجمه البربر بغتة بنواحي تهودة، وحسب الموقع الحالي لقبر عقبة والشهداء، تكون صيغة ابن خلدون أقرب إلي الواقع. فهذه القبور تقع علي بعد ستة كيلومترات جنوب أسوار مدينة تهودة، وهي الصيغة التي تطابق نص البكري حول قبر عقبة.

ومن هنا فإن الطريق العابر من طبنة إلي تهودة، وموقع كل من المعركة والقبور. كلها تثبت أن مكان قبور الشهداء المعروفين الآن، هو المكان الصحيح والمؤكد الذي جرت فيه المعركة فعلا وأستشهد ودفن فيه عقبة بن نافع وأصحابه رضي الله عنهم.(شكل3)

6. قصة الكشف عن القبر :

(3) بلكل عز الدين وآخرون ،نشأة بلدة سيدي عقبة بالجزائر ومراحل تعميرها الأولي " المدينة العربية"العدد113 مارس

أفريل2003 عدد صفحات المقال 57-43

(4) . st.Gsell , op.cit.F/N49

(5) النويري:نهاية الإرب في فنون الأدب،تحقيق أحمد كمال زكي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر1980ص

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ص 29

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ص217.

تضاربت الآراء حول موضوع القبر ومكان دفن عقبة بن نافع. حيث ينفي هنري سيمون وجود القبر، ويظن أن قبر عقبة اختير تلقائياً لأحياء ذكرى الفاتح فقط. وأثناء البحث حول موضوع القبر رويت لنا قصة لا نتردد في تدوينها لأهميتها ولثقة البالغة في مصادر روايتها، وهي تدور حول أعمال الترميمات التي تمت في عهد الشيخ أحمد بن الحاج محمد بن الحاج محمد بن الحاج التواتي وهو من شرفاء البلدة سنة 1214هـ/ 1799م. تقول الرواية بأن الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج تقلد مشيخة بلدة سيدي عقبة في سنة 1774م وفي عام 1778م إثر زيارته لقسنطينة، وذلك ليبارك للحاكم التركي صالح باي حجة للبقاع المقدسة، ألقى عليه القبض من طرف السلطة التركية وذلك لمواقفه المناوئة لها، فقد أمتنع الشيخ عن أداء الإتاوات ودفع الضرائب مطالباً السلطة التركية بالقيام بواجباتها والتزاماتها إزاء البلدة ومواطنيها. ودام سجن الشيخ مدة سنتين ذاق فيها ويلات العذاب لكن ضغط الرعية أدى إلي تراجع الأتراك عن حكمهم ثم إطلاق سراح شيخ البلدة. وبعد خروجه من السجن ورجوعه إلي مسقط رأسه سيدي عقبة، أخذت تساؤلات تطرأ على باله وذلك من أثر ما عاناه في السجن. فأخذ يفكر في سبب تواجده مع عائلته وقومه بهذه المنطقة الصحراوية، والذي لم يكن إلا للاعتناء والإشراف على قبر عقبة بن نافع والبلدة التي تحتضنه. بدأت هذه التساؤلات تثير قلقه وتعكر صفو باله، كما أدخلت بعض الشك من ناحية وجود جدث الفاتح بالقبر، حينئذ عزم الشيخ علي التأكد من ذلك وكانت في نيته أن يرحل عن المكان دون إفشاء السر في حالة ما لم يجد الجدث في القبر. وبالفعل قام بتنفيذ فكرته فأوعز الأمر إلي أحد خدمه وألزمه السرية، وكان العمل تحت غطاء أعمال ترميم للقبر وكان عازماً علي قتل الخادم في حال عدم وجود الجدث والرحيل بعد ذلك. أثناء تنفيذ هذه العمليات الترميمية وجد فوق القبر اللوحة الحجرية المشهورة والمنقوش عليها " هذا قبر عقبة بن نافع رضي الله عنه"، وكشف شيخ البلدة حينئذ عن القبر وأطلع علي جثمانه وأثناء تحضير القبر وترميمه وضع الجدث في حجرة مفتي البلدة آنذاك وهو الشيخ بلقا سم بن منصور الأول (ابن محمد).

تواترت الرواية أبا عن جد في عائلة ابن منصور، إلي أن رواها الشيخ عبد المجيد بن حبه رحمه الله عن شيخه محمد بن المنصور المدعو "ابن داخنة" وهو دفين مدينة برج منايل،

وتواترت الرواية أيضا لدي شرفاء بلدة سيدي عقبة وسمعتها الأستاذ التواتي بن المبارك عن والده الشيخ الهاشمي بن المبارك إمام مسجد عقبة بن نافع رحمه الله.

من خلال دراستنا وتحليلنا للأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة توصلنا إلي جملة من

الملاحظات و الاستخلاصات:

1. أن المسجد لم يتم بناؤه في الفترة الممتدة من 82 هجري 701 ميلادي وبين نهاية

حكم أسرة الفهريين في إفريقية سنة 140 هجري 758 ميلادي مثلما حدده عبد العزيز

الشهبي لعدة معطيات أبرزها:

2. أن الدولة العبيدية (الفاطمية) والمذهب الشيعي كان ضد أي رمز سني، أو بالأحرى

أي شيء يذكرهم بالصحابه وأتباعهم، وبما أن عقبة بن نافع كان محسوبا عليهم فهذا

سببا لتحقيره وعدم الاهتمام بمكان دفنه.

3. أن الفترة المحددة لم تشهد استقرارا سياسيا في المنطقة، ويذكر حسين مؤنس⁽¹⁾ في

هذا الصدد، أن الفترة التي تلت حكم الفاطميين "العصر القلق المضطرب الذي دام من

أوائل القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي، مع ظهور الدولة الفاطمية في

المغرب إلي ظهور المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري، أي قرابة القرن

ونصف القرن من الفتن والقلاقل والعواصف وقيام الدول وسقوطها، وبناء المدن

والعواصم وهدمها.

4. أن المصادر التاريخية كالواقدي و ابن عبد الحكم والبكري و ابن عذارى وابن

خلدون. تجمع على معلومة تاريخية واحدة وهي أن قبر عقبة بن نافع جصص دون

التطرق لأي إشارة تدل على وجود بناء حوله.

5. أن الإسلام نهى على بناء المساجد علي الأضرحة والقبور بناءا على ما ورد عن

النبي صلي الله عليه وسلم، حيث جاء في السنة النبوية "حدثني زهير بن حرب، حدثنا

يحي بن سعيد، حدثنا هشام، أخبرني أبي عن عائشة أم حبيبة وأم سلمه ذكرتنا كنيسة

رينها بالحبشة فيها تصاوير. لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله

(1) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المجلد1، ج1، ص686.

عليه وسلم "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" (2).

6. أن المسلمين كانوا يتخذون من مسجد الرسول معلماً ودليلاً في بناء المساجد، حيث كانت المساجد في أول الأمر بسيطة من حيث أسلوب البناء والزخارف والأثاث وظل هذا المسجد نموذجاً إحتذاءه مشيدو المساجد في الأقطار الإسلامية الأخرى طوال القرون الأربعة الأولى من الهجرة.

ولذلك نرجح أن يكون بناء المسجد قد تم في الفترة الممتدة بين حكم الأغالبة و الزيريين ما بين القرن الثاني والقرن الرابع هجري. هذه الفترة التي شهدت نوعاً من الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي فبمجيء الأغالبة زادوا وسائل النهضة الاقتصادية تنظيمياً والثروة ومواردها نماء، فأقاموا السدود والجسور، وأنشئوا وسائل الري. فمما الإنتاج ودرت المشاريع خيرها، ويكفينا دليلاً على الازدهار الذي بلغته إفريقيا، ما تعهد به إبراهيم ابن الأغلب لهارون الرشيد وهو بصدد تأسيس دولته... فلم يتردد في أن يتعهد للرشيد بدفع خراج سنوي قدره مئة ألف دينار ذهباً(1).

(2) مسلم أبو الحسن: صحيح مسلم، تحقيق وتخريج، أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص213 .
(1) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، 1975، ص288 .

ثالثا: الدراسة الوصفية التحليلية.

أ- الوصف العام للمسجد* (صورة 6)

يشغل المسجد مسطحا غير منتظم مقاساته (شكل 4أ، ب) (60م×37م). يتكون من بيت صلاة يتوسط المبني، ويحيط به من الجهات الثلاثة: الشمالية، الشرقية، الغربية. ويتقدم الجامع بيت الوضوء وعدد من الغرف الملحقة به. ندخل إلى الجامع من بابه الرئيسي الموجود بالناحية الجنوبية عرضه 12متر، وينقسم إلى أربعة مداخل صغيرة يفصل بينها ثلاث دعامات، تحمل في أعلاها عقودا نصف دائرية الشكل.

* محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ): **إعلام المساجد بأحكام المساجد** دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي ط2، 1989، ص26 "فهو مفعّل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم مصدر قال أبو زكريا الفراء: كل ما كان على فعل يفعل كدخل فالفعل منه بالفتح أسما كان أو مصدرا ولا يقع فيه الفرق مثل دخل دخلا قال في الصحاح: والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود".

اصطلاحا: مؤسسة دينية، اجتماعية، سياسية، تربوية، اقتصادية ويسمى حاليا ومجازا بدار العبادة لما أتى على دوره الريادي من تقلص. من المعروف عن المسجد هو إقامة الصلوات الخمس به بين الجماعة بالإضافة إلى صلاة الجمعة ولكن ما ورد هو أحد أدوار المسجد، وسمي مسجدا لأنه مكان للسجود لله، ويطلق على المسجد أيضا اسم جامع، وخاصة إذا كان كبيرا، وقد أشار حسين مؤنس إلي أن ذكر المسجد والمساجد المسجد الحرام ورد في القرآن الكريم بلفظها ثمانية وعشرين مرة

بهذا نصف جامع سيدي عقبة ضمن المساجد غير المنتظمة الشكل (شكل 5أ، ب)، فقد كانت المساجد في الفترة الإسلامية المبكرة تنحصر في حدود مربعة أو شبيهة بالمربع، ثم بدأت حدود المسجد تخضع لمقتضيات العمران وتنقيد بالمكان المخصص لها⁽¹⁾. أما المسجد بصفته النموذج الأول للعمارة الإسلامية الدينية، الذي نشأ تلقائياً حسب متطلبات فريضة الصلاة⁽²⁾. فالمسجد النبوي في المدينة هو أول مسجد أخط في الإسلام.⁽³⁾ (شكل 6)

وبهذا فإن الشكل العام لجامع سيدي عقبة يشبه مسجد الأقرم بالقاهرة، ومسجد علي بتشين والمسجد الداخلي للقبة بمدينة الجزائر⁽¹⁾. أما الجدران فتتميز بالسّمك، حيث يبلغ سمكهم 80سم، ونجد أن مواد البناء المستعملة هي مواد محلية الصنع تتمثل في الطين و الحجارة، إضافة إلى تلبيس الجدران من الداخل بمادة الجص على غرار المسجد النبوي بالمدينة⁽²⁾.

1. بيت الصلاة (صورة 7)

تأخذ بيت الصلاة في جامع سيدي عقبة شكلاً غير منتظم، مقاساته (23م × 22م) على غرار مسجد سوس بتونس و القرويين بفاس⁽³⁾، و المسجد البراني للقبة بمدينة الجزائر⁽⁴⁾. يحيط به أروقة من الناحية الشرقية والغربية، ويتألف من سبع بلاطات عمودية على جدار المحراب تجتازها سبعة أساكيب موازية له، (صورة 8) يبلغ عرض البلاطة الواحدة 2,40م، ولكنها تختلف من حيث الطول، فبلاطة المحراب و الثلاثة التي على يسارها يعادل طولها عمق بيت الصلاة، أما البلاطات الثلاث على يمين المحراب فطولها 12,90م، ويرجع هذا الاختلاف في المقاسات إلى وجود الضريح وقاعة على يمينه.

(1) فكري احمد: مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، 1965، ص126.
(2) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، ذات السلاسل، الكويت، 1986، ص456.

(3) المرجع نفسه: ص471.

(1) Dokali(R), les mosquées de la période turque d'Alger S.N.E.D
planche 2 et 9, Alger 1974, p88

(2) شافعي فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد1، (عصر الولاة)، الهيئة المصرية للتأليف و النشر، مصر، 1970، ص65.

(3) Bouruiba Rachid : apport de l'Algérie a l'architecture religieuse
arabo- islamique, O.P.U, Alger, 1986, PP 64-65.

(4) Dokali (R): op.cit, p 2

فيما يخض الاساكيب فهي تختلف من حيث المقاسات إذ يبلغ عرض أسكوب المحراب و الثلاثة التي تليه 3,30م، أما طولها فيعادل طول ضلع بيت الصلاة، و الأسكوبين الآخرين الموجودين بمؤخرة بيت الصلاة محصورين بين الجدار الشرقي وجدار الضريح يبلغ عرضهما 2,70م، أما طولها فيقدر بـ 9,60م، ويليهما أسكوب أخير محصور بين الجدار الشرقي وجدار المئذنة، ويبلغ عرضه 3,90م أما طوله 12,60م. و تنحصر جميع الاساكيب بين ستة صفوف من الأعمدة يحمل كل صف منها بائكة من العقود .

البرج	سيدي الخزي	سيدي الحافي	سيدي لمبارك	سيدي عقبة	المسجد
12,40م	28,40م	32م	18,10	37م	العرض
12,40م	22,20م	21,50م	14,20	60م	العمق

2. الصحن :

يختفي الصحن بجامع سيدي عقبة، حيث تم تعويضه برواق من الناحية الشمالية و الشرقية. الرواق الشمالي: عبارة عن مضلع غير منتظم طوله 25,50م، وعرضه يتراوح ما بين 8,50م و 12,50م، ويشتمل على صفين من الدعامات بكل صف ثمانية دعامات وصف ثالث يشتمل على ثلاث دعامات فقط.

الرواق الشرقي: فيبلغ طوله 21,20م وعرضه يتراوح ما بين 5,90م و 6,20م ويشتمل على صف واحد به سبعة دعامات وفتح بمقدمة الرواق من الجهة الجنوبية مدخل عرضه 2م. لهذا فإن جامع سيدي عقبة يخرج عن نمط المساجد العامة لأن للصحن أهمية كبرى في عمارة المسجد، وكل مساجد شمال إفريقيا أخذت نمط صحنونها من مسجد القيروان قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي وبهذا فهو يصنف ضمن المساجد الصحراوية الخالية من الصحن، حيث حلت محلها أروقة للضرورة المناخية، وهذا يختلف عن المساجد الأخرى في المنطقة منها جامع سيدي موسى الخزي أو مسجد أولاد جلال على غرار

المسجد النبوي إذ أن عمقه أكبر من عرضه.⁽¹⁾ و كان الصحن بمسجد سيدي عقبة عبارة عن رواق يحيط ببيت الصلاة وهو يمتد من الزاوية الشرقية إلي الزاوية الغربية مثل أروقة المساجد العثمانية بتونس و طرابلس.⁽²⁾

وموقع الصحن بالجانب فهذه ظاهرة عرفتھا المساجد الفاطمية، كما نجدها بجامع حسان بالرباط الذي يعود إلى الفترة الموحدية، وهو يحتوي على صحنين جانبيين شرقي و غربي.⁽¹⁾ ويذكر هنري سيمون وجود مدخل ورواقان بالمسجد.⁽²⁾

3. ملاحق المسجد:

يحتوي جامع سيدي عقبة على العديد من الملحقات كلها مستحدثة، ما عدا غرفة الضريح التي سبق تأسيسها الجامع، ومنها غرف (صورة 9أ) عددها تسع أهمها غرفتين على يسار المحراب وثالثة بالركن الأيمن للجدار الجنوبي إضافة إلى غرفة رابعة بجدار الضريح وكل هذه الغرف مخصصة للتعليم الديني وإيواء الطلبة على غرار جامع القيروان و الزيتونة في كل من المغرب و تونس.⁽³⁾ وقد كانت تستعمل للتعليم (صورة 9ب) ومسكن للطلبة وتؤدي وظيفة مأوي للائمة والزوار وذلك لان المسجد كان عبارة عن زاوية دينية وعلمية بالإضافة إلي دوره الرئيسي وهو مسجد للصلاة والحلقات الفقهية وقد أزيلت معظم هذه القاعات والغرف من المسجد بعد إصلاحه وما بقيت إلا غرفتان وقاعتان حيث نجد غرفة في الزاوية الجنوبية وغرفة في الزاوية الشرقية لبيت الصلاة وقاعة في الزاوية الشرقية للمسجد.⁽⁴⁾ كما تزود المسجد بئر تقع في الجزء الجنوبي (صورة 10)

غرفة الضريح: (صورة 11) تشغل مساحة مربعة 25م²، طول ضلعها 5م وتعلوها قبة بسيطة، و فتح في جدارها الجنوبي باب عرضه 3م يطل علي بيت الصلاة (صورة 12أ). فتح

(1) Golvin.(lucien): **la musqué** ses origines, sa morphologie ses diverses, fonction son rôle dans la vie musulman plus spécialement en Afrique du nord, édition palais d'hiver, Alger, 1960, P48.

(2) Bouruiba, (R) : note sur les plans des mosquée, p52

(1) Grandet (D) **Architecture et urbanisme islamique** O.P.U, Alger, 1992, P39.

(2) Simon.h: notes sur le musoleé de sidi Okba, "revue africaine" année 1909, p46

(3) فكري أحمد: **مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي، ج1، دار المعارف، مصر 1965، ص126.**

(4) رشيد بورويبة: **المساجد الأثرية: المرجع السابق، ص53.**

فيها مدخل على الجهة الشرقية وهو مخصص للنساء. (صورة 12ب) أما الضريح فهو يتوسط الغرفة مجصص (صورة 13)

4. المداخل: (صورة 14أ، ب)

يحتوي جامع سيدي عقبة على سبعة أبواب موزعة على الشكل التالي:

الأول: يقع على مستوى الاسكوب الثالث

الثاني: على مستوى الاسكوب الرابع

الثالث: على مستوى الاسكوب السادس، وتؤدي جميعها إلى الرواق الشرقي ويبلغ عرضها 1,30م.

بابا رابعا: بالبلاطة الأولى على يسار المحراب يؤدي إلى غرفة، ويبلغ عرضه 1م.

بابا خامسا: بين البلاطة الأولى و الثانية على يمين المحراب، يؤدي إلى غرفة الضريح ويبلغ عرضه 3م.

أما الباب السادس: فقد فتح بالأسكوب السابع و يؤدي إلى المئذنة، ويبلغ عرضه متر الباب الأخير: يوجد بالبلاطة الثالثة الواقعة على يمين المحراب بالزاوية الشمالية الغربية عرضه 1,30م، ويؤدي إلى غرفة مستطيلة الشكل، ويبلغ ارتفاع جميع الأبواب 2,50م. أما المدخل الرئيسي للجامع، فيقع في الناحية الشمالية وعرضه 12م وتتوزع عليه ثلاث دعائم تقسمه إلى أربعة مداخل صغيرة، ويؤدي هذا المدخل إلى رواق الجامع.

و يعود هذا الإكثار من الأبواب، إلى كبر حجم بيت الصلاة، و للتقليل من الازدحام عند دخول المصلين. كما أن المساجد المبكرة تميزت بتعدد المداخل، خاصة بالجدران الجانبية غير جداري القبلة و المؤخرة.⁽¹⁾ إضافة إلى امتياز هذه المداخل بالبساطة على غرار المساجد المبكرة.

5. النوافذ: (صورة 15)

تحتوي بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة، على العديد من النوافذ مختلفة المقاسات، و عدة شمسيات على يمين المحراب. نجد كذلك نوافذ صغيرة عند طرفي كل بلاطة بأعلى

(1) فكري أحمد: المرجع السابق، ص 55

الجدران، وتكمن وظيفية النوافذ، في الإضاءة. أما قلة الفتحات و النوافذ فراجع ذلك لحرارة المناخ بالمنطقة و عوضت بالمدخل، للسماح بأكبر قدر من التهوية و الإضاءة. و من الواضح أن وجود الفتحات في الحوائط الحاملة من شأنه إضعاف المبني، ولتجنب

ذلك و جب تقليل الفتحات ذات الاتساع الكبير، و تفضيل الفتحات الضيقة و تعويض الضيق بعمل ارتفاعها كبير نسبيا. (1)

6. وسائل الدعم:

الأعمدة (عد إلي صورة7) يحتوي الجامع ، على ستة وثلاثين عمودا(سارية) مغطاة بالجص، تتوزع على ستة صفوف. الثلاثة الأمامية منها تشتمل على ثمانية أعمدة، أما الثلاثة الخلفية ففي كل صف منها أربعة أعمدة، وقد استعملت في هذه الأعمدة جذوع النخيل، وربطت ببعضها البعض لإعطائها القوة. وقد سمحت عمليات الترميم الأخيرة التي أجريت على المسجد من اكتشاف أعمدة حجرية بيزنطية، نعتقد أنها جلبت من موقع قريب، وهو تهودة بعد خرابها واستعملها سكان المنطقة في بناء المسجد(صورة16أ،ب) ويذكر سيمون (2) أن بيت الصلاة في مسجد سيدي عقبة تحتوي علي صفوف كثيرة من الأعمدة وهي من حجارة الاوراس وهي مغطاة بطبقة سميكة من الجص.

7. التيجان:

وجد العرب في جميع البلاد التي استولوا عليها، عددا كبيرا من المباني الإغريقية والرومانية والبيزنطية المتداعية أو المهجورة، وانتفعوا بأعمدتها وتيجانها كما تشهد بذلك مبانيهم الأولى التي تضم عددا غير قليل من الأعمدة الغربية المصدر.

يبرز لدينا نوعان من التيجان تتمثل في: الشبه منحوتة و المزينة بورقة الاقنثة. ويظهر النوع الأول ببيت الصلاة التي تحتوي على ستة وثلاثين تاج شبه منحوت (صورة17)

(1) محمد عبد الستار عثمان :أخميم في العصرين القبطي والإسلامي(دراسة تاريخية أثرية)، مجلة العصور، الإسكندرية، 1982 ص239.

(2) Simon.h: op.cit, pp36-46.

،وهي مغطاة بطبقة من الجص، يبلغ ارتفاعه الكلي 60سم، ويتكون من جزأين، الجزء العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع، ارتفاعه 30سم وطول ضلعه 48سم. أما الجزء الأسفل، فهو عبارة عن هرم مقلوب قاعدته أسطوانية قطرها 30سم عند القاعدة و 48 سم عند القمة، أما ارتفاعه 30سم. وقد جلبت من تهوده بعد خرابها وهذا ما دلت عليه عمليات الترميم الأخيرة التي أجريت علي المسجد سنة 1997م.

وهذا النوع من التيجان انتشر في العهد البيزنطي ،حيث يأتي التاج علي شكل مخروطي ناقص مقلوب، القاعدة الكبرى أعلي التاج، و الصغرى تكون أسفل التاج، أي عند التقائه بالبدن، وهو مشتق من الأعمدة الساسانية⁽¹⁾ وهذا ما يخالف ما توصل إليه الدكتور بورويبة عندما قارن هذا النوع من التيجان بالتيجان التي تعود إلي العهد الزيري أو الحمادي⁽²⁾

8. الدعامات

يحتوي جامع سيدي عقبة، على ستة وعشرين دعامة مربعة الشكل، طول ضلعها واحد متر (1م)، وتتوزع بالرواقين المحيطين ببيت الصلاة من الناحية الشمالية والشرقية علي الشكل التالي:

صف عمودي موازي للجدار الشرقي لبيت الصلاة، به سبع دعامات.
صف آخر به ثلاث دعامات فقط.

وقد أنجزت كلها من المرمر و لا تحمل عقودا، أما بداخل بيت الصلاة، فنجد خمس دعامات مستطيلة بجدار القبلة، اثنتين علي يسار المحراب وثلاثة علي يمينه، وخمس دعامات أخرى بجدار الضريح، والثلاثة الأخرى بالجدار الشرقي، وهي تقابل صفوف الأعمدة، ويبلغ عرضها (50سم)، كما تبرز عن الجدار بحوالي (45سم)، في حين يقدر ارتفاعها بحوالي (3م)، وهي منجزة من مادتي اللبن والحجارة، وقد استعملت لتدعيم الجدران لحمل العقود، ووجد هذا النوع من الدعامات في كافة مساجد الجزائر كجامع ندرومة، والجزائر وتلمسان.⁽³⁾

(1) شافي فريد: المرجع السابق ص، 150/151.

(2) Bourguiba. (R) : **Apport de l Algérie** op.cit, p 32 .

(3) Ibid, p71 .

9. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود

تحتفي كل هذه العناصر بجامع سيدي عقبة، فلا نجد إلا أخشاب التثبيت المتمثلة في قضبان العرعار استعملت لتثبيت فتحات العقود (صورة 18) (شكل 7أ) وتعلو هذه القضبان التيجان في المسجد. إن استعمال العوارض الخشبية، عملية تقليدية في الفن الاغربي، إلا أنها عرفت قبل ذلك بالمسجد النبوي، وجامع القيروان، وكافة المساجد المبكرة، كما استعملت بمساجد مصر كجامع عمرو بالفسطاط.⁽¹⁾

10. العقود (صورة 19)

يعتمد سقف بيت صلاة جامع سيدي عقبة، على ثلاثة وثلاثين عقد موازية لجدار القبلة، وتوزع على ستة صفوف.

- الثلاثة الأمامية، كل منها يشتمل على بائكة مكونة من سبعة عقود.

- الثلاثة الخلفية، يشتمل كل منها على بائكة بها أربعة عقود، هذا بالإضافة إلى عقدين عموديين على جدار القبلة، وهما يكتنفان جانبي القبة التي تتقدم المحراب، وتأخذ شكلا مدببا (صورة 20) وهي خالية من الزخرفة، ماعدا تلك التي تعتمد عليها القبة فهي مزينة بأخاديد (صورة 21، أ، ب)، يبلغ قطر العقود (2، 40م) وعرضها (48سم)، أما ارتفاعها فيبلغ 2م. وقد أستعمل العقد المدبب في العمارة الإسلامية لأول مرة في قبة الصخرة وقد هاجر من الشرق منذ العصر الأموي مع الجيوش الفاتحة نحو الغرب، حيث استقر وازدهر هناك.⁽²⁾ وهو الأكثر انتشارا في الجزائر، حيث وجد بالجامع العتيق بتونس، والجامع الكبير بقسنطينة، إضافة إلى الجامع الكبير بتلمسان.⁽³⁾

ب- العناصر المعمارية.

1. المحراب: (صورة 22) (شكل 7ب)

(1) Golvin. L : *la mosquée ses origines sa morphologie*, p58.

(2) Bourouiba(R): *Apport de l Algérie*, op.cit, p131.

(3) شافعي فريد: *العمارة العربية الإسلامية ماضيها، حاضرها، مستقبلها*، ط، 1982، جامعة الملك سعود، ص 202.

تأخذ مشكاة محراب الجامع شكلا مجوفا مستدير الشكل، عمقه يقدر بـ 70سم وعرضه 1,40م، أما ارتفاعه فيقدر بحوالي 2,80سم، ونجد على جانبي المحراب مجموعة من ثلاثة أعمدة أنجزت من مادة الحجر، وتأخذ شكلا أسطوانيا، ارتفاعها حوالي 1,30م أما قطرها 19سم، ويعلو كل عمود تاج شبه منحوت أنجز هو الآخر من مادة الحجر .

بالنسبة للعمود الخارجي: (صورة 23) يعلوه تاج اسطواني تزيينه أخايد عمودية تنتهي بطوقين عند الطرفين، ويبلغ عرضه 19سم، أما التاج الذي يعلو العمود الأوسط فهو على شكل هرم مقلوب تزيينه أخايد عمودية على شكل زوايا كؤوس، وينتهي هو الآخر بطوقين عند الطرفين، عرضه عند القاعدة السفلي 9سم، أما عند القاعدة العليا 23سم.

أما العمود الداخلي: فيعلوه تاج هرمي مقلوب ومزين بأخايد، وينتهي بطوقين عرضه عند القاعدة العليا 32سم، أما عند القاعدة السفلي 13سم. ويبلغ ارتفاع جميع هذه التيجان 26سم. وقد وجدت الأعمدة المجمعدة على جانبي المحراب، بمسجد سيدي أبي مروان بعنابه وجامع قسنطينة، إلا أنها اقتصرت على عمودين فقط بهذا الأخير.⁽¹⁾ (شكل 8)

يعلو المحراب عقد نصف دائري على غرار المسجد الأقصى، ويبلغ ارتفاعه 1,20م، أما قطره 1,40م، وتحيط به حنيتين لهما نفس شكل العقد.

تتكون الحنية الداخلية من مربعات بسيطة تتناوب مع مربعات مزخرفة، حيث يتكون كل مربع من أربعة مربعات صغيرة يتكون كل منها من أربعة مثلثات، ومن تقاطع هذه الأوتار يتكون لدينا شكلا معيننا ضمن إطار المربع الكبير. أما بالنسبة للحنية الخارجية فتزيينها مثلثات مرسومة بواسطة خطوط منكسرة تشكل معينات ومثلثات ومربعات، وينقسم كل واحد منها إلى ثمانية مثلثات يشكلها تقاطع وترين وقطرين داخل مربع.

أما الحافة المستطيلة، فترتكز على عمودين جصيين يأخذان شكلا حلزونيا، وزينت الحافة بواسطة خطوط مستقيمة ومثلثات. أما بالنسبة للشريط الأفقي الذي يعلو الحنيتين المحيطتين بعقد المحراب، فهو مزين بنفس العناصر الزخرفية التي تزين باقي أقسام المحراب، ويتوسط هذا الشريط نافذة صغيرة مستديرة وضعت فيها مروحة ذات أربع شفرات.

Bourouiba.(R) : **Apport de l Algérie**, op.cit, p48. ⁽¹⁾

❖ العناصر الزخرفية: (صورة 24)

الشكل الداخلي للمحراب: جزأه العلوي ارتفاعه 1،20م وتكمله نصف قبيبة مزينة بأخاديد عددها ثلاثين، وهي تأخذ شكل ربع دائري وتنطلق على شكل أشعة من نصف دائرة تعلو الطنف الذي يحيط بقاعدة هذا القسم.

● الكتابات التذكارية التسجيلية:

تحتوي نصف الدائرة على نقش يتمثل في كتابة من أربعة سطور، نقرأ في كتابة حلية المحراب النص الآتي: بنا هذا/المسجد المعظم/محمد بن كبير التونسي دشير./

شريط طره المحراب: (صورة 25أ،ب)

1- الحمد لله هادي تذكرتنا من نظر فيها بعدما يدو لنا برحمة والغفران لكاتبها احمد بن الحاج التواتي /

العافية الباقية العالية تم بنيانه على يد اسطي محمد بن كبير التونسي عام 1214 من الهجرة الرسول.

نقشت هاتان الكتابتان علي أشرطة من الجص بداخل محراب الجامع، تقع الكتابة الأولى بداخل حلية عند قاعدة قبة المحراب، وتقع الثانية أسفل منها بداخل شريط يمتد أفقياً، طوله 2,75م وعرضه 22سم، وتقع هذه الأخيرة في سطرين بينما تقع الأولى في أربعة اسطر. نفذت كل منهما بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز بنقط الاعجام. والملاحظ في هذه الكتابة استعمال الكاتب أو النقاش لألفاظ عامية مثل هادي. فضلا عن وجود أخطاء إملائية، ككتابة فعل بني بالألف الممدودة عوض المقصورة وكلمة المعظم بدون أشالة والتنسي عوض التونسي، ويمكن القول إن قراءة الدكتور بورويبة وردت فيها أخطاء كقراءته لاسم الكاتب محمد بن عمر والصواب بن كبير وكلمة⁽¹⁾.

تتكون الكتابة من عدة عناصر هي :

أسم الصانع /الحمدلة .الدعاء/اسم كاتب النص /تاريخ البناء /صيغ دينية.

(1) بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية، 1979، ص 229 .

هذه الأخاديد الموجودة بنصف قببية المحراب، هي شبيهة بتلك الأخاديد الموجودة بمحراب الخاساقي، وفي ضريح شايع ومحراب مسجد الدار بالمنستير، وكلها مؤرخة بالقرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي، ووجدت بعد ذلك في بعض الأضرحة بالقاهرة، كمشهد الست كلثوم، ولها أمثلة بالجزائر كمحراب الجامع الكبير بقسنطينة، ومحراب سيدي لخضر ومحراب بيت صلاة الطابق الأول بمسجد عبد المؤمن.⁽¹⁾

أما القسم الأسفل من داخل المحراب: فارتفاعه 1,60م، ويحتوي على زخرفة هندسية تتمثل في سبعة أعمدة جصية مغطاة بزخرفة، قوامها عناصر هندسية عبارة عن مثلثات وتتناوب هذه الأعمدة مع ست لوحات مستطيلة خالية من الزخارف، وتعلوها عقود منخفضة ويعلو العقود هي الأخرى شريطا يتكون من أشكال هندسية عناصرها عبارة عن مربعات، ينقسم كل واحد منها إلى أربعة مربعات صغيرة وثمانية مثلثات، وقد أنجزت كل الزخارف على مادة الجص. (شكل9)

2. المنبر. (صورة26)(شكل10)

استعمل المنبر⁽²⁾ منذ ظهور الإسلام، وجاء في السنة النبوية أن رسول الله صلي الله عليه وسلم، استعمل جذع نخلة: ((انظري غلامك النجار يعمل لي أعواد أكلم الناس عليها))،⁽³⁾ وهي من طرفاء الغابة. وجاء في السنة النبوية الشريفة ((يستحب جعل المنبر في الجامع لأجل الخطبة)).⁽⁴⁾ وكان هذا المنبر في أول الأمر بسيطا، ثم سار يحظي بالعناية وصار يصنع من الخشب أو من الرخام.⁽⁵⁾

(1) Bourouiba(R) : **Apport de l Algérie**, op.cit, p156

(2) منبر: نبرت الشيء رفعته وبالتشبيه سمي المنبر منبرا لارتفاعه وعلوه والمنبر مرقاة الخطيب في الجامع ولا يستخدم هذا المصطلح في الوثائق لغير ذلك. والمنابر شائعة في الكنائس الديرية وغير الديرية، بما فيها كنائس وادي النطرون، حيث يوجد منبر في دير أبي مقار
انظر "دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية" الكتاب الثاني (الفنون) دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2005، ص15.

(3) صحيح مسلم: المرجع السابق، ص218.

(4) عبد الله كامل موسى عبده: المسلمون واثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (موسوعة العمارة الإسلامية مجلد1، دار الأفاق العربية، ص30 .

(5) حسن باشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ص221.

يعود منبر جامع سيدي عقبة إلى فترة الاحتلال الفرنسي، ويبلغ ارتفاع مدخله 1،70 م، أما عرضه 95سم في حين يقدر طوله بـ2م، ويحيط به إطارين داخلي وخارجي وهو مصنوع من الخشب.

❖ بالنسبة للإطار الداخلي:

فهو يحتوي علي قاعدة، هي في نفس الوقت إحدى درجات السلم التي يبلغ عددها خمس، كما يحتوي كذلك علي قائمتين مزينتين بشريط من الزخارف النباتية، قوامها أغصان متشابكة، ويعلو الإطار الداخلي عقد حدوي الشكل يتكون من عدة فصوص، ويحيط بالعقد إطار مربع نقشته به الكتابة التالية:

(هذا عمل علي بن محمد الساسي التغزويني في 21 رجب سنة 1274هـ/1858م تاب الله عليه أمين. محمد، أبوبكر، عمر، عثمان، علي رضي الله عنهم، محمد سيد الكونين من الثقلين الفريقين من عرب وعجم، هذا منبر سيدي عقبة الصحي، تم وضعه علي يد المكرمين السيد بلقا سم بن الحاج وأبنة السيد الأكل عام 1274 من الهجرة /1858م). كتبت بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز.

❖ أما الإطار الخارجي :

فيشمل على قائمتين وعارضة تزينها أفاريز من الأغصان المتشابكة فيما بينها (صورة 27)، ويتم حفظ المنبر في غرفة على يمين المحراب، عمقها 2م وعرضها 1م ويقدر ارتفاعها بـ 3م وتأخذ فتحتها شكلا مستطيلا (صورة 28)، ويعلو المشكاة عقد نصف دائري يعلوه هو الآخر ثلاثة عقود صماء بارزة، وأكثرها بروزا وسمكا العقد الأوسط. ويشتملا جانبي المشكاة علي إفريز من الزخارف الهندسية قوامها المربعات، التي تنقسم إلي مثلثات بواسطة وترين وقطرين مزدوجين، ونفس هذه الزخارف تزين واجهة المحراب.

3. نظام التغطية:

استعمل في تغطية المسجد مجموعة من الوسائل منها القبة والسقف المسطح:

3-1 القبة:

لا جدال في أن القبة من العناصر المعروفة منذ آلاف السنين، غير أن القباب في العصر العربي الإسلامي قد امتازت بظاهرة هامة هي، أن معظمها يتميز بقطاع مدبب وذلك بفضل ابتكار وانتشار استعمال ذلك النوع من العقد، الذي صار علما من أعلام العمارة العربية الإسلامية⁽¹⁾ يحتوي جامع سيدي عقبة على قبنتين، الأولى تغطي غرفة الضريح أما الثانية فتتقدم المحراب.

● قبة الضريح: (صورة 29)

فهي من الخارج تأخذ شكلا نصف كروي أملسا، وتعتمد علي قاعدة مئمنة الأضلاع، حيث يفتح بكل ضلع منها نافذة صغيرة. أما من الداخل فإن انتقال القبة من القاعدة المربعة إلي المئمنة تم بواسطة المثلثات الكروية، ويبلغ ارتفاع القبة 1,50م، في حين يبلغ قطرها حوالي 3م، وهي خالية من الزخارف. وأقيمت القبة فوق الدفن بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة، ويرجع ذلك لتعارضه مع العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وان يعقد عليه وان يبني عليه".⁽²⁾ ويعتقد أن بناء الأضرحة علي القبور يذكر بالمباني التي كانت مخصصة لعبادة الأوثان في العصر الجاهلي، وخوفا من أن تصبح هذه الأماكن مزارا ويعظم أصحابها. لذلك أبتعد المسلمون أول الأمر عن بناء الأضرحة فوق القبور.⁽³⁾

● القبة التي تتقدم المحراب (صورة 30)

فهي الأخرى تأخذ شكلا نصف كروي أملسا يعلوها جمور نحاسي، كما تتركز علي قاعدة مئمنة يفتح بكل ضلع منها نافذة صغيرة، وتتركز القبة من الداخل علي أربعة عقود تشبه عقود بيت الصلاة، وتزينها أخاديد عددها حوالي سبعة عشر أخدود. ويتم الانتقال من القاعدة المربعة إلي المئمنة بواسطة المثلثات الكروية، ويحمل كل مثلث في وسطه محارة

(1) فريد شافعي: المرجع السابق، ص 177.

(2) صحيح مسلم : باب الجنائز، ص 229

(3) صالح لمعي: القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص 23 .

بارزة، وهذا العنصر ليس حكرا علي الموحدين " حيث وجد في العمارة القديمة لما قبل الإسلام كما استعمل في مختلف العماثر الإسلامية خاصة في مسجد القيروان بتونس في القبة التي غطت المنطقة المربعة أمام المحراب وتؤرخ في نحو سنة 64هـ/863م وتتميز هذه القباب بخاصيتين هامتين:

1- أنها أقدم القباب من ذات القطاع المدبب، والذي شيدت عليه الفتحات والعقود والأقبية والقباب.

2 - أن ذلك الشكل المدبب قد أصبح هو السائد في شرق العالم الإسلامي، وهو نفس النمط الذي شيدت عليه أيضا قبة المربع أمام المحراب في جامع تونس، المعروف بجامع الزيتونة المشيد في سنة 250هـ/864م. وقد انتشر هذا النموذج من القباب ذات الضلع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل في النصف الثاني من العصر الفاطمي في مصر، وبخاصة فوق الأضرحة التي كثر بناؤها في تلك الفترة. بينما كانت توضع في المساجد فوق المربع أمام المحراب"⁽¹⁾ ومسجد قرطبة بالأندلس. وكانت تعبأ منطقة الانتقال (الرقبة)، وكانت عند المرابطين محصورة فقط في المثلثات الكروية لما تحت القبة،⁽²⁾ وتنقسم القاعدة المثلثة الأضلاع إلي قسمين أسفل وأعلى .

يحتوي القسم الأسفل على نقوش كتابية جاءت في سطرين غير واضحي الكتابة: (صورة 31)

يحتوي السطر الأول على: الحمد لله وحده لا شريك له، له الحمد وله الشكر وهو الرحيم...رسول الله...الكريم، يا من دخل وخرج من بعد... أول كل شيء وآخره. أما السطر الأسفل : فهو غير واضح الكتابة ماعدا كلمتي (باسم...الله....) أما القسم الأعلى، فيحتوي على زخرفة قوامها عناصر هندسية منقوشة على مادة الجص، تتمثل في أربعة مربعات كبيرة، ينقسم كل واحد منها إلى أربعة مربعات صغيرة، ويحتوي كل منها على ثمان مثلثات يشكلها تقاطع وترين وقطرين، ويرسم ضمن المربع الكبير الأول معين يشكله التقاء الأوتار الأربعة، ويفصل بين المربعات الكبيرة أشرطة خالية من

(1) فريد شافعي: المرجع السابق، ص، ص178/180.

(2) عقاب محمد الطيب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990، ص31.

الزخرفة، ويفتح في وسط هذه الزخارف ثماني شمسيات، كل شمسية بضلع من أضلع القاعدة المثلثة، وتحمل كل شمسية نفس الزخرفة السابقة مع إحاطتها بإطار بارز يفصلها عن مستوى الزخارف السابقة الذكر.

أما الغلاف الكروي للقبة، فيفصله عن القاعدة المثلثة أي رقبة القبة طنّف بارز عن مستوى القبة، ويكسو الغلاف سلسلة مترابطة من العقود الموضوعة فوق بعضها البعض، والتي يقل عددها كلما ارتفع مستوى الغلاف الكروي.

لقد جاءت القبة التي تتقدم محراب جامع سيدي عقبة شبيهة بالقباب المبكرة، على نحو ما كانت عليه قباب القيروان التي كانت تتكون من ثلاثة أجزاء.

وقد تطورت زخرفة القبة حيث تعددت الخطوط الهندسية وأخذت العقود رسماً أكثر وضوحاً⁽¹⁾ أما عن وجود المثلثات الكروية للانتقال إلى القاعدة المربعة إلى المثلثة فقد ابتكر الشاميون هذه الطريقة، ثم انتقلت إلى بيزنطة وإيطاليا، ويوجد أقدم مثل إسلامي بالحجارة الساخنة، في كل من قصير عمرة وحمام الصرخ⁽²⁾.

بالنسبة لمادة البناء فإن كل القباب أنجزت بواسطة الطوب وتمت تغطيتها بطبقة سميكة من الجص.

2-3 السقف المسطح: (صورة 32)

تم تسقيف الجامع بواسطة جذوع النخيل وجريده، وأضيف إليه كل من الجص والطين لتليسه. و فيما يتعلق بجامع سيدي عقبة فقد بقي به جزء من السقف الأصلي، وباقي أجزاء السقف الأخرى غطيت بمادة الإسمنت مما أدخل بالناحية الجمالية له، ويتدلى من السقف ثريات نحاسية تعود إلى الفقرة العثمانية حسب ما صرح به إمام الجامع.

4. المئذنة: (صورة 33) (شكل 11أ، ب)

(1) سالم عبد العزيز السيد: المرجع السابق، ص، ص 431 / 433.

(2) شافعي فريد: المرجع السابق، ص 142.

(1) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، الطبعة 3، القاهرة، 1956، ص 527. أوجبت ضرورة دعوة المؤمنين إلى الصلاة وفقاً لأحكام الدين، إقامة المآذن فوق جميع المساجد الإسلامية كما هو معلوم. وتختلف أشكال هذه

تقع المئذنة بالركن الشمالي الشرقي لبית الصلاة، وهي تنتمي إلى نمط المآذن ذات القاعدة المربعة، ويبلغ ارتفاعها حوالي 16م، وتمتاز بالتراجع نحو الداخل كلما زاد ارتفاعها، حيث يبلغ طول ضلعها عند القاعدة 5م، ليتراجع إلى 3,50م عند القمة.

تتكون المئذنة من طابق واحد ارتفاعه 14م، وتكمله شرافات ويعلوه جوسق أسطواني الشكل ارتفاعه 2م، وتكمله هو الآخر قبيبة يعلوها جمور نحاسي، وجاءت شبيهة بمئذنة جامع قلعة بني حماد التي تتكون هي الأخرى من طابق واحد.⁽²⁾

تحتوي واجهات المئذنة على زخارف بسيطة ومتنوعة تمتد على طول واجهاتها، حيث يشتمل القسم الأسفل من واجهتي المئذنة الشمالية والشرقية على مستطيلين غائرين يفصل بينهما شريط بارز، ويزين كل مستطيل منهما نصف عقدين منخفضين ومتشابكين، إضافة إلى وجود فتحة مستطيلة بالجانب الأيسر، أما الواجهتان الغربية والجنوبية فتختلف زخرفة قسمهما الأسفل عن الواجهتين السابقتين، حيث تشتمل كل منهما على نافذتين أصمتين متجاورتين يعلوها عقد نصف دائري، ونشير إلى أن الجزء الذي يحتوي على النافذتين يمتاز بالبروز قليلا عن باقي جدار المئذنة، وقد فتح بأعلى هذا الجزء فتحتين مستطيلتين تعلو الواحدة منهما الأخرى.

أما القسم الأعلى من المئذنة ففتح بكل وجه من وجوهه الأربعة نافذتين غائرتين يفصل بينهما إفريز بارز، وبأعلى كل نافذة نجد ثلاثة عقود نصف دائرية الشكل مرتبة فوق بعضها البعض، وبأسفل النافذة نجد شمسية مزينة بزخارف هندسية قوامها مربعات ومثلثات، ويعلو النافذتين طوق متعرج ذو أخاديد من القرميد والجص، ويعلو الطوق سور منخفض مكلل بثمانية شرافات مقوسة الشكل، وبالنسبة للجوسق فهو أسطواني الشكل ارتفاعه 2م، ويخلو من الزخرفة ما عدا القبيبة التي تكمل أعلاه، القبيبة جمور نحاسي به كرة نحاسية.

المآذن باختلاف البلدان اختلافا أساسيا، فهي مخروطية الشكل في بلاد فارس، ومربعة في بلاد الأندلس وإفريقية واسطوانية ذات مطفأة في أعلاها في تركية، ومتنوعة الشكل في كل طبقة، منها بمصر. ومآذن العرب كأكثر مبانيهم متوجة علي العموم بأنواع الشرف ذات الأشكال المختلفة المعروفة بأقسام الحواجز الواقعة بين الكوة

و تعتبر مئذنة سيدي عقبة، من بين أقدم المآذن في شمال إفريقيا، ورغم ذلك حافظت على تماسكها وصلابتها، ويصفها الورتلاني في رحلته 1179م/1765هـ قائلا: (... في وسط هذا البسيط وفي مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود يزعم الحجاج أن من تمسك بذلك العمود وحركه، وقال أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة ألا ما

تحركت فتهتز) انظر: الورتلاني: المرجع السابق، ص 104

(2) Bourouiba. R: op.cit ,p280.

ندخل إلى المئذنة من بيت الصلاة بواسطة مدخل من الجهة الشرقية، عرضه 90سم أما ارتفاعه 1.80م، ونصعد إلى قمة المئذنة عبر سلم يلتف حول نواة مصممة ومربعة الشكل (شكل 11ب) طول ضلعها 1,20م، ويبلغ عدد درجات السلم أربع وخمسين درجة، ويقدر سمك الواحدة منها حوالي 20سم أما عرضها 80سم، وترتكز درجات السلم على جريد النخيل الذي يربط بين النواة وجدران المئذنة، وقد أستعمل لبنائها اللبن والطين والجص، إضافة إلى جريد النخل، وقد جاء مدخل المئذنة الموجودة ببيت الصلاة على غرار مسجد الثلاثاء ببني سوس بتلمسان⁽¹⁾ أما النواة المربعة الشكل و المصممة فجاءت على غرار أغلبية مساجد الجزائر وحتى مساجد المشرق العربي، أما الشرفات المسننة فهي ظاهرة تعرفها المآذن الإسلامية بكثرة، وهي من الزخارف الساسانية المعمارية التي انتقلت إلى الفن الإسلامي و كانت معروفة منذ العصور القديمة في فارس، والعراق وأواسط آسيا، وأنتشر استعمالها في الأطراف العليا للعمائر⁽²⁾.

درجات سلم المئذنة	عددها	ارتفاعها	عرضها	جوفها
سيدي عقبة	54	20سم	80سم	25سم
سيدي موسى الخذري	73	20سم	90سم	30سم
سيدي عيسي ببوشقرون	50	28سم	70سم	54سم
جامع أولاد جلال	80	20سم	60سم	30سم
سيدي الحافي	36	20سم	90سم	40سم
سيدي لمبارك بالخنقة	62	20سم	60سم	30

جدول (رقم 1) يوضح تباين مقاسات سلم مئذنتي مسجد سيدي لمبارك وسيدي عقبة مقارنة بباقي مساجد

من عمل الطالب

الزاب

باب المئذنة	المكان	الارتفاع	العرض	السمك
سيدي عقبة	بيت الصلاة	1,80م	90سم	80سم

(1) Bouruiba .R : op.cit, p51.

(2) شافعي فريد: المرجع السابق ص، 181.

70سم	80سم	1,80م	بيت الصلاة	سيدي موسي الخذري
ضلع النواة في المركز	ضلع البرج في القمة	ضلع البرج في القاعدة	المئذنة	
1,50م	2,70م	3,70م	سيدي عقبة	
1,20م	3,20م	3,70م	سيدي موسي الخذري	

30سم	76سم	1,30م	بيت الصلاة	سيدي عيسي ببوشقرون
40سم	84سم	1,80م	الصحن	جامع أولاد جلال
60سم	75سم	1,50م	الصحن	سيدي الحافي
40سم	60سم	1,25م	الصحن	سيدي المبارك بالخنقة

جدول (2) يوضح اختلاف مقاسات بابي مئذنة سيدي لمبارك وسيدي عقبة مقارنة بباقي مساجد الزاب من عمل الطالب

سيمي عيسي ببو شقرون	3,70م	1,50م	40سم
جامع أولاد جلال	3,70م	1,70م	70سم
سيدي الحافي	3,80م	2,50م	1,10م
سيدي المبارك بالخنقة	3,10م	2,50م	1,10م

جدول (3) يوضح اختلاف ارتفاع مقاسات علو مؤذنتي سيدي عقبة وسيدي لمبارك مقارنة

من عمل الطالب

بمآذن الزاب عموما

الملاحظ من خلال الجدول رقم 1 و 2 و 3 أن مؤذنتا مسجد سيدي عقبة ومسجد سيدي

المبارك لا يختلفان عن باقي مساجد الزاب من حيث التصميم العام

د- العناصر الزخرفية بالمسجد:

1. وصف الباب التذكري لجامع سيدي عقبة (باب طبنة): (صورة 34) (شكل 12)
يحتوي جامع سيدي عقبة على باب تذكري كان موجودا بالمدخل الثالث لبيت الصلاة، وعند إصلاح الجامع وإعادة ترميمه تم تحويله إلى الزاوية الغربية لبيت الصلاة، ويعتبر حاليا تحفة فنية بالزخرفة التي يحملها. يرجع الدكتور رشيد بورويبة والباحث جورج مارسسي تاريخ إنجاز هذه التحفة إلى النصف الأول من القرن الخامس هجري الموافق للحادي عشر ميلادي حيث يعود للفترة الزيرية، إذ أهداه المعز بن باديس الزيري إلى الجامع. ويثبت ذلك العلاقة الموجودة بين حروف كتابة الضريح، والحروف التي تزخرف الآثار التونسية التي تعود هي الأخرى إلى القرن الحادي عشر، إضافة إلى التشابه الكبير

بين زخرفة باب جامع سيدي عقبة وزخرفة الأخشاب المنقوشة بالجامع الكبير بالقيروان، والتي كلها إلي عهد المعز بن باديس الزيري⁽¹⁾.

• - الباب:

يبلغ عرضه 1,35م وارتفاعه 2,75م وينقسم إلي أربعة ألواح بواسطة قضيبين وغطاء فصل بالوسط، ويبلغ عرض كل قضيب وسمكه 5سم، قسمه الاعلي له شكل ثلاث قرصات، أما باقي القسم الأسفل من القضيب فتشغله أوراق و غصون ملتوية إضافة إلي سبعة مسامير العارضة والإطار

يتكون الباب من، إطار به ركيزتين ارتفاعهما 2,70م وعرضهما 20سم، وكذلك عارضة عرضها 1,72م وارتفاعها 24سم.

• - الركيزتان:

تحتوي كل ركيزة علي لوحتين مختلفتي العرض، حيث يبلغ عرض اللوحة الداخلية 8سم وتزينها أغصان وأوراق، أما اللوحة الخارجية عرضها 12سم، وتتكون من لوحات مستطيلة تتناوب مع لوحات مربعة، يبلغ عدد اللوحات المستطيلة ستة(6) ويزينها غصنان متناظران، بالنسبة للمحور العمودي يليها عقد ثلاثي الفصوص ويزينها غصنان متناظران، ويشغل القسم الأسفل معين في وسطه زهيرة علي شكل قلب، أما زوايا اللوحة فتشغلها ورقة الاقنثة المثلثة الزوايا، إضافة إلي وجود أغصان متشابكة وأوراق، كما نجد أغصان موضوعة أفقيا تزين اللوحة الرابعة، أما اللوحة الخامسة فهي تشبه في زخرفتها اللوحة الأولى، في حين زخرفة اللوحة السادسة هي غير واضحة المعالم، أما اللوحات المربعة فعددها خمسة وتزينها على التوالي:

اللوحة الأولى بها أوراق داخل مثلثات، أما الثانية فيها ورقتي الاقنثة مطويتين علي ساقهما الأوسط وتحتويان على ورقة الاقنثة مفتوحة على وجهها، أما اللوحة الثالثة فتحتوي على شبه مروحة تتكون من اثنتي عشر شفرة، في حين تحتوي اللوحة الرابعة على زهيرة ذات

(1) Bourouiba.R : apport de l'Algérie, op.cit, p 26.

أربعة فصوص، أما زخرفة اللوحة الأخيرة فهي غير واضحة، وتحتوي الركيزتين اليمنى واليسرى على مسامير نحاسية تتوجها من الأعلى إلى الأسفل.

• - العارضة:- (صورة 35)

تعلو الباب وتتوسطها لوحة مربعة وتزينها أغصان ملتوية وأوراق تشغل كل اللوحة، الأولى مستطيلة والثانية على شكل منحرف، فيما يتعلق باللوحة المستطيلة فتزينها غصون ملتوية ومتشابكة وأوراق، أما اللوحة الشبه منحرفة فهي تقع أسفل اللوحة السابقة وهي أقل ارتفاعاً منها، ويزينها صفا من الغصون الملتوية والأوراق. إضافة إلي وجود ثلاثة عشر مسمار مخروطية الشكل وموضوعة على خط الفصل بين اللوحتين، وعلى جانبي هذه العارضة نجد ورقة كبيرة مطوية وأخري على شكل مروحة.

• - الساكف:

يبلغ ارتفاعه 25سم وهو يخرج عن إطار الباب بحوالي 20سم من كل جانب، وتزينه مجموعة تتكون من ثمانية دوائر صغيرة تربطها حلقة مستديرة، وهي موجودة بداخل مضلعات سداسية ومتشابكة فيما بينهما.

2. أنواع الزخارف الموجودة في المسجد:

اهتم المسلمون بالفنون الزخرفية،⁽¹⁾ وأعطوها عناية كبيرة في عمائرهم خاصة الدينية منها، وعلى غرار كل المساجد تنوعت الزخارف في مسجد عقبة بن نافع منها النباتية، الهندسية والكتابية .

2-1 الزخارف النباتية:

تتنوع بين الغصن، الساق، الورقة، الزهرة، الثمرة وتوزع على كامل المسجد، ومن أهم هذه العناصر الأغصان و(صورة 36أ،ب،) (شكل 16،15) التي أخذت أشكالاً ملتوية وحلزونية متناظرة على محور عمودي، إضافة إلي أغصان مرتبة أفقياً. وقد استعملت هذه العناصر من طرف الفنان في زخرفة الباب التذكاري بالجامع، وأنجزت هذه الزخارف على

(1) المقصود بالفنون الزخرفية: هنا هو تلك الرسوم التي تزين الآثار الثابتة من عمائر مختلفة، أو تزين التحف المنقولة المصنوعة من الفخار والخزف، ومن الكتان والصوف والحريير، وغيرها من مواد النسيج، ومن الخشب والعاج ومن المعادن والزجاج ومن الجلد والرق والورق .

الخشب بطريقة الحفر الغائر. كما يظهر كذلك لدينا عنصر ورقة الاقنثة مرسومة علي وجهها تارة، وعلى جانبيها تارة أخرى ومنها حتى الأوراق المطوية، وهي ذاتها تزين الباب التذكاري للمسجد، وأيضا الورقة المزدوجة وهي تزين الزليج والورقة المنفردة مرسومة على جانبها وهي تزين أيضا الزليج .

العنصر النباتي الثالث، الذي يوجد بجامع سيدي عقبة يتمثل في الزهرة حيث تنوعت منها ذات الأربعة فصوص منقوشة مع الكتابة الكوفية، والزهرة ذات ستة فصوص وثمانية فصوص تزين الزليج داخل بيت الصلاة .

الثمرة مرسومة على الزليج ولكنها غير واضحة المعالم.

2-2 الزخارف الهندسية: (صورة 37أ، ب)

(شكل 15، 16) وجدت الأشكال الهندسية بكافة أنواعها ما عدا الدائرة، و استعملت هذه العناصر بالجامع، حيث نجدها تزين داخل المحراب وخارجه، وتتكرر نفس الزخرفة علي جانبي مشكاة المنبر. وقد نقشت هذه الزخارف على مادة الجص، ونجد كذلك بلاطات خزفية تعود إلي الفترة العثمانية بدلالة إمام الجامع. (صورة 38)

وتتكون كل بلاطة من مربعات، ينقسم كل واحد منها إلي نصفين، (أي مثلثين) أحدهما أخضر والآخر أصفر اللون، إضافة إلي شمسية مربعة الشكل بها زخارف هندسية، ونفس هذه الأشكال تزين منطقة الانتقال ورقبة القبة، وقد نقشت كلها على مادة الجص، وتحتوي هذه الزخرفة على الخط أو السطر والمثلث والمربع والمستطيل ونشاهد هذه الأشكال الهندسية على النحو التالي:

الخط أو "السطر": خطوط مستقيمة، متوازية، متقاطعة، منحنية ومنكسرة (في القوس والأخاديد، والزوايا القائمة والحادة، المثلثات، والمربعات، والمستطيلات والمعينات)
المثلث: تنوع منها، المتسلسلة والتي تكونها الخطوط المتقاطعة وداخل المربع، والموضوعة فوق بعضها البعض.

المربعات: والتي تتكون نتيجة الخطوط المتقاطعة، والمنكسرة والمربع المقسم، إلي أربع مربعات، والمنقسم إلي مثلثين .

المستطيل: نتيجة الخطوط المتقاطعة والمنكسرة.

المعين: نتيجة الخطوط المتقاطعة ضمن مربع.
الدائرة: تتنوع هناك السداسية الفصوص، والتي تنتمي إلي مجموعات من خمس دوائر
وذات شكل مروحة ذات اثني عشر شفرة.

2-3 الزخارف الكتابية:

يطلق لفظ "خط" على صور الحروف ورسومها التي تكون الكتابة، ولعل هذا المصطلح قد
استمد لفظه من الآية الكريمة⁽¹⁾ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)⁽²⁾
وإذا كانت الزخارف الهندسية والنباتية، التي أبدع المسلمون في مجالها قامت على أساس ما
عرفته الفنون القديمة، فإن الزخارف الكتابية كانت من ابتكارهم وأصبحت من مميزات
الفنون الإسلامية بصفة عامة⁽³⁾.

أخذ الخط العربي حظا وافرا في زخرفة جامع سيدي عقبة، حيث وجد بالمحراب والمنبر
والضريح ورقبة القبة أمام المحراب، و من الخطوط التي وجدت في مسجد سيدي عقبة.
أ - الخط الكوفي⁽⁴⁾ : (شكل 17أ) (صورة 39) هو من الخطوط العربية الأولى ظهر قبل
الإسلام بسنوات ليست بالقليلة،⁽⁵⁾ وعرف الخط الكوفي تطورا بفضل الخطاطين و النقاشين
المسلمين إلي عدة فروع زخرفية وقد وجدت كتابة ذات سطر واحد منقوشة على

(1) محمد عبد العزيز محمد: القيم الجمالية في الخط العربي، "مجلة العصور" المجلد 1، الجزء 1، 1986 ص ص 65/54.

(2) سورة العنكبوت (29): الآية 48.

(3) نفس المرجع، ص 60.

لوحة حجرية موضوعة حالياً عمودياً على جانب باب الضريح كتبت بخط الكوفي المورق⁽¹⁾ جاء فيها:

(هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله)، وتختفي من النقش، النقط و الاعجام مما يؤكد أنه يعود إلي فترة مبكرة .

ب - الخط النسخي: (شكل 17ب) (صورة 40أ، ب) تعمل بكثرة في منطقة المغرب الإسلامي، ونقشت به الكتابة الموجودة بنصف الدائرة الواقعة بالقسم الأعلى من المحراب، وقد استعمل في ذلك خط النسخ العثماني والتي جاء فيها (... الحمد لله هذي تذكرتنا...)، إضافة إلي نقش آخر على لوحة بالجدار الشمالي الشرقي للضريح، جاء فيها (يا واحد يا احد أغفر لعبدك اسمه...)

ج - الخط الرقعي: (شكل 18أ) أستعمل في كتابة الشريط الذي يحيط برقبة القبة التي تتقدم المحراب بالجامع، وتمتاز بتداخل وتلاصق حروفها مما صعب قراءتها كاملة، ماعدا جملة (الحمد لله وحده).

د - الخط التوقيعي: (شكل 18ب) أستعمل بمنبر الجامع، ويرجع إلي الفترة الاستعمارية بدليل ما احتوته الكتابة نفسها (.. عمل علي بن محمد الساسي التغزويني في 21 رجب سنة 1224هـ/1858م) .

(4) - تطور الخط الكوفي المبكر بأحرفه الهندسية ذات الزوايا القائمة، والذي يعتبر أساس معظم الخطوط العربية، وقد استخدم في العصر الأموي لأول مرة، كجزء من الزخرفة علي الجدران والجرار، و وصل الخط الكوفي درجة الكمال في أواسط القرن الثاني الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن ميلادي، فكان الخط الذي يرسم به القرآن، وبقي كذلك لأكثر من ثلاثة قرون تلت. أنظر: وجدان علي بن نايف: سلسلة التعريف بالفن الإسلامي "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين" دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص 470 .

(5) مرتاض محمد: الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994، ص 58.

(1) كامل بابا: روح الخط العربي، دار العلم للملايين دار لبنان للطباعة والنشر، ط3، 1994 ص 67 (و هو خط كوفي دخل فيه العنصر النباتي مما زاد في جمال هذا النوع من الكتابة الذي برز في القرنين الرابع والخامس الموافق ل القرنين الحادي عشر الثاني عشر)

تنوعت المواد المستعملة في الزخرفة منها الجص، الزليج، الرخام، الحجارة والخشب، حيث استعمل الجص في زخرفة المحراب وإطاره، والقبة الموجودة أمامه وجانبي مشكاة المنبر و شمسيات جداري المحراب والضريح والمئذنة، وأستعمل في تلبيس وسائل الدعم والجدران .

الجص: أستعمل في تلبيس وكسوة جدران المسجد كذا زخرفته و يظهر ذلك جليا في المحراب وحنيته والقبة التي تتقدمه (صورة41)

الرخام: استعمل في صنع السواري والقواعد والتيجان.

الزليج: استعمل في تزيين جداري المحراب والضريح .

الحجارة: استعملت في التيجان والسواري التي جلبت من جبال الاوراس المجاورة للمنطقة.أما الخشب: فنجده استخدم في صناعة المنبر والأبواب والأخشاب التي تثبت وسائل الدعم، وتنوعت بين العرعار وجذوع النخيل في التسقيف، وخشب الأرز في صناعة باب المسجد (باب طبنة)،وكذا على جدار الضريح الذي نقشت عليه الكتابة، والتي تدل على (عمر التنسي...).

رابعا: الاستخلاصات:

يمكن استخلاص من خلال دراستنا لمسجد سيدي عقبة وملاحقه مجموعة من النتائج.

● أن المسجد كان في بدايته عبارة عن مزار لضريح عقبة بن نافع الفهري، الذي تكونت بالقرب منه قرى وأحياء سكنية احتاجت بمرور الزمن إلي مسجد لإقامة الصلوات الخمس، وشيئا فشيئا أصبح مسجدا جامعاً .

● أن المسجد ينتمي إلي المساجد الصحراوية التي لا تحتوي على الصحن، نظرا للظروف المناخية السائدة في المنطقة، كالحرارة الشديدة والرياح مثلما توضحه الجداول المناخية المرفقة .

● أن المسجد ينتمي للمساجد غير منتظمة في شكلها، مما يدل على بساطته.

● المسجد تعرض للعديد من عمليات الترميم والإصلاحات، وهذا ما جعل الكثير من

المعالم الأثرية تختفي منه. (صورة42)

● طبيعة مواد البناء المستعملة في إنشائه، والمتكونة من مواد بسيطة محلية كالطين وجذوع النخيل.. الخ أساسا في البناء أو في عمليات الترميم التي كان الأهالي يقوم بها الأهالي بين الفينة والأخرى، ساهمت هذه المواد قليلة المقاومة للظروف الطبيعية في اندثار المعالم الأثرية بجميع أنواعها. ضف إلي ذلك وجود المسجد وكذا بلدة سيدي عقبة في منطقة تلاقي الأودية، والتي عادة ما تكون مدمرة مثل الوادي الأبيض.

● أن المسجد من نوع المساجد المتعددة المهام، فهو مسجد جامع لأداء الصلاة بالإضافة إلي كونه مزارا، وأخيرا مدرسة تعليمية حيث كان يضم العديد من الغرف للطلبة الوافدين من مختلف النواحي المجاورة للبلدة، بالإضافة للدور الاجتماعي وحتى السياسي، حيث كان يعتبر مكان للربط والحل في الكثير من مشاكل البلدة (الزواج، الطلاق، فض النزاعات بين سكان البلدة، تسيير شؤون البلدة سياسيا، كمكان لعقد الاجتماعات بين شيخ البلدة وأعيانها... الخ.

● الزخرفة التي احتواها المسجد زخرفة بسيطة تدل على بساطة سكان المنطقة ومعمارييها .

● عمليات الترميم الأخيرة التي أجريت في بلدية سيدي عقبة علي المسجد، لم تكن وفق طرق علمية مدروسة، فإنجاز المركب الإسلامي ملاصقا للمسجد جعل هذا الأخير شبه مختفي عن الأنظار وأصبح جزء لا يتجزأ من المركب الإسلامي، كما أن الطراز المعماري الذي يعد بحق تحفة هندسية معمارية وهي الحي المجاور لمسجد عقبة بن نافع والمعروف "بالبلدة" شرع في تهديمه بغرض بناء مرافق أخرى حديثة شوه من جمالية المكان الأثرية.

يمكن القول في الأخير انه ورغم بساطة مسجد سيدي عقبة من الناحية المعمارية والهندسية إلا انه مازال يؤثر على عمارة الزاب إلي حد الآن ولا أدل على ذلك مئذنة المركب الإسلامي الجديد الذي انشأ بالقرب منه والتي أنجزت تحت تأثير مئذنة مسجد عقبة بن نافع.

أولاً: التعريف بالبلدية.

- الموقع الجغرافي.
- الموقع الإداري.
- إشكالية التسمية.
- لمحة عن المناخ السائد في منطقة سيدي ناجي (الحرارة، التساقط، لرتوبة، الرياح
- اختيار موقع الخنقة.
- ظرفية التأسيس.

ثانياً: مسجد سيدي المبارك بن ناجي.

- أ- ظرفية التأسيس.
 - ب- الوصف العام للمسجد.
1. بيت الصلاة.
 2. الصحن.
 3. الدعامات والأعمدة.
 4. التيجان.
 5. العقود.
 6. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.
 7. المداخل.
 8. النوافذ
- ت- العناصر المعمارية للمسجد.

1. المحراب.
2. المنبر.
3. نظام التغطية
4. المئذنة.
5. الصحن.

ثالثاً: الأضرحة الموجودة بمسجد سيدي المبارك.

1. ضريح سيدي المبارك.
2. ضريح أحمد بن ناصر.
3. ضريح بن حسين محمد بن حسين.

رابعاً: المدرسة الناصرية.

1. ظرفية التأسيس.
2. الوصف العام للمدرسة.
3. المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك.

أولاً: التعريف بالبلدية

أ- **الموقع الجغرافي:** (خريطة10)(صورة جوية43)
تقع بلدية خنقة سيدي ناجي في منطقة الزاب الشرقي أقصى شرق بسكرة ، وهي تتوضع في أقدام سلسلة الاوراس بالضبط في أقدام جبال النمامشة، وتبعد عن مقر الولاية "بسكرة" بحوالي 100 كلم، وترتبط بها بواسطة الطريق الوطني رقم83 و يعد المحور الرئيسي في هيكله مجال البلدية وفي الحركة والاتصال، وبمسافة 25كلم عن مقر الدائرة زربية الوادي شرقا .

ب- **الموقع الإداري:**

بلدية خنقة سيدي ناجي تابعة إداريا لدائرة زربية الوادي، ولاية بسكرة تتربع على مساحة 80كلم² وحدودها كالاتي:

الشمال الشرقي: بلدية خيران(ولاية خنشلة)

الشمال والشمال الغربي: بلدية الولجة (ولاية خنشلة)

الشرق: بلدية جلال (ولاية خنشلة)

الجنوب الشرقي: بلدية بابار(ولاية خنشلة)

الجنوب والجنوب الغربي: بلدية زربية الوادي (ولاية بسكرة)

تضم تجمعين سكانيين:

أ - النواة القديمة وتتميز:

بموضع محصور بين الجبال ووادي العرب، نسيج رديء ومواد بنائه طينية

(صورة44أ،ب)، كما يتميز بعدم التنظيم في محاوره الداخلية.ندخل إليها عن طريق المدخل

الوحيد وهو البوابة الرئيسية لها(صورة45أ، ب)

ب - النواة الجديدة(البرج):

تكونت نتيجة لنقص الأراضي الخاصة بالتوسع العمراني في النواة الأولى، لذلك كان

التفكير في تكوين نواة أو تجمع جديد موازية للطريق الوطني 83.

ت- **إشكالية التسمية:**

● اسم الخنقة: جاء في القاموس المحيط⁽¹⁾ " أن الخانق الشعب الضيق والزقاق المختنق : المضيق ومختنق الشعب مضيقه والخانق مضيق في الوادي والخانق شعب ضيق في الجبل، وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقا.⁽²⁾ كما أن اسم الخوانق ارتبط بالزوايا في المشرق، حيث يذكر ابن بطوطة⁽³⁾ "وأما الزوايا فكثيرة، وهم يسمونها الخوانق واحدها خانقه". وبما أن هذا المصطلح غير شائع في بلاد المغرب، رغم أن بلدة خنقه سيدي ناجي بدايتها الأولى كانت عبارة عن زاوية للتصوف والعبادة، إلا أننا نرجح أن تسمية الخنقة تسمية جغرافية تعني الفج و المضيق بين جبلين، و كثيرا ما يضاف إلي اسم آخر، فيقال خنقة كذا و كذا، ومن ثمة أضيفت الخنقة إلي الجد الأول للأسرة سيدي ناجي. وقد عرفت قبل ذلك مكانا مهجورا يرتاده النعام ولهذا سميت قديما أيضا "مورد النعام". فالمنطقة كان يرتادها النعام إلي وقت قريب، وقد حمل عرب الصحراء عدة مرات نعامة يافعة ارتفاعها أربعة أو خمسة أقدام إلي أحمد باي.⁽⁴⁾ إلا أن ستيفان غزال يذكر وجود آثار قرية بربرية على الجهة اليمنى من وادي العرب.⁽⁵⁾ وقد أضيفت لها تسميات عدة، أهمها "تونس الصغيرة" نظرا لتشابه عمرانها ومكانتها الاقتصادية والثقافية. كما أنها شبهت بمكة، ويورد ذلك الورتلاني بقوله "قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة، غير أن التشبيه فيه بعض التعالي لكن كلام الأولياء مقبول، فيقول بما يوافق الشرع من غير تلبيس ولا التباس".⁽⁶⁾ ولعل تشبيه أهالي المنطقة الخنقة بمكة، كان جغرافيا أكثر منه شيئا آخر، فمكة تحصر بين جبلين وكذلك خنقة سيدي ناجي.

(1) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص1138.

(2) لسان العرب: باب الخاء، المجلد الثاني، ص325.

انظر أيضا: المصدر نفسه، المجلد3، ص190، مصطلح "الزقاق"، والتي تعني السكة يذكر ويؤنث، والزقاق الطريق الضيق دون السكة، وأيضا طريق نافذ وغير نافذ.

(3) ابن بطوطة: الرحلة المسماة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، 1980، ص 37 .

(4) فنديلين شلوصر: المصدر السابق، ص101.

(5) St. Gsell : op.cit ,f.N 49 .

(6) الورتلاني الحسن محمد: نزهة النظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد أبي شنب ط2، دار الكتب، بيروت ،لبنان،ص116"زار الخنقة في طريقه للحج، حيث يمر بها طريق رئيسي للحجاج، وبقي هذا الطريق إلي وقت قريب يستعمل كممر رئيسي للحج ترتاده جموع في مواكب من الغرب الجزائري ومن المغرب الاقصى، حيث يستعملون وسائل الركوب التقليدية الخيل والبغال وكذا السير علي الأقدام.

نستخلص في الأخير أن اسم الخنقة اسم للمكان الجغرافي الذي يقع فيه، من ثم أصبح اسما على علم فعرفت به المنطقة.

ث- طبيعة المنطقة جغرافيا:

تتموضع خنقة سيدي ناجي بين السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي شرقا و وادي العرب غربا وهي عبارة عن سهل منبسط تكون نتيجة ترسبات وادي العرب على مر السنين.

1. لمحة عن المناخ السائد في خنقة سيدي ناجي:

تمتاز منطقة خنقة سيدي ناجي، بمناخ انتقالي مابين الجاف والصحراوي الجاف لكونها تحت التأثير المباشر للأطلس الصحراوي، فموقع خنقة سيدي ناجي الجغرافي على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي تخضع لتأثير منطقتين مختلفتين حراريا، المناخ المتوسطي من جهة والصحراوي من جهة أخرى، وبذلك المناخ الذي يسودها مناخ متوسطي قاري، بارد ورطب شتاء، حار وجاف صيفا.

• الحرارة: (1)

من خلال المعدلات الشهرية للقياسات القصوى والدنيا في منطقة خنقة سيدي ناجي، سواء كانت مطلقة أو نسبية في الفترة في سنة 1999. نلاحظ أن ارتفاع درجة الحرارة في شهر أوت، حيث يكون متوسطها 6،42م أما متوسط درجة الحرارة المنخفضة، فسجلت في شهر جانفي 16،2م° وبذلك تعد أشهر جوان، جويلية، و أوت اسخن أشهر السنة .

فارتفاع درجة الحرارة أثر سلبا على المباني في خنقة سيدي ناجي، التي هي أساسا طينية

• التساقط (2):

يتميز التساقط بخنقة سيدي ناجي بالتذبذب وعدم الانتظام، وعادة ما تسقط علي شكل أمطار فجائية، فتنسبب في خسائر مادية وبشرية هائلة. ويقدر معدل التساقط السنوي بـ190,3ملم، فهي غير كافية لقيام زراعة في المنطقة، إلا أنها اشتهرت بكثرة ثمارها ونخيلها ومرد ذلك، تركيز شيوخ خنقة سيدي ناجي منذ تأسيسها على استغلال وادي العرب كمورد أساسي للتزود بالمياه، سواء للشرب أو الفلاحة فأنجزوا قنوات للري كما استغلوا القنوات الرومانية

(1) مصلحة الأرصاد الجوية محطة بسكرة ما بين 1968م/1999م.

(2) المصدر نفسه.

في المنطقة، فأنشئوا "ساقية موسي" و"سيدي محرز" و "قطع الوادي"... الخ. أما الرطوبة فتتميز البلدة بالجفاف والرطوبة المنخفضة، حيث تبلغ 41%.

• الرياح:⁽¹⁾

نظرا لوقوع خنقة سيدي ناجي في منخفض تحت جبال الاوراس، جعلها تتعرض لنوعين من الرياح:

الأولى: "باردة" شمالية وشمالية غربية باردة، وتهب عادة خلال أشهر (نوفمبر، ديسمبر، جانفي، فيفري، مارس، أبريل).

الثانية: "حارة" جنوبية وجنوبية شرقية المعروفة "بالسريكو"، حارة وقوية و محملة بالرمال، تهب في أواخر فصل الربيع والصيف. و يكون هبوبها من شهر مارس إلي شهر أوت مما يؤثر على النشاط العام في الخنقة.

ث- اختيار موقع الخنقة:

لقد تطرقت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية للمنطقة بشكل عام، حيث ذكرها البكري⁽¹⁾ "ومنها إلي مدينة باديس مرحلة وبمدينة باديس حصنان فيهما جامع وأسواق و بسائط ومزارع جليلة و يزدردعون بها الشعير مرتين في العام علي مياه سائحة كثيرة عندهم"، إلا أن هذا الذكر والوصف خاص بمدينة بادس أو (بادياس الرومانية) التي كان لها شأن كبير في المنطقة، وحولها قري كثيرة .

⁽¹⁾ مصلحة الأرصاد الجوية محطة بسكرة.

⁽¹⁾ البكري: المسالك والممالك، المجلد2، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003 .

أما كتب الرحالة، فتعطينا وصفا أكثر دقة منهم العياشي الذي ذكرها في رحلته للحج. كذلك الورتيلاني عن الخنقة قائلا "الخنقة قرية مباركة طيبة، ذات نخل وأشجار بين جبلين"،⁽²⁾ . يقول ابن خلدون⁽³⁾ في شروط اختيار الموضع لبناء مدينة: "وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها: فأما الحماية من المضار، فيراعي لها أن يدار علي منازلها سياج و الأسوار(صورة45)، وان يكون وضع ذلك في ممتنع الأمكنة، إما علي هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها من العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها" ونجد هذا الشرط متوفر في موضع الخنقة كوادي العرب⁽⁴⁾ (صورة46)تحصين طبيعي من الجهة الشرقية، أما من الشمال فالقرية محمية بأكثر من100كلم من الجبال أما من الجنوب فهي محمية بالصحراء.⁽⁵⁾ ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية :

طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا للمياه الفاسدة، أو لمنافع متعفنة، أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة.

أم جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعي فيه أمور :

منها الماء بأن يكون على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثوة.⁽¹⁾ و وادي العرب يوفر ذلك حتى في الفصول الحارة، و لا أدل على ذلك من تركيز الرومان على المنطقة وإنشاء قنوات الري بها على ضفاف هذا الوادي حينما كانوا مستقرين بالمنطقة.⁽²⁾ (شكل19)

(2) الورتيلاني: المصدر السابق، ص117 .

(3) ابن خلدون: المصدر السابق المجلد1، (المقدمة)، ص370.

(4) سمي بهذا الاسم لان الأعراب كانوا يسلكونه سنويا في رحلتي المصيف ذهابا وإيابا، ينبعث هذا الوادي من رافدين أحدهما من جبال بني ملول في الأوراس، والثاني من جبال ششار، ويمر بالخنقة ثم يصب في مكان يدعي الفيض، ومنه إلي شط ملغيغ. وكان هؤلاء، يأتون من أولاد بوحديجة وأهل الفيض و الخدران والسوافة وأولاد نايل، وغيرهم من القبائل مارين بأعداد هائلة من الجمال والمواشي وغيرها من الحيوانات، ومعهم خيامهم ولوازمهم في حركة دعوية في آخر فصل الربيع و أوائل فصل الخريف .

(5) G.Mercier : Khanguet sidi Nadji, quelques inscriptions arabes inédites, Recueil des

Notices et mémoires de la société archéologique Constantine, 1915, p145

(1) ابن خلون:المصدر السابق، المجلد6، ص371. انظر أيضا ابن الأزرق(بدائع السلك في طبائع الملك، ج 2، ص

766/764، تح محمد عبد الكريم).

(2) St.Gsell: op.cit, f.N, 49.

وقد شهدت المنطقة عموماً استقرار قبائل عربية هلالية، والتي هاجرت من المشرق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الموافق لـ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ويذكر ذلك ابن خلدون "وهؤلاء هم المودعات وهم موطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهوده.⁽³⁾ وغلبهم رياح و الذواودة، فنزلاً بلاد الزاب و اتخذوا بها الاطام والمدن، مثل الدوسن، وغريبوا، وتهوده، و تنومه، و بادس وهم لهذا العهد من جملة الرعايا الغارمين لأمير الزاب".⁽⁴⁾

ج- ظرفية التأسيس:

تأسست خنقة سيدي ناجي على يد "سيدي المبارك" مع بداية القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السادس عشر الميلادي (1011هـ الموافق 1602)، و الذي نسبها إلي جده الأول "سيدي ناجي" تبركا⁽¹⁾. و يرجع أحفاد سيدي المبارك نسبهم إلي ثالث خلفاء الرسول صلي الله عليه وسلم، عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد جاء في الكناش أن نسبهم هذا في كتاب الأنساب للشيخ يحي بن سلامة، وفي الدرر و العقيان في أخبار بني زيان، وفي تاريخ الوزير لابن أبي الضياف.

(3) ابن خلدون المجلد6: المصدر السابق، ص28.

(4) المصدر نفسه: ص ص، 30/28 .

(1) محمد موهوب بن احمد بن حسين: "الذكرى المثوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي" قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، دار الهدى عين مليلة، الجزائر ص ص 50/7.

إلا أن ما جاء في كتاب "منار الإشراف علي فضل عصاة الأشراف" للشيخ عاشور بن محمد وهو من علماء الخنقة، يذكر نسبه إلي نسل الرسول صلي الله عليه وسلم أي فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽²⁾ ويعزز هذا الطرح رواية متداولة ليس ببعيد عن خنقة سيدي ناجي، وبالتحديد في قرية "تبويحمد" التي استقر فيها الابن الثاني لمحمد الطيب، والتي ترجع نسب الأسرة إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

ويقول عبد الغاني بن حسين⁽³⁾ وهو من أحفاد أسرة بن حسين أن ما جاء في الكناش العائلي، يرجع أصول الأسرة إلي عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين. حيث كان آباء سيدي المبارك يسكنون الأندلس في عهد الخلفاء الأمويين، ولكن غادروها بعد سقوط غرناطة ليستقروا بتونس في عهد الأمير الحفصي مولاي حسين.⁽⁴⁾

و بالتالي يتفق أغلب الباحثين على أن أسرة ابن ناصر أحفاد سيدي المبارك، تعود في أصولها إلي عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد أخذت اسمها من

الأمير الأموي عبد الرحمن الناصر حاكم قرطبة الملقب "بالناصر"⁽¹⁾.

وقد ساعد على استقبال هذه الأفواج من المهاجرين الأندلسيين، الانهيار الديمغرافي الذي شهدته افريقية في منتصف القرن 8هـ (14م). بالإضافة إلي الاستقرار الذي كانت تعيشه الدولة الحفصية،⁽²⁾ حيث عاش جد الأسرة "سيدي ناجي" وابنه "سيدي قاسم" فالتف حولهما العديد من الأتباع والمؤيدين نظرا لشهرتهما، "فسيدي ناجي" كان رجلا عالما وتقيا تمتع

(2) عاشور بن محمد: منار الإشراف علي فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف المطبوعة الثعالبية، الجزائر، الطبعة 1، 1332هـ/1914. ص180. (يذكر: العالم العلامة الشيخ الأكبر، الولي الكامل، المحمول الحامل، الظل الظليل الشامل، القطب الغوث، الشمس الطاعة علي الدياجي، أبو البركات الشيخ المبارك ابن الشيخ القاسم ابن الشيخ ناجي، الشريف الحسني الإدريسي المنصوري الناجي)

(3) من أحفاد أسرة بن ناجي يشتغل أستاذا في التعليم المتوسط بزربية الوادي.

(4) Marthe et Edmond Gouvion: kitab Aàyane el maghariba, imprimerie oriental Fontana frères, 1920, p39 .

(1) هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله المرواني، تولي الإمارة سنة 300هـ الموافق لـ912م استطاع أن يوحد الأندلس بعد انقسامها ويقضي على الفتن والثورات ويتصدى للفاطميين في المغرب والممالك المسيحية في شمال الأندلس وفي سنة 317هـ الموافق لـ929م اعلن نفسه خليفة وتسمي بأمرير المؤمنين ولقب بالناصر لدين الله وكنيته أبا المطوف، أمه أم ولد اسمها مزنة وقد بلغت في عهده الأندلس شأن كبير وقد كانت وفاته سنة 350هـ الموافق لـ961م انظر الحميدي: جدوة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روية عبد الرحمان الريفى، دار الكتب العلمية بيروت، ص18 انظر أيضا: المقري نوح الطيب تحقيق إحسان عباس مج1 ص342، ابن الكر دبوس: تاريخ الأندلس، ص58

(2) عبد العزيز فيلالي: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، "مجلة سيرتا"، العدد 10، أبريل 1988، السنة السادسة، جامعة قسنطينة، الجزائر (من 72/65) ص67 .

باحترام كبير، وقد حضرته الوفاة بتونس فدفن بها، وقبته موجودة حاليا بساحة النخيل مازال الناس يتبركون به إلي يومنا هذا. وقد جمع "سيدي قاسم" كتابات والده في مؤلف سماه "كتاب سيدي ناجي" وهو تأليف في الأخلاق والشريعة عرف انتشار واسعاً في الزوايا التونسية.⁽³⁾ وقد أوضح ابن خلدون ذلك بقوله "أجاز الأعلام وأهل البيوت علي أرض المغربيين وكان قصدهم إلي تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها".⁽⁴⁾

وبعد وفاتهما رحل أبناهما بأعراشهما متجهين نحو تلمسان للوصول إلي الغرب (فاس)، ولا نعرف في الحقيقة الأسباب التي دفعتهم علي مغادرة تونس، ألا يمكن أن يكون ذلك مرده تزايد مكانة أحفاد سيدي ناجي في تونس خاصة ابنه قاسم، الذي ورث مكانة أبيه في العلم والذي جمع مؤلفات أبيه في كتاب لقي رواجاً كبيراً في الزوايا التونسية مما أصبح يهدد مكانة السلطان الحفصي.؟ ولا تلك التي منعتهم من الوصول إلي المغرب؟

وحسب الكناش⁽¹⁾ فإنهم وصلوا حتى جبال تسالة ثم ضربوا بعد ذلك في الأرض جنوباً إلي ورقلة وتوقرت ووادي سوف ووزان وتقميط والزاب الشرقي والفيض. (وجرت كلمتهم في الأوطان المذكورة بالإصلاح، وانتشر أمرهم وجرت لهم العوائد بالزكاة والعشر) وظلوا أعوام على تلك الحالة، إلي أن انتقلت الولاية إلي سيدي المبارك⁽²⁾، ف وقعت مطاردات بينه وبين الشابية⁽³⁾، وقد تعرضت قافلة سيدي المبارك للطوارق وبمعجزة تمكن من النجاة، رحل علي إثرها إلي بادس ثم حل "بالخنقة" التي أستقر بها سنة 1011هـ/1602م،⁽⁴⁾ يرافقه عدة أتباع ينتمون إلي أعراش وقبائل شتي وفدوا معه و استقروا وإياه منهم: لواته، سدراته،⁽⁵⁾ هزابرة، طرود، زهانة، دريد، نهد، زناته، شمسات، أولاد خير، بني كثير، بني

(3) Marthe.et Edmond Gouvion: op.cit.p39.

انظر أيضا كريمة بن حسين " نبذة تاريخية عن بلدة خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني " المجلة المغربية.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، الجزء 6، ص 684/683.

(1) الكناش مذكرة تاريخية عائلية افتتح التسجيل بها الشيخ "محمد بن الطيب" المتوفى سنة 1154 هـ ، ويعد الكناش تراثاً عائلياً تسجل فيه كل الأحداث العائلية وأهم الظواهر والرسائل وأحداث المنطقة وتواريخها .

(2) كريمة بن حسين:خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، (الذكرى المنوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م) 2002م " من 53إلي66"الجزائر، ص 55 .

(3) Gustave. Mercier: op.cit, p145

"أميرهم هو عبد الصمد الشابي المطرود من تونس، والمعروف بحروبه ضد العثمانيين والقبائل المستعصية، وقد أخضع لسيادته الهضاب العليا بعين البيضاء وتبسه ووصل حتى مشارف الصحراء" .

(4) Marthe.et Edmond Gouvion: op.cit,p41 .

(5) من المحتمل جداً أنها هاجرت معه من ورقلة خاصة أن صدراته كانت قائمة بالقرب من ورقلة أثناء رحلته في الصحراء.

زرق، أولاد جوين، مناع، الكلبة، أغموقات⁽⁶⁾ استعان سيدي المبارك بهؤلاء الأتباع الذين أسلموا أمرهم له في تسير شؤونهم، على تشييد وتعمير الخنقة. فعمل على إنعاشها عمرانيا وثقافيا و اقتصاديا، وذلك ببناء زاوية يعلم فيها تعاليم الدين الإسلامي،⁽⁷⁾ أصبحت تستقطب إليها الطلاب من كل مكان والمناطق المجاورة، كما اهتم بتخطيط الخنقة وتشييد المباني وغرس النخيل والأشجار المثمرة، واستغل القنوات الرومانية التي وجدها في المنطقة وأسس ساقية موسي.⁽⁸⁾ فتوسعت البلد وعلا شأنها لما أشتهر به سيدي المبارك من مكانة علمية ودينية، الأمر الذي جعل أهالي البلاد القريبة ينضون تحت لوائه ولو معنويا، ويعودون إليه في كل أمور دينهم ودنياهم وينال ثقتهم وتقديره.

وبعد سنوات من الاستقرار والعمارة، توجه سيدي المبارك لأداء فريضة الحج، وعند عودته أتجه إلي الاعتزال والعبادة، إلي أن توفي سنة 1031هـ/1622م،⁽¹⁾ وقد ترك ثلاث أبناء محمد، وتواتي، وأحمد، هاجر كل من محمد وتواتي البلدة إلي تونس ليتولي أخوهم الأكبر مكان أبيهم، وقد أتبع نفس النهج الذي سلكه والده في العلم والتقوى.

ومن إنجازاته توسيع زاوية الخنقة، التي أصبحت تجلب إليها طلاب العلم بنواحي البلدة ومن جهات أخرى من تونس والجزائر.⁽²⁾ ذلك ما أثار إعجاب الحكام العثمانيين الذين عملوا على التقرب من شيوخ الخنقة وربطهم بالحكم المركزي. وكانت سياستهم آنذاك قائم على احترام الزعامات المحلية بما فيها العلماء والشيوخ الزوايا، والتحالف معها و منحها امتيازات مادية ومعنوية. وقصد كسب تأييد شيوخ الخنقة وولائهم، منح يوسف باشا لقب "شيخ⁽³⁾ الخنقة وجبل ششار" أحمد ابن سيدي المبارك⁽⁴⁾ أصبحت الخنقة ولو اسميا تابعة للسلطة المركزية بقسنطينة، على الرغم من احتفاظ شيوخها باستقلالهم شبه التام.⁽⁵⁾

(6) كريمة بن حسين: المرجع السابق ص55. بالإضافة للقبائل التي كانت مستقرة في المنطقة الفطناسة وأولاد نبول أنظر: كتاب أعيان المغاربة ص41.

(7) . Marthe.et Edmond Gouvion:op.cit,p41

(8) . Ibid:p41

(1) كريمة بن حسين:المرجع السابق، ص55.

(2) . Marthe.et Edmond Gouvion.op.cit.p41

(3) "شيخ" مصطلح يستعمل للدلالة علي منصب سياسي أي رئيس السلطة المحلية يشرف على قبيلة أو مجموعة قبائل.

(4) . Marthe.et Edmond Gouvion:op.cit,p42

(5) جميلة معاشي: (الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلي القرن 13هـ) دراسة اجتماعية سياسية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1992م، ص 82 .

وقد عمل الحكام العثمانيين، علي مساعدتهم في إنجاز الكثير من المشاريع الاقتصادية، خاصة في عهد أحمد بن سيدي المبارك، في شق ساقية "سيدي محرز" وذلك في سنة 1049هـ/1640م.

كما منحوه امتيازات مادية هامة، منها جباية زكاة وعشر الزاب الشرقي وجبل ششار، وفقا لما تضمنته الرسالة التي وجهها إليه يوسف باشا،⁽¹⁾ المنسوخة بتاريخ 1050هـ، أعفي فيها جميع أفراد العائلة من المكوس والضرائب والخدمة العسكرية،⁽²⁾ وأصبحت تحتل مكانة هامة لدي الحكام العثمانيين، بفضل الدور الذي لعبه شيوخ الخنقة في المنطقة وحالة الأمن التي كانت تسود المنطقة وضواحيها، ونفس الشيء في عهد محمد باشا.⁽³⁾ وقد أشاد البايات في رسائلهم بهذا الدور، وعبروا عن ارتياحهم لذلك.

فقد جاء في رسالة من رجب باي نسخت بتاريخ 1081هـ مايلي "...أما بعد، قدمنا للناحية القبلية بقصد نظر البلاد والعدل بين الرعية، نزلنا بأرض أولاد شيخ البركة الولي الصالح المبارك بن ناجي، ولما نزلنا نحو البلاد وتفقدنا حالها وجدناهم عمدة البلاد و غاية بين أيدينا في الحب و النصيحة، يطعمون الطعام و يقرون الضيف ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (4).

(1) داي تونس وقعت الحدود في عهده بين الجزائر وتونس سنة 1628م بواد ملاق ومجردة

أنظر: Gustave. Mercier: op.cit ,p155

(2) Gustave. Mercier: op.cit, p155

(3) داي تونس حارب قبائل الحاناشة وأدخلهم تحت سلطانه بعدما انتصر عليهم سنة 1644م انظر أيضا:

Gustave Mercier: op.Cit, p155.

(4) كريمة بن حسين : خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني،المجلة المغاربية، العدد90/89، السنة1998م، عدد صفحات المقال 23، منشورات زغوان تونس، ص55 .

هذه المكانة التي تمتع بها شيوخ الخنقة ووزنهم في المنطقة، جعلت الحكام العثمانيين يلجأون إليهم في حل النزاعات بالمنطقة، و يختارونهم للتفاوض مع خصومهم سواء من البايات أو الولاة أو القبائل المختلفة، حيث كان لهم نفوذ روعي على الأسر الحاكمة في المنطقة خاصة وخاصة أسرة بو عكاز الذواودة و أحرار الحناشنة لوجود الخنقة بين نفوذ الأسترتين.⁽⁵⁾ ويذكر بن عاشور: أهل رياسة بسائط الزاب و ما والاها من الجبال والهضاب، سيماهم في وجوههم من أثر الشرف"⁽⁶⁾. و كان سيدي احمد و أقرباؤه من الذين تكفلوا بهذه المهمة بكل نجاح ولعبوا دورا مهما في تهدئة الأوضاع بالمنطقة. واصل " محمد الطيب " الذي تولى الولاية سنة 1077هـ / 1667م،⁽¹⁾ إنجازات والده أحمد حيث ضاعف من غرس الأشجار المثمرة والنخيل، واهتم بنشر العلم و الدين وتقرب البايات منه لكسب وده، يدل على ذلك الظهائر* التي تلقاها من "خير الدين" باي قسنطينة، سنة 1084هـ و "عبد الرحمان شاكور" باي قسنطينة أيضا المسمى "دلي باي" سنة 1090هـ و "شعبان باي" سنة 1105هـ.⁽²⁾

وقد أشاد البايات في رسائلهم بخصال العالم الجليل، والمكانة المعززة التي يحظى بها لديهم وحرصهم على الاحتفاظ بهذه المكانة وتوسيع امتيازات الأسرة وصلاحياتها، منها رسالة وجهها إليه "عبد الرحمان فاس" جاء فيها "إننا أوصينا عليهم أي(أولاد سيدي مبارك) بالرحمة و الاحترام، فلا يهضم لهم جانب، ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم لأنهم سلف صالح ودخان قديم، ليأخذوا زكاة الله و عشوره، إعانة لهم على قراءة القرآن وإطعام العلماء وعابري السبيل و الفقراء المساكين، لأنهم أهل لذلك ومحل لهم".⁽³⁾

استمرت خنقة سيدي ناجي في تادية دورها الثقافي و السياسي في عهد "محمد بن محمد الطيب"، الذي تولى تسييرها شؤون البلدة سنة 1107هـ / 1696م بعد تنازل أخيه له عن رياسة الزاوية نتيجة المرض، وأستقر غير بعيد عن الخنقة بقرية تابويحمد،⁽⁴⁾ وكان هذا

(5) جميلة معاشي: المرجع السابق، ص79.

(6) عاشور بن محمد: المصدر السابق، ص180.

(1) Gustave. Mercier :op.cit ,p156

* تعني وثائق رسمية تسجل فيها حقوق الأسرة في المنطقة من طرف السلطة العثمانية.

(2) Ibid:p156

(3) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص4.

(4) Gustave Mercier:op.cit , p156. أنظر أيضا p42 .Gouvian (Marthe et Edmont)

الأخير فقيها و عالما في الشريعة الإسلامية، له عدة مؤلفات منها مخطوطة بعنوان " عمدة الحكام و خلاصة الأحكام في فصل الخصام " يتكون من أكثر من مائتي صفحة ألفه في

10 شعبان 1152هـ،⁽¹⁾ به أبواب فقهية عدة تخص المعاملات كالتضمين، و الأراضي، و الوصايا، والإرث، و حدود السرقة، و الزنا، و القذف،... الخ. و أهم ميزة لهذا المخطوط استشهاد الشيخ بأقوال و أحكام العلماء و القضاة و الأئمة السابقين، ناسبا كل قول لصاحبه بأمانة بالغة تدل على إطلاعه الكبير و ثقافته الفقهية الواسعة ونزاهته العلمية.

اهتم في عهده⁽²⁾ بالفلاحة و التعمير، فقام بشق قناة تعرف "ساقية قطع الوادي" والتي أصبحت تسقي أكبر بساتين الخنقة. كما كان له الفضل في إعادة بناء مسجد سيدي المبارك في سنة 1147هـ / 1734م،⁽³⁾ وكان بالإضافة إلى ذلك قائدا سياسيا بارعا تم الاعتماد عليه في الظروف الصعبة، كوسيط بين بايات قسنطينة و بايات تونس لحل نزاعات كبيرة بينهم. و قد شاع صيته فنال تقدير و احترام الولاة العثمانيين، الذين عملوا على كسب وده. و يذكر ابن أبي الضياف "أن علي باشا كان لديه وصاية و تأثيرين كبيرين على الخنقة و بسكرة، وكان يفرض عليهم الإتاوات خاصة على النمامشة... وكانوا يعترضون ركب الحجاج، ففي سنة 1164هـ / 1750م تعرضوا لموكب الحجاج الفاسي، و عالو فيه و أخذوا منه خيلا و إبلًا و أحمالا و أمولا، و توزعوه فرفع الحجيج أمرهم إلي علي باشا فوعدهم باسترداد أموالهم من النمامشة، فأستدعي الشيخ محمد ابن الحاج أحمد شيخ الخنقة و الشيخ الفقيه العالم ابن العباس أحمد التليلي صاحب "فريانة"⁽⁴⁾ و غيرهما ممن يشار إليه في تلك الجهة،"⁽⁵⁾ فتلقى ظهائر من " أحمد باي" و "مصطفى داي الجزائر" و "علي باي" ابن صالح باي و "حسين باي بوكمية" الخ .

(1) عبد الحليم صيد: "علماء من الخنقة وليانة" الذكري المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي " 1602م - 2002م" (98 إلى 113)، ص 98، الجزائر .

(2) كريمة بن حسين: المرجع السابق ص 5.

(3) نقش هذا التاريخ على يسار المحراب.

(4) فريانة تعني قرية سريانه القريبة من خنقة سيدي ناجي .

(5) أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1963، ص 132.

وكانت الزيارات متبادلة بينه و بين الحكام العثمانيين، حيث قام بزيارات متعددة إلى كل من الجزائر و قسنطينة و تونس، منها ما كان للمجاملة والتهنئة، و منها ما كان للسعي في الصلح أو غيره.(1)

وكل زيارته و الزيارات الأخرى التي وقعت في عهد أجداده أو من بعده، مسجلة في الكناش بتواريخها و أهدافها ونتائجها. وقد وجد عند الجميع حسن الوفادة و الرعاية و الترحاب و قضاء الحاجة.(2) وبالمقابل زار الخنقة في عهده أو في عهد والده، كثير من البايات و الولاة من تونس و قسنطينة و الجزائر.

و هكذا كانت الخنقة ملجأ للبايات و الولاة ، وحتى أفراد الجيش الإنكشاري الذين كانوا يلجؤون لدى شيوخها أثناء أوقات المحن لكي يتوسطوا لهم لإنقاذ حياتهم. أو استرجاع حكمهم أو حل نزاعات فيما بينهم، نظرا لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من سمعة طيبة و احترام كبير لدى الحكام العثمانيين. ووفي سنة1195 هـ كان قدوم الشيخ أحمد بن جلاب الذي كان حاكما بتوقرت ترك عياله وخدمه بالخنقة،وذهب لنفطه،فأنزلوا بدار بوغلاق وكرم مثوالم وأحسن إليهم وبقوا نحو ستة أشهر بها(3) .

و في وسط هذه البيئة النشيطة جدا ثقافيا وسياسيا و اجتماعيا، عاش "أحمد بناصر" * الذي خلف والده في تولي أمور الخنقة سنة 1154هـ /1741م، وقد أخذ هذا الاسم تخليدا لذكرى سلفه الأمير الأموي "عبد الرحمان الثالث" حاكم قرطبة الملقب "بالناصر"(4) وقد تحصل على لقب شيخ الخنقة وجبل ششار"1641م"، وأعترف فيما بعد من طرف محمد باشا في

(1) Gustave. Mercier :op.cit ,p156

(2) محمد موهوب بن أحمد بن حسين: "قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها"، (الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (2002/1602) "بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات لبعض من أعلامها"، السنة، مارس، 2002 (من 7إلى 52)، عدد صفحات45، الجزائر ص19: أنظر أيضا كريمة بن حسين: "خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني"،المجلة المغاربية، العدد90/89، السنة1998.

(3) محمد موهوب بن أحمد بن حسين: المرجع السابق، ص20.

* ينطق بناصر عند سكان الخنقة والأصح أحمد بن ناصر.

(4) Gouvian (Marthe et Edmont), op.Cit, p 43

أعطي هذا الاسم حسب الروايات المتداولة والتي سمعناها من أحفاد سيدي المبارك ورئيس الجمعية الناصرية قوبع، لأولاد سيدي المبارك الذين أصبحوا يعرفون بأسرة بن ناصر.انظر أيضا كريمة بن حسين المرجع السابق و

Gustave Mercier: op.Cit, p156

رسالة من يوسف باشا إلي أحمد بن ناصر بن المبارك في رجب 1050هـ / 1063هـ الموافق لـ 1653 م / 1649 م⁽¹⁾.

اتبع "أحمد بناصر" آثار أوائله في العمارة و الإصلاح، فقد قام بخدمة السواقي لسقي البساتين و الغابات، كما استصلح الأراضي الزراعية المعروفة باسم "الجعدي" في الزاب الشرقي حوالي 4000 هكتار القريبة من بادس،⁽²⁾ ومن أهم إنجازاته إتمامه لمشروع والده، فمن ماله الخاص بني روضة سيدي المبارك و المنارة، و صحن الجامع، و القبّة و ذلك في سنة 1171هـ / 1758م، و عمر المسجد بتعليم العلم و القرآن العظيم، و زوده بمدرسين للطلبة الذين كان يسهر على راحتهم و تدريسهم بنفسه⁽³⁾.

ربط "أحمد بناصر" كذلك علاقات صداقة و تعاون مع بايات قسنطينة الذين جددوا له الولاية، فكان كل باي يعين على قسنطينة يرسل له ظهائر اعترافا بحكمه على المنطقة⁽⁴⁾. و قد لعب على غرار أسلافه دورا كبيرا في تسوية النزاعات التي كانت بين كل من بايات قسنطينة و تونس، فتميزت فترة حكمه بكثرة أسفاره بين تونس و قسنطينة و الجزائر لتحقيق الوفاق بين الايالتين، و لعب دور الوسيط بين التونسيين و الجزائريين حيث كان البايات و الباشاوات يختارونه في مرات عديدة كمبعوث،⁽⁵⁾ كتدخله مثلا لإطفاء نار فتنة وقعت في سنة 1157هـ بين باشا الجزائر و باشا تونس.

ولعل ما ميز حكمه، سياسته الهادفة إلى توطيد علاقة أسرته أكثر ببايات تونس، الأمر الذي أثار شكوك باي قسنطينة "أحمد بن علي" المسمى "القلي"⁽⁶⁾ في إخلاص أحمد بناصر لحكمه و ساد الاعتقاد لديه بأنه ينوي الانفصال عن بايالك قسنطينة و التحالف مع بايات

تونس.⁽¹⁾ و زاد من قوة هذا الاعتقاد قيام الشيخ ببناء قلعة عسكرية تسمى "برج البطحاء" على مشارف الخنفة نصب عليها أربع مدافع،⁽²⁾ زوده بمدافع لحمايتها من أي اعتداء أجنبي

(1) Gustave Mercier op.cit: p42

(2) Ibid: p45

(3) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص60.

(4) Gustave Mercier:op.Cit, p160.

(5) Gouvian (Marthe et Edmont), op.Cit, p42.

(6) الباي أحمد بن علي الملقب بالقلي لأنه اشتغل أغا في القل حكم ما بين 1757م/1771م

انظر. Gustave Mercier:op.cit, p158

وصد الغزاة عنها، خاصة وأن حروبا طويلة كانت قائمة بين الخنقة وسكان "ليانة"،⁽³⁾ وكذلك بينها وبين الشابية، إلا أن الباي "أحمد القلي" استغل غياب أحمد بناصر فهاجم الخنقة و ألحق بها خسائر مادية هامة⁽⁴⁾ .

ومما يؤكد توطيد العلاقة بين خنقة سيدي ناجي وتونس ، قيام " على باشا" باي تونس بمنح " أحمد بناصر " قطعتين واسعتين من الأراضي الزراعية واحدة "بماطر" و الأخرى "بينزرت"⁽⁵⁾ وذلك تعويضا له عن الخسائر الكبرى التي لحقت بالخنقة و اعترافا بالجميل الذي قدمه له أهلها أيام فراره من تونس حيث التجأ إليها مع أفراد عائلته وحاشيته ، و وجد بها كرم الضيافة ومساعدة سكانها الذين وقفوا إلى جانبه حيث مكث حوالي70يوما⁽⁶⁾ .وبعد أن استرجع حكمه و عاد إلى تونس توطدت أكثر الصداقة التي كانت تربط الأسرة ببايات تونس .تتضح هذه الصداقة في إعطاء بايات تونس تعليمات لولاتهم في كل المقاطعات باستقبال أحفاد سيدي المبارك بكل شرف و اعتزاز، و إرضائهم في كل شيء، ومصاحبة الفرسان لهم عند مدخل المدينة، وكذلك الأمر بالنسبة لرحلة العودة حيث تتم مصاحبتهم و إكرامهم حتى خروجهم من الأراضي التونسية.⁽⁷⁾

حافظت خنقة سيدي ناجي على هذا التقدير وهذه المكانة أثناء حكم "حسين"⁽¹⁾ الذي خلف والده "أحمد بناصر" سنة 1210هـ / 1794م، وكان هذا الأخير قد مات مقتولا على يد "بوزيان" قائد الشابية⁽²⁾ في صحراء نقرين خلال أحد أسفاره إلى تونس .

(1) Gouvian (Marthe et Edmont), op.Cit, p45.

(2) Ibid:p45 .

(3) حول هذا الصراع أنظر: مقال محمد موهوب بن أحمد بن حسين، المرجع السابق، ص ص21/20.

(4) Gouvian (Marthe et Edmont) op.Cit45 , p45.

(5) Ibid.: p45 .

(6) Gustave Mercier :op.cit ,p159 .

(7) حمودة بن محمد بن عبد العزيز: الكتاب الباشي الجزء الأول، الدار التونسية للنشر 1970، ص270، نقل عن جميلة

معاشي، المرجع السابق، ص 82 أنظر: أيضا G. Mercier: op.Cit, p159

(1) وهو الذي عرفت الأسرة باسمه، والتي ذكرها كتاب أعيان المغاربة بأنها من الأربع الأسر الكبيرة في الجنوب القسنطيني، ص39.

(2) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص61. إلا أن G. Mercier .op.cit, p160 يذكر تاريخا مغيرا لما ورد في الكناش العائلي وهو1780م.

اتبع "حسين" أعمال سلفه الاقتصادية والعمرانية والعلمية، فغرس الأشجار والنخيل بالمكان المسمى "الولجة" و "الفيتون"،⁽³⁾ وقام بترميم صومعة مسجد سيدي المبارك، وتفرغ لتعليم الطلبة.

الذين توافدوا عليه من كل صوب. وكان أيضا رجلا سياسيا نشيطا، ضاعف من أسفاره إلى الجزائر وقسنطينة وتونس. وقد توسع في عهده نفوذ الأسرة، التي حافظت على سلطتها الدينية على المنطقة، وعلى بعض الأسر الحاكمة، كأسرة بوعكاز، والنمامشة والحناشنة، وأحرار مناصر... الخ.

أصبحت خنقة سيدي ناجي في نهاية العهد العثماني مركزا عمرانيا نشيطا، كما أصبحت الطريق الرئيس للتجارة بين تونس و الجزائر، فسكان الصحراء كانوا يتاجرون تجارة كبيرة بالتمر والصوف، وتقود القوافل مابين جملين وثلاثمائة جمل إلى تونس و قسنطينة.⁽⁴⁾ فقد تم الاهتمام بتشييد المباني التي تشبه الطراز المعماري بتونس.

ويذكر غوستاف مارسى⁽⁵⁾ أثناء زيارته الخنقة "منازل رائعة من الأجر بتناسق غير معروف في واحات الجنوب من حيث الهندسة المعمارية الشبيهة بالمدن التونسية وهو تشبيه ليس مجانيا" يذكر أيضا "هذه المدينة الصغيرة التونسية المترامية في وسط شاوية الاوراس وجبل ششار".⁽⁶⁾ كما تم الاعتناء بتخطيطها وفقا لشروط المدينة الإسلامية، وهذا يدل على العبقرية التي تمتع بها أهل الخنقة. فقسمت إلى خمس حارات، أطلق عليها أسماء بعض القبائل التي استقرت بالخنقة منذ تأسيسها مثل: حارة "كرزدة" و حارة "لواته" و حارة "سدراثة"،⁽¹⁾ وكل حارة تضم عادة مسجدا وسوقا ومحلات. و تطورت بها صناعة المجوهرات والفضة والنحاس والروائح والعطور، و اختصت كل عائلة، بنوع معين من الحرف، واحدة في الحدادة، وواحدة في الطب، وأخرى في الإدارة والشؤون العامة،⁽²⁾

(3) G. Mercier .op.cit, p160

(4) فنديلين شلوصر: المرجع السابق، ص101.

(5) G. Mercier .op.cit, p141

(6) Ibid, p153

(1) نجد بعض الأسماء تدل على أسماء قبائل تقطن الصحراء، كصدراته القريبة من ورقلة، ولواته لعلها هاجرت مع سيدي المبارك عند مروره بالمنطقة.

(2) انظر ابن الربيع "سلوك المالك في تدبير الممالك" تحقيق ناجي التكريتي ص 192، حيث يحدد شروط المدينة الإسلامية بثمانية شروط هي:

1- أن يسوق إليها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من عسف.

وأصبحت خنقة سيدي ناجي تعرف " ببلدة الخمس حارات، وخمس مساجد، وخمس سواقي، وخمس أبواب".⁽³⁾ ولعل ما زاد من شهرة الخنقة في العهد العثماني، هي مكانتها العلمية إذ أصبحت منذ القرن الحادي عشر للهجرة، قلعة من قلاع العلم والمعرفة يؤمها الطلاب من كل صوب .

من خلال هذا التقديم المختصر لمراحل تأسيس خنقة سيدي ناجي وأهم المراحل التاريخية التي مرت بها سيساعدنا ذلك في فهم عمارة الخنقة ووظائفها.

ثانياً: مسجد سيدي المبارك بن ناجي:

أ- ظرفية التأسيس:

يعد " مسجد سيدي المبارك " المعروف كذلك، " بالجامع الكبير " و " جامع الجمعة " من أهم المراكز العلمية بالمنطقة، يعود تأسيسه – كما سلف الذكر – إلى سنة 1147هـ /1734م، ذلك ما تدل عليه كتابة موجودة على يسار المحراب تذكر بأن " محمد بن محمد الطيب " هو الذي بني المسجد في أواسط صفر من سنة 1147هـ (صورة 47). وهي كتابة تأسيسية تخذ ذكرى بناء المسجد، نفذت بخط مغربي بأسلوب الحفر البارز، يتميز هذا الخط كغيره من كتابات هذا المسجد، بعدم الإتقان والجودة ورسم بعض

2 - أن يقدر طرفها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

3- أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب علي جميع أهلها.

4 - أن يقدر أسواقها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب.

5 - أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أصداد مختلفة متباينة.

6 - إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفه له من سائر جهاته.

7 - أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة .

8 - أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها."

⁽³⁾ وهو ما يتوافق مع عدد الحارات والمساجد والسواقي التي أنشأها شيوخ الخنقة والأبواب التي كانت مثبتة على مدخل كل حارة وكان أي غريب عن البلدة لا يسمح له بالدخول إليها إلا بعد التحقق منه وهذا ما أكده الإمام الدر يدي.

الكلمات وفق الرسم القرآني، وهو ما نلمسه في كلمة الفقرا بدون همزة. فقد تضمنت الكتابة اسم باني هذا المسجد، وهو الشيخ محمد بن محمد بن الطيب بن احمد بن المبارك في التاريخ المذكور وهو سنة 1147 من الهجرة النبوية.

لا نعلم على وجه التحديد، فيما إذا كانت عملية البناء هذه مجرد عملية تجديد وتوسعة للمسجد الذي بناه جده، أم هي إعادة بنائه كلية من طرف هذا الحفيد الشيخ محمد بن محمد الطيب.

وما يلفت الانتباه في هذه الكتابة، هي الدعاء بالرحمة لمؤسس المسجد وهي ظاهرة عامة في الكتابات الموجودة في المسجد والمدرسة والضريح، حيث لا تخلو واحدة من هذا النوع من الدعاء مما يجعلنا نعتقد بأن الكتابة، أنجزت بعد وفاة هؤلاء وهو الأمر المستبعد بحكم أن الدعاء بالرحمة يجوز في حق الميت كما يجوز في حق الحي .

إلا أننا نرجح أن هذا التاريخ يدل على إعادة بناء للمسجد وتوسعة الذي كان قائماً، والذي كان في الأساس زاوية أسسها الشيخ سيدي المبارك لتعليم العلوم النقلية والعقلية، وتلقين الطريقة الناصرية الشاذلية، والتي أصبحت وجهة لطلاب العلم والتصوف من كل مكان ودفن بجوارها حيث ضريحه الآن في الركن الغربي الشمالي للمسجد الحالي سنة 1031 هـ /1622م، وأصبحت شيئاً فشيئاً تحمل اسم مسجد سيدي المبارك.

ولذلك نعتقد أن المسجد الذي أسسه سيدي المبارك، لم يكن على صورته الحالية، فالتوسيعات المتعاقبة والترميمات التي أجريت عليه غيرت الكثير من ملامحه، بسبب مواد البناء المستعملة فيه المحلية اللبن، والتي لا تقاوم الظروف المناخية القاسية من حرارة وجفاف ضف إلي ذلك الموقع الذي أسس فيه وهذا ما يجعلها عرضة للفيضانات من وادي العرب المجاور.

وقد تم تجديد وتوسيع المسجد على يد الشيخ محمد بن محمد الطيب في عام 1147هـ/1734م. وتم تركيب الباب الغربي في شوال من نفس العام الموافق لـ 14مارس 1734م⁽¹⁾، مثلما سبق ذكره ثم تم تجديده وتوسيعه عام 1171هـ الموافق لـ 1758م على يد الشيخ أحمد بن ناصر بن محمد الطيب من ماله الخاص، والذي قدر بـ 8112 سلطاني

(1) G. Mercier. op.cit, p149. إلا أن الكتابة التي نشرها مارسي غوستاف هو تاريخ 1146هـ قرأها له سي محمد رشيد بن حسين.

ذهبي⁽²⁾ وأضاف له المدرسة التي عرفت بالمدرسة الناصرية، ويدل على ذلك الكتابة المنقوشة على بابها الغربي (صورة 48)، وكذا بناء الدمس وقبة ضريح سيدي محمد ابن المبارك، والروضة ويدل على ذلك الكتابة المنقوشة على بابها. إلا أن عمليات الترميم العشوائية للروضة تم طلاء الكتابة مما صعب قراءتها،⁽³⁾ كما تم ترميم صومعة المسجد (المئذنة) على يد الشيخ حسين بن أحمد بناصر الذي تولى المشيخة في عام 1210 هـ الموافق لـ 1794 م بعد سقوطها سنة 1789 م،⁽⁴⁾ ولهذا الغرض أحضر من تونس بنائين الاصطا "علي البنزرتي" وأخوه "محمد وقاسم" الصفا قسي وأربع صناع للأجر في عهد حمودة باشا.⁽⁵⁾

جاء في هذه اللوحة الجصية طولها 0.54 سم عرضها 0.44 سم بخط مغربي :

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله/.
- 2- وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده/.
- 3- بني هاذا المسجد المبارك علي يد أفقر الورا/.
- 4- وخديم شراك نعال الفقراء تقي الجنان /.
- 5 - المستمسك بسنة والد النظر بن/.
- 6- عدنان الشيخ البركة سيدي محمد بن محمد/.
- 7- بن الطيب رحمه الله وثبت أجره غفر الله له وجميع/.
- 8- المسلمين "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا/.
- 9- هم يحزنون"⁽¹⁾ بتاريخ أواسط صفر الخير من/.

(2) السلطاني الذهبي، يساوي في تلك الفترة ما بين 5 إلى 6 فرنك مصري و8,35 فرنك جزائري و67,73 فرنك انظر كتاب أعيان المغاربة ص45.

أيضا. G. Mercier: op.Cit, p148

(3) نشرها: G. Mercier، ص148 ووجد تضارب بين التاريخ المكتوب بالأحرف والمكتوب بالأرقام، حيث كتب بالأرقام 1161 هـ أما بالأحرف 1171 هـ. " الحمد لله جملة مصروف هذا المسجد والمدرسة والقبة ودمس الجامع عشر مائة سلطان ذهباً من خالص مال الفقير إلي الله أحمد بن ناصر "

(4) Ibid: p160.

(5) عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص309 "حمودة باشا حكم تونس من 1196 هـ/1229 هـ الموافق لـ 1782 م/1814 م" هو من أشهر البايات الحسينيين بتونس، عمل علي التخلص من تدخلات حكام الجزائر في شؤون تونس، فأرسل حملة بقيادة سليمان الكاهية حاضرة قسنطينة 1221 هـ الموافق لـ 1806 م، ونجح في صد هجوم الجزائريين، مما اضطرهم إلي التراجع عن البلاد التونسية سنة 1222 هـ الموافق لـ 1807 م .

(1) سورة يونس: الآية 62.

10- سنة سبع وأربعين ومائة وألف./

ب- الوصف العام للمسجد: (شكل20)

إن بناء المساجد، فن عربي إسلامي قائم بذاته يبدو تأثيره في كل مكان دخله الإسلام.⁽²⁾ يأخذ جامع سيدي المبارك بن ناجي شكلا مستطيلا، 13×26م يتكون من بيت الصلاة، والمدرسة الناصرية الملاصقة لبيت الصلاة من الناحية الشمالية، وكذا الميضأة(المطهرة)،ومن الناحية الغربية ضريح سيدي المبارك وتحديدًا الركن الشمالي الغربي منه، أما الركن الجنوبي الغربي، فيوجد ضريح الشيخ بن حسين محمد، إضافة لذلك صحن ملحق بالمسجد غير مغطى يستعمل للصلاة في فصل الصيف مبلط بالأجر الأحمر.

1. بيت الصلاة: (صورة49)(الشكل21)

تأخذ بيت الصلاة في جامع سيدي المبارك شكلا غير منتظم، طول ضلعها 17,50م، أما العرض فيبلغ 13,60م وبذلك يبلغ جوفه 210,80م، على غرار مسجد سيدي عقبة، ومسجد سوس بتونس والقرويين بفاس⁽¹⁾ والمسجد البراني للقبة بمدينة الجزائر.⁽²⁾ تحتوي بيت الصلاة، على خمس أساكيب موازية لجدار القبلة وسبع بلاطات عمودية على جدار القبلة(المحراب)، ويبلغ عرض البلاطة الواحدة 2,30م، أي تقريبا المسافة الموجودة في بلاطات مسجد عقبة بن نافع، ولكنها تختلف من حيث الطول. فبلاطة المحراب والثلثة التي على يمينها يعادل طولها عمق بيت الصلاة، أما البلاطات الثلاث التي على يمين المحراب فطولها 11,20م. و يرجع هذا الاختلاف في المقاسات إلي وجود الضريح "أحمد بن ناصر" في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة.

(2) نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1974، ص145.

(1) شافعي فريد: المرجع السابق، ص 65.

(2) Bouruiba(r) : **Apport de l Algérie** op.Cit, pp64-65.

أما الاساكيب،(صورة49) فهي تختلف من حيث المقاسات، إذ يبلغ عرض أسكوب المحراب 2,30م، أما طولها فيعادل طول ضلع بيت الصلاة. و الاسكوب الأخير عرضه 2,30م، أما طوله فيبلغ 15م.

وتتحصر جميع الاساكيب بين خمس صفوف من الأعمدة يحمل كل صف منها بائكة من العقود، أما الجدران فيبلغ سمكها 60سم، وهي تقريبا سمك جدران مسجد سيدي عقبة.

2. الصحن:(الصورة50)(الشكل22)

يحتوي مسجد سيدي المبارك على صحن يقع في الجهة الغربية من المسجد وهو أيضا غير منتظم الشكل طول ضلعه على يمين المحراب 7,15م أما على يساره فيبلغ طوله 9,70م أما طول ضلع الصحن على جدار القبلة"المحراب" فيبلغ 7,10م به رواق عرضه 1,20م محمول على دعامات(أعمدة) (صورة51) يبلغ عددها عشرة دعامة مصنوعة من الحجارة ومبطن بالأجر الأحمر جلب من تونس أيام أحمد باشا.

3. الدعامات والأعمدة:

يحتوي مسجد سيدي المبارك على عدد كبير من الأعمدة(السواري) (صورة52) موزعة في كامل المسجد وملحقاته. و هو ما يخالف المساجد الصحراوية وهي غاية في الإتقان ويعود ذلك إلي الحرفيين والصناع الدين جلبهم أحمد بناصر والذين خلدوا أسمائهم مثلما تدل عليه الكتابة المنقوشة في المسجد. فقد كان التعاون بين الجهة الشرقية عموما و خنقه سيدي ناجي خصوصا وعلى سبيل المثال لا الحصر مدينة توغرت والتي اتسعت على عهد بني جلاب وأقيمت بها القصور والجوامع التي أسسها بعض المهندسين التونسيين⁽¹⁾ وهي ذات شكل أسطواني أملس البدن.

1. ففي بيت الصلاة :

تتوزع الأعمدة على خمس صفوف عددها أربع وعشرين عمودا،وهي حسب الرواية الشفوية تعادل عدد أحرف الشهادتين"لا إله إلا الله محمد رسول الله".و يضم كل أسكوب ست أعمدة(انظرصورة49)، وكل بائكة تضم أربع أعمدة،(صورة53) وتبلغ المسافة بين

(1) عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص301.

هذه الأعمدة 2,30م، أما ارتفاعها فيبلغ 2,10م. أما قواعد السواري، فهي مربعة الشكل (صورة 54أ، ب).

2. أما في المدرسة الناصرية:

فهي تتوزع على طابقين، ففي الطابق الأرضي عمودان بنفس ارتفاع الأعمدة داخل بيت الصلاة. أما الطابق الأول، فيحتوي على ست أعمدة أصغر طولاً من الأعمدة الموجودة في بيت الصلاة والطابق الأرضي. وتتميز قواعد التيجان بزخرفة مغايرة لقواعد الأعمدة الأخرى.

أما في الروضة الخاصة بضريح سيدي المبارك، فيوجد عمودان أمام باب الضريح أقل سمكا من باقي الأعمدة.

3. أما في صحن المسجد:

فيضم عشرة دعائم تستعمل لحمل العقود الحاملة للسقف، والذي يشكل رواق موازي لجدار القبلة (بائكة) متساوية الارتفاع 2,40م، أما المسافة بين هذه الأعمدة، فهي تتراوح ما بين 1,70م و1,80م.

4. التيجان: (صورة 55أ، ب، ج) (شكل 23)

تتميز التيجان المستعملة في مسجد سيدي المبارك بالدقة والإتقان، وهي منحوتة وتتكون من جزأين: الجزء العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع، أما الجزء الأسفل فهو عبارة عن هرم مقلوب قاعدته اسطوانية، وقد أنجزت التيجان من مادة الحجر. وتزينها أشكال هندسية بسيطة. عددها 41 و ارتفاعها الإجمالي 45سم ويتكون من قسمين: القسم العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع به زخرفة بسيطة أما الجزء الأسفل فشكله اسطواني كما نجد التيجان الكورنثية في صحن المدرسة الناصرية.

5. العقود: (شكل 24أ، ب) (صورة 56أ)

يعتمد سقف بيت صلاة جامع سيدي المبارك على تسعة عشر عقد موازية لجدار القبلة، وتتوزع على خمس صفوف كل صف يشتمل على بائكة مكونة من خمس عقود، بالإضافة

إلى عقدين عموديين على جدار القبلة وهما يكتنفان جانبي القبة التي تتقدم المحراب وتأخذ شكلا نصف دائري، وهي خالية من الزخرفة يبلغ قطر العقود 1,60م وعرضها 20سم. أما في الصحن، فيحتوي على عشرة عقود على نفس الطراز ونفس القياسات. (صورة 56ب)

6. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.

تستعمل عناصر بين التيجان والأقواس للزيادة في رفع وسائل الدعم والسقف، وتشتمل على الوسادة أو الكتف والركيزة والطنف (صورة 57) (شكل 25)، وكانت هذه العناصر مستعملة في مسجدي دمشق، وعمرو بالفسطاط، والجامع الكبير بالقيروان، وجامع الزيتونة، ومساجد صفاقص، وسيدي أبي مروان بعنابة، وقسنطينة والجزائر، وتنس القديمة، وتلمسان وندرومة⁽¹⁾.

بالإضافة إلى أخشاب التثبيت المتمثلة في قضبان من خشب العرعار، وقد استعملت لتثبيت فتحات العقود وتعلوا هذه القضبان التيجان. بالإضافة لقضبان حديدية حديثة استعملت لزيادة التثبيت (صورة 58). واستعمال العوارض الخشبية عملية تقليدية في الفن الإسلامي الاغربي، إلا أنها عرفت قبل ذلك بالمسجد النبوي، وجامع القيروان وكافة المساجد المبكرة، كما استعملت بمساجد مصر كجامع عمرو بالفسطاط⁽²⁾.

7. المداخل:

(1) Bouruiba .R: note sur les plans des mosquée, pp78-35.
(2) Golvin. L : la mosquée ses origines sa morphologie, op.Cit p58

ورد في الأثر عن النبي صلي الله عليه وسلم "يجب اتخاذ الأبواب للمساجد لتصان عن التراب وتنزه عما لا يصلح فيها من غير الطاعات بالغلق"⁽³⁾ يشتمل مسجد سيدي المبارك مجموعة من المداخل مختلفة المقاسات وموزعة على الشكل التالي.

1. بيت الصلاة: تشتمل على ثلاثة أبواب:

- 1- باب يتوسط الجدار الشمالي(الخلفي لبيت الصلاة)، ويدخل للمدرسة الناصرية ارتفاعه 2,40م ، أما عرضه فيبلغ 1,60م.(صورة59)
- 2- باب يتوسط الجدار الشرقي، (صورة60) وهو الباب الرئيسي يبلغ ارتفاعه 2,85م، وعرضه 1,50، إلا أنه غير متقن الصنع مثل الباب الغربي .
- 3- الباب الثالث فيتوسط الجدار الغربي لبيت الصلاة ارتفاعه 2,30م وعرضه 1,30م.(صورة61أ،ب)
- 4- باب في جدار القبلة على يسار المحراب عرضه 93سم، أما ارتفاعه فيبلغ 2,35م،(صورة62) خاص بغرفة المنبر ، وآخر على يمين المحراب يدخل إلي مقصورة الإمام يبلغ ارتفاعه 1,60م وعرضه 75سم.(صورة63)
- 5- باب يدخل للمدرسة الناصرية على الجهة الشرقية، يبلغ ارتفاعه 2,20م وعرضه 1,17م.(64أ،ب)
- 6- وهناك المدخل الرئيسي(صورة65)، ويوجد في الجهة الغربية للمسجد يدخل إلي السرايا عن طريق "الرحبة" متقن الصنعة يبلغ ارتفاعه 2,70م أما عرضه 1,70م يحتوي بدوره مدخل صغير(بويب) يبلغ ارتفاعه 1,20م وعرضه 45سم.(صورة66)

تعددت الأبواب بمسجد سيدي المبارك على غرار المساجد الجامعة الكبيرة، وخاصة أن خنقة سيدي ناجي كانت القلب النابض لتلك الجهة و الحظوة، التي كانت تتمتع بها كطريق لقوافل الحج والتجارة ورحلة المصيف للقبائل من الصحراء .

ضف إلي ذلك أنها كانت مقصد للطلبة العلم، ولهذا كان مسجد سيدي المبارك مسجدا جامعاً رغم وجود أربع مساجد في البلدة، ولهذا تعددت المداخل للتقليل من الازدحام عند دخول

⁽³⁾ الزركشي(ت794هـ): إعلام الساجد بأحكام المساجد، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، ط2،،1989ص ص 382-384.

وخرج المصلين، كما أن المساجد المبكرة تميزت بتعدد المداخل خاصة بالجدران الجانبية غير جداري القبلة والمؤخرة⁽¹⁾.

والملاحظ في مسجد سيدي المبارك، هو وجود مدخل خاص بشيخ الخنقة وأسرته وهو المدخل الغربي المؤدي للرحبة والسرايا، وهو ما نجده في المساجد المبكرة، وكذا في مساجد مصر، وبغداد، والشام، والذي يكون فيه المسجد ملاصقا لدار الإمارة، ويؤدي وظيفة أمنية للحاكم أو شيخ المدينة.

أيضا أن المسجد كان يمثل مكان الحل والربط في المسائل الدينية والدنيوية، ويعود إصاق قصر الخلافة أو الإمارة بالمسجد الجامع، منذ عصر الخلفاء الراشدين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب 17هـ الموافق لـ 638م، بعدما تعرض بيت المال للسرقة في الكوفة⁽¹⁾ و يستعمل الباب الصغير للأطفال، أما على اليمين للرجال وعلى اليسار للنساء، ويستدل على صفة الطارق من خلال معرفة موضع الطرق.

8. النوافذ:

يتميز مسجد سيدي المبارك، بقلة النوافذ مقارنة بالمساجد الأخرى، ويعود ذلك لموقع المسجد والذي يعد من المساجد الصحراوية للتقليل من الحرارة وكذا الرياح الحارة. وتتواجد النوافذ في أعلى جدران بيت الصلاة (صورة 67)، ففي الجدار الغربي توجد نافذتان وأخرى على الجدار الشرقي، والملفت للانتباه في مسجد سيدي المبارك وجود نوافذ هي أقرب إلي أبواب صغيرة توجد في أسفل الجدران لبيت الصلاة، ففي الجدار الشمالي توجد نافذة تطل على المدرسة الناصرية يبلغ مقاسها العرض 90سم وارتفاعها 1,45م، أما على الجدار الغربي فيبلغ عرضها 1م وارتفاعها 1,44م، ونافذة على يسار الباب الرئيسي ارتفاعها 1,40م وعرضها 1م. كما فتحت نوافذ في رتبة القبة التي تتقدم المحراب واستعملت الشمسيات في جدران بيت الصلاة. (صورة 68أ، ب)

وقد ارتبط توزيع النوافذ بالمنشآت الدينية ارتباطا واضحا بوظيفتها، فقد جرت العادة في العصور الإسلامية الأولى بوضع النوافذ في الثلث العلوي من الجدران الخارجية، ومن

(1) فكري أحمد: المرجع السابق، ص 143.

(1) وجدان علي بن نايف: سلسلة التعريف بالفن الإسلامي "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين" دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص 26.

أمثلة ذلك الجامع الأموي بدمشق، ومسجد سامراء، وجامع أحمد بن طولون والجامع الأزهر، ووضع النوافذ بهذه الهيئة كان في إطار تحقيق متانة إنشاء الجدران المشتملة علي هذه النوافذ، حيث إن وجود النوافذ في الحوائط الحاملة من شأنه إضعافها، وبالتالي فإن الإقلال منها كان اتجاها عاما دعمه عمل النوافذ ضيقة نسبيا، وتعويض هذا الضيق كان بالارتفاع نسبيا وجعلها في الأجزاء العليا من الجدار كلما أمكن. (1) ولهذا نجد أن مسجد سيدي المبارك لم يخرج عن هذه القاعدة خصوصا ومساجد الزاب عموما .

ت- العناصر المعمارية:

2. المحراب: (صورة69) (شكل26)

تأخذ مشكاة جامع سيدي المبارك شكلا مجوفا بحنية نصف دائرية، عمقها 1,80م وعرضها 1,70م، أما ارتفاعه فيقدر بحوالي 2,75م، وبذلك فهو بنفس ارتفاع محراب مسجد عقبة بن نافع، والشيء الملاحظ الجوف، فهو متسع ويعطي الإمام راحة أكبر (صورة70أ،ب) ، وعلى جانبي المحراب نجد ساريتان أنجزتا من مادة الحجارة، وتأخذ شكلا أسطوانيا، ارتفاعها حوالي 1,48م، ويعلو كل منهما تاج منحوت من الحجر، وبذلك فهو يختلف عن مسجد عقبة ابن نافع ويشبه محراب جامع قسنطينة. (2)

يعلو المحراب عقد نصف دائري، ارتفاعه 1,50م، أما قطره 1,80م، وتحيط به حافة مستطيلة تركز على عمودين جصيين يأخذان شكلا حلزونيا، وزينت الحافة بواسطة خطوط مستقيمة ومثلثات، أما بالنسبة للشريط الأفقي الذي يعلو الحنيتين المحيطتين بعقد المحراب فتزينه أشكال هندسية ونباتية. (صورة71)

أما الشكل الداخلي للمحراب، (صورة72) جزؤه العلوي تكمله نصف قبيبة مزينة بأخاديد، وهي تأخذ شكلا دائري وتتطلق على شكل أشعة من نصف دائرة تعلو الطنف، الذي يحيط بقاعدة هذا القسم. وتحتوي نصف الدائرة علي نقش يتمثل في كتابة من سطر جاء فيها: "العافية الباقية والعز والهناء وناقشه أحمد بن عمر التونسي لطف الله به" (صورة73)، ومن خلال مقارنة ما جاء في كتابة محراب مسجد سيدي المبارك والكتابة في محراب مسجد

(1) محمد عبد الستار عثمان: أضواء علي أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية، مجلة العصور، المجلد الخامس، ج2، السنة1990، عدد صفحات المقال24 صفحة(231/255)، ص246، دار المريخ للنشر لندن، بريطانيا.

(2) Bouruiba.(r) : **Apport de L'Algérie**, op.Cit, P48

سيدي عقبة، نستخلص التشابه في الأشكال الهندسية ونفس الاسم المنقوش في كوشة المحرابين وهذا يدل أن نفس الصانع وهو الاصطفا أحمد بن عمر التونسي، من رمم المسجدين، خاصة أن المسجدين شهدا نفس الترميمات و الإصلاحات سنة 1800م، فالروابط الأسرية بين الأسرتين في كل من الخنقة وسيدي عقبة ساهمت في ذلك.

هذه الأخاديد الموجودة بمحراب الخاسقي وفي ضريح شابح ومحراب مسجد الداز بالمنستير المؤرخة بالقرن الخامس الهجري الموافق لـ الحادي عشر الميلادي، ووجدت بعد ذلك في بعض الأضرحة بالقاهرة كمشهد الست كلثوم ولها أمثلة بالجزائر كمحراب الجامع الكبير بقسنطينة ومحراب جامع سيدي لخضر ومحراب بيت صلاة الطابق الأول بمسجد عبد المؤمن⁽¹⁾ أما الجزء الأسفل من المحراب فارتفاعه 1,55م، وهو خالي من أي زخرفة عكس جامع سيدي عقبة.

3. المنبر: (صورة 74أ، ب)

يعد منبر مسجد سيدي المبارك ، والذي يعود للقرن الثامن عشر حسب الرواية الشفوية، ويعود صنعه إلي 1147هـ الموافق لـ 1734م، أي أثناء عمليات الترميم التي شهدتها المسجد في عهد الشيخ محمد بن محمد بن الطيب والذي جلب صناع وحرفيين من تونس الاصطفا "أحمد بن عمر الشريف الجبيلي" حسب الكتابة المنقوشة علي يسار المحراب. يبلغ طوله 1,95م، أما عرضه 65سم، ويتكون من خمس درجات متوج في أعلاه بعقد خشبي مفصص علي شكل حذوة الفرس، ويحيط بالعقد إطار مربع الشكل، بالإضافة لعصا الإمام التي تعود لنفس الفترة التي أنجز فيها المنبر، والتي تتوج في أسفلها بالحديد.

ويتميز المنبر بميزة قلما وجدت في المنابر الجزائرية و الإسلامية، وهي انه متحرك علي عجلات حديدية، وجعل لهذا الغرض سكة حديدية تفي لهذا الغرض، وجعل له فجوة (غرفة) في جدار القبلة عمقها 2م وعرضها 70سم، وارتفاعها 3م وتأخذ فتحها شكلا مستطيل تسمح بإدخاله وإخراجه منها، ويتم إغلاق الباب مما يوفر أفضلية للمكان واستغلاله في الصف الأول،(صورة 75) فمسجد سيدي المبارك هو مسجد جامع للبلدة، ولهذا يزداد أعداد المصلين يوم الجمعة بغرض سماع خطبة الإمام من جهة، ومستجدات

(1) Bouruiba.(R) : **Apport de L'Algérie**, op.cit, p156

البلدة من جهة أخرى، وكذا التشاور في أمورهم الدينية والدينيوية بحضور شيخ البلدة وأعيانها. ولم تقتصر وظيفة المسجد على الصلاة، بل كان المسجد أيضا مركز الحكم و الإفتاء والعلم و الإعلان، وغير ذلك من أمور الدين والدولة، ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين.⁽¹⁾ لهذا راع صانع المنبر هذه الأسباب، فكان المنبر علي هذه الصفة المبتكرة.

وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم " يستحب جعل المنبر في الجامع لأجل الخطبة"⁽²⁾، وأيضا " يكره اتخاذ المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين، إذا لم يكن المسجد متسع الخطة، قال الرافعي وقال القاضي الحسين: إن كان لا يضيق لسعة المسجد لم يكره، وإن كان يضيق المكان عليهم لا يجوز... وهذا كله في المنبر الذي لا يزال من مكانه، أما لو كان له خزانة وراهه يرد إليها بعد الخطبة، كما هو بالإسكندرية وغيرها فلا، لان حال الخطبة لا صلاة"⁽³⁾. وحسب الإمام عبد الكريم الدريدي، فإن هذا المنبر أصبح نموذجا لبعض منابر المساجد في الجزائر.

و يعد بحق هذا المنبر تحفة فنية حيث نلاحظ عليه الفن الارابيسكي، ويتجلي ذلك في النقوش والزخارف النباتية و استعمال الألوان.

كما وجدت مساجد أخرى بالخنقة، تقام فيها الصلوات الخمس وهي "مسجد السوق" الذي بني خلال القرن 12 هـ، و"مسجد سدرا ته" و"مسجد كرزدة"، وقد تم بناؤهما في نهاية العهد العثماني، وكذلك مسجد زاوية عبد الحفيظ الونجلي ناشر الطريقة الرحمانية في القرن 13 هـ⁽⁴⁾.

(1) حسن باشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مجلد1، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 ص131.

(2) الزركشي(ت794هـ):المصدر السابق،ص373.أنظر أيضا:عبد الله كامل موسى عبده:المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين(موسوعة العمارة الإسلامية، مجلد1، دار الآفاق العربية، ص،ص30-31.

(3) الزركشي(ت794هـ):المصدر نفسه، ص374.

(4) Bouruiba(R): L'art religieux, op.cit p35-170

4. نظام التغطية

استعملت عدة طرق للتسقيف في مسجد سيدي المبارك هي:

1. القبّة: (1)

لقد انتقلت القباب إلى العمارة المغربية، إما من التأثيرات المشرقية أو البيزنطية، حيث ظهرت القبّة أمام المحراب في المسجد الجامع في القيروان⁽²⁾، ونجد في مسجد سيدي المبارك أقواس، هي أقواس تامة نصف دائرية الشكل، شبيهة بتلك التي استعملت في المسجد الاقصي، وقلعة بني حماد، ومسجد سيدي أبي مدين، ومسجد سيدي الحلوى بتلمسان.

و يمكن التمييز بين أربع قباب:

الأولي: تتقدم المحراب (صورة 76أ، ب)، تأخذ شكل نصف كروي أملا تتركز من الداخل على قاعدة مثمثة بها نوافذ تؤدي وظيفة الإضاءة داخل بيت الصلاة، وترتكز من الداخل على أربعة عقود تشبه عقود بيت الصلاة. وقد وجدت القباب في المساجد أمام المحراب منذ الفترات الإسلامية الأولى، فنراها في الجزء الأوسط من الرواق العرضي أمام المحراب بالجامع الأموي 97هـ/705م، وفي المسجد الاقصي بعد إعادة بنائه في عهد الخليفة المهدي 163هـ/780م، والمسجد الكبير بالقيروان 248هـ/862م، والمسجد الكبير⁽³⁾.

القبّة الثانية: (صورة 77) فهي تغطي ضريح سيدي المبارك، وقد أضيفت إثر التجديدات والتوسيعات التي أجريت على المسجد في عهد الشيخ أحمد بناصر بن محمد الطيب عام 1171هـ الموافق لـ 1758م والمقدر "8112 سلطاني من الذهب"، وفقا للكتابة المنقوشة على الباب الغربي للمدرسة الناصرية "بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله علي سيدنا محمد وسلم بنينا هذا المسجد والقبّة المباركة علي يد أفقر الوري وخديم شيراك الفقراء المتمسك

(1) صالح لمعي: القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص 23 "القبّة هي كلمة مرادفة في البناء الإسلامي لكلمة تربة أو مدفن أو ضريح".

(2) عبد الكريم عزوق: القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

(3) صالح لمعي: المرجع السابق، ص 19.

بسنة محمد خير الوري أحمد بن ناصر بن محمد الطيب غفر الله ذنوبه وستر يوم العرض عيوبه عام واحد وسبعين ومائة وألف" (1171هـ/1758م) كتبت عليها آيات قرآنية وزخرفتها حديثة. (صورة 78أ، ب)

القبّة طر الثالثة: تتموضع فوق ضريح بن حسين محمد بن حسين. (صورة 79)
القبّة الرابعة: (صورة 80أ، ب) وهي قبّة المقبرة أو "التربة" مثلما يقول سكان البلدة، وهي من القباب الموضوعة على طنبور، فتحت في رقبته نوافذ متعددة قصد السماح للضوء بالوصول إلي الداخل.

وبشكل عام فللقبة دور معماريا يتمثل، في التغطية وطرّد القوة الحرارية و التقليل منها، على الفراغات الداخلية للمبني، لكونها لا تتعرض لأشعة الشمس كاملة في وقت واحد. عكس ما ينال السطح المستوي، لأن شكلها يسمح للجزء المظلل بمد حركة الهواء الحار، وكذلك الرغبة في الحصول على تعدد من التكوينات المعمارية بقصد قطع الملل عن الناظرين، وتشد أنظارهم إلي ما هو متعدد الجوانب ومختلف التكوينات من العمارة.⁽¹⁾

2. السقف المسطح :

كما استعمل التسقيف المستوي والذي نعتقد أنها كانت بجذوع النخيل واللبن مثل باقي معالم خنقة سيدي ناجي والتي مازالت البعض تحافظ على المواد الأصلية (صورة 81أ، ب، ج)، إلا أن الترميمات الحديثة التي تمت على المسجد في أوائل الثمانينات 1980م أخفت الملامح الأصلية للسقف (صورة 82)، و أثناء زيارة أبو القاسم سعد الله للمنطقة وجد أعمال الترميم جارية وذكرها في كتابه تجارب في الرحلة.⁽²⁾

إلا أنه وبمقارنة طريقة تسقيف المسجد بالمدرسة الناصرية نلاحظ انه استعملت طريقة البرملة في مدخل المدرسة وفي ملحقاتها كما استعملت مادة الآجر و الجص ومادة "التافز"⁽¹⁾ جلبت من الجبال المطلّة على خنقة سيدي ناجي (صورة 83).

(1) محمد الطيب عقاب: قصور مدينة الجزائر" أواخر العهد العثماني" دار الحكمة، الجزائر 1999، ص 186.

(2) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص 261.

(1) التافز: مصطلح محلي يستعمل من طرف سكان المنطقة، وهي عبارة عن حجر رسوبي مشكل من حبيبات رملية متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي وتميل هذه الحجارة إلي اللون الأحمر المصفر، نظرا لاحتوائها على أكسيد الحديد من المرتفعات المجاورة للبلدة لونها يميل للاحمرار وتتميز بالصلابة. انظر علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط ص 293.

أما طريقة التسقيف الحالية، فهي طريقة البراميل واستعمال عوارض حديدية للتثبيت تبلغ المسافة بينها المتر، و مادة الإسمنت، وتتدلي من السقف ثريات نحاسية(قناديل) تعود للفترة العثمانية على نفس الطراز و النمط والأشكال الزخرفية التي توجد في مسجد سيدي عقبة.(صورة84، ب) ونجد السقف المسطح في صحن المسجد مازال يحافظ على هيئته الأولى(صورة85)

كما يتدلي من السقف في الاسكوب الأول المقابل لجدار القبلة(البائكة المقابلة للمحراب) بيضتا نعام، وحسب إمام المسجد عبد الكريم الدريدي، فهي تعود إلي تأسيس المسجد وربما جلبت من مكان آخر للتذكير بالاسم الأول للبلدة وهو مورد النعام.(صورة86)

ثالثاً: الأضرحة الملحقة بمسجد سيدي المبارك:

يتميز مسجد سيدي المبارك بميزة منفردة عن بقية مساجد الجزائر، وهي تعدد الأضرحة فيه، والتي تعد كمزارات تضم شيوخ الزاوية الذين هم في نفس الوقت شيوخ الخنقة البارزين، والذين أرتقوا إلي مصاف الأولياء الصالحين.ونجد ما يشابه ذلك في العمارة السلجوقية أين يتم إحقاق المدرسة بالمدفن، وهي قاعدة العمارة السلجوقية(470هـ /708هـ)الموافق لـ (1077م /1308م)⁽²⁾. و يورد صالح لمعي،⁽³⁾ في هذا المجال وعلى سبيل المثال تربة درويش باشا والي دمشق(982هـ الموافق لـ 1574م، وهي تقع ضمن مجموعة معمارية تتألف من جامع ومدفن ومكتبة(كتاب)، والقبة لها طنبور من طابقين. ولهذا نجد ثلاث أضرحة بارزة لشخصيات لعبت دور كبير في تاريخ خنقة سيدي ناجي وهم على الترتيب :

1. ضريح سيدي المبارك:

يقع ضريح سيدي المبارك(صورة87أ)، مؤسس بلدة الخنقة في الجهة الشمالية الغربية للمسجد و هو ملاصق للمئذنة من الجهة الغربية لها. داخل روضة مربعة الشكل، يبلغ طول ضلع الروضة3,70م، ندخل له من مدخل يبلغ ارتفاعه 1,95م وعرضه 93سم، أما سمك جدار الروضة فيبلغ 55سم، وبذلك فهو لا يختلف عن سمك جدران المسجد.

(2) صالح لمعي:المرجع السابق، ص31.

(3) المرجع نفسه: ص29.

وتحتوي الروضة على نافذتين فتحتا في الجدار الغربي مربعتا الشكل تقريبا (45سم×40سم)، ونافذة فتحت في الجدار الجنوبي للروضة، عرضها 72سم، وارتفاعها 84سم وتوجد في الضريح كتابة نقشت، على لوحة من الحجر مستطيلة بخط النسخي المشرقي جميل يحتوي على نقاط الاعجام وحركات الإعراب، استخدم فيه النقاش أسلوب التركيب كما حملها ببعض الزخارف النباتية على شكل مراوح مزدوجة تنتهي ببراعم. ونفذت الكتابة بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، وهي طريقة شائعة في العهد العثماني. (1) تقع الكتابة في أربعة أسطر ونلاحظ اختلاف أسلوب الكتابة التي تتميز بأسلوبها الفني الرفيع الذي يميزها عن باقي كتابات الخنقة جاء فيها: (صورة 87ب)

1- بسم الله الرحمن الرحيم وصلي علي سيدنا محمد وسلم /

2- أودع علي ابن حسين (1) باك شهادة أن لا إله إلا الله./

3- محمد رسول الله يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله./

4- ناقشها أوصطا حسين بقلب سليم (2) سنة 1151/.

وحسب عبد الغاني بن حسين، فإن الروضة كانت تضم خزانة بها كتب قيمة يستفيد بها الطلبة وسكان خنقة سيدي ناجي.

2. ضريح أحمد بن ناصر: (صورة 88)

(1) عبد الحق معزوز ولخضر درياس: جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج1 (كتابات الشرق الجزائري)، مطبعة ومر الجزائر 2000، ص73.

(1) عبد الحق معزوز ولخضر درياس: المرجع السابق: ص73 "هو علي باي بن حسن باي تونس (1169هـ/1735م-1756م) كانت له علاقات طيبة مع الشيخ أحمد بن ناصر وكان كلما توجه إلي تونس إلا ونزل ضيفا عند علي باي فكان يجد عنده كل الترحاب وكرم الضيافة حيث كان الباي يجري عليه المؤن والإعانات ويودعه بالمنح والهدايا وفي عام 1150 للهجرة ثار ضده رعاياه وهرب إلي موضع يقال له الفيض ليس ببعيد عن الخنقة بعدما تاه ورفاقه في الصحراء ولما سمع به أحمد بن ناصر ذهب إليه وأستقدمه إلي الخنقة فأكرمه غاية الإكرام ومكث هناك سبعة أشهر بالخنقة قبل أن يستقبله باي قسنطينة حسين بك ليعود باي تونس إلي بلده معززا مكرما بعد أن اجتمعت حوله الاعراش و القبائل.

انظر G. Mercier: op.cit و أيضا: "الذكري المؤوية الرابعة لتأسيس الخنقة" مقال للأستاذة كريمة بن حسين (نبذة تاريخية عن بلدة خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني ص66/53.

(2) سورة الشعراء: الآية 88.

يقع في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة داخل روضة مربعة الشكل، حيث يبلغ طول ضلعها 2،40م وبذلك تقدر مساحة الروضة بـ5،76م، ويحيط بها جدار خشبي في أعلاها، كتابة نقشت على الخشب صعبة القراءة للإهمال الذي طال الضريح والروضة معا، مقارنة بالأضرحة الأخرى.

3. ضريح بن حسين محمد بن حسين: (صورة 89)

وهو من العلماء الأجلاء للخنقة "1316هـ/1413هـ الموافق لـ1899م/1993م" (3) حسب اللوحة الشاهدية على الضريح. يقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد يطل على الصحن، وهو مربع الشكل زخرفت قبته بآيات قرآنية وفتحت في جداره الجنوبي نافذة تطل على الشارع، عليها لوحة رخامية كتب على الإطار المحيط بها وبخط مغربي "الكتابة." و مزخرفة بأشكال نباتية غاية في الإتقان وهي عبارة عن مزهرية تنبعث منها زهور وأوراق نباتية خماسية الفصوص وثمانية الفصوص ونجد هذا النوع من الزخرفة قد انتشر بشكل كبير في العهد العثماني الذي انتشر في القرن الثامن عشر. (صورة 90)

4. المئذنة: (1) (صورة 91) (الشكل 27)

تعتبر مئذنة جامع سيدي المبارك من بين أقدم المآذن في الزاب، حيث يعود تاريخ بنائها إلي 1146هـ الموافق لـ 1734م في عهد الشيخ محمد بن محمد الطيب الذي رمت المئذنة في عهده واستعان بصناع تونسيين " كما سبق ذكره" وهو الاصطاح أحمد بن عمر الشريف الجبالي. وقد رمت المئذنة في عهد حسين بن ناصر بعد سقوطها 1789م، والذي تولى المشيخة عام 1210هـ الموافق لـ 1794م. (2)

تقع في الركن الشمالي الغربي للمسجد وملاصقة لضريح سيدي المبارك، والمرجح أنها كانت بسيطة في أول بنائها بساطة المسجد أو الزاوية الأولى التي أنشأها شيخ الزاوية سيدي

(3) عالم و ولي صالح زاهد صوفي ولد بخنقة سيدي ناجي و بها نشأ، وتوفي ودفن. وأخذ العلم والطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد المدني بن محمد المكي الخنقي.

(1) صالح بن قرية: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص2 "الصومعة تطلق على المآذن في المغرب والأندلس، وسميت بالصومعة لمشابتها في بعض طرزها لأبراج الزهاد، وهذه التسمية معروفة الآن في المغرب العربي." انظر أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون (دراسات في الحضارة العربية الإسلامية ص461) يرجع انتقال اسم المنارة (minaret) إلى اللغات الأوربية واستعماله ليعبر عن المئذنة. عندما تطور برج المئذنة إلى منارة على سواحل المغرب العربي، كما صارت فيما بعد "صومعة" عندما استخدمت كخولة للعباد.

(2) G. Mercier : op.cit, p157. أنظر: أيضا (Gouvian (Marthe et Edmont) : المرجع السابق، ص46.

المبارك. وتعد المئذنة عنصرا معماريا أساسيا في العمارة الإسلامية، جاءت نتيجة حاجة وظيفية لدعوة المسلمين للصلاة.⁽³⁾

تتميز مئذنة مسجد سيدي لمبارك، بعدم توسطها المسجد وجاءت مستقلة عن بيت الصلاة وهذا ما يخالف المآذن العباسية التي تقع على نفس المحور مع المحراب وبعض المساجد المرينية، كما في المنصورة بتلمسان وبعض مساجد الموحدين،⁽¹⁾ وهي تنتمي بذلك إلى المآذن ذات القاعدة المربعة يبلغ ارتفاع بدنها حسب القياس الذي قمنا به 23,80م، أما عرض المئذنة عند القاعدة يبلغ 3,10م، أما الجوسق (البرج العلوي للمئذنة) فيقدر ارتفاعه 1,40م، ويعلو الجوسق قببية حادة هي بمثابة جمور مبنية بالآجر ارتفاعها حوالي 2م يصعد له بدرجتين. وبذلك يكون ارتفاع المئذنة من القاعدة إلى آخر الجمور 25,80م. وبداخل البدن سلم يرقى عليه المؤذن إلى أعلى المئذنة، ويتوسط هذا السلم الفراغ الواقع ما بين الجدار الخارجي للمئذنة، والدعامة المركزية المربعة وهي دعامة صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط.⁽²⁾

يبلغ عدد درجات سلم المئذنة 61 درجة ودرجتين صغيرتين إلى القببية (الجمور)، وتتكون المئذنة من طابق واحد، أما الجوسق به شرفة (صورة 92) تمكن المؤذن من الحركة بها ثمانية نوافذ معقودة، تفصل بينها سوارى شبيهة بالسوارى الموجودة في المسجد، مصنوعة بنفس الطريقة. (صورة 93) وحسب الأستاذ عبد الغاني بن حسين فإن المئذنة كانت أطول من طولها في الوقت الحالي، وكانت تحيط ببدنها مظلات (أشرطة)، مصنوعة من الخشب علي شكل رف مائل بارز. لها مدخل في الجدار الجنوبي يدخل للصحن يبلغ ارتفاعه 1,25م وعرضه 60سم. أما الشرفة فهي مكشوفة وهي على نمط شرفات المآذن التي تكون في المناطق الصحراوية، وتخلو المئذنة من أية زخرفة في بدنها ماعدا الجص الذي يكسوها، وبذلك فهي تشبه المآذن الموحدية التي شيدت من الآجر على شكل برج له قاعدة مربعة تعلوه شرفات.⁽³⁾ وقد استخدمت المئذنة أيضا للمراقبة فهي تشرف على جميع جهات

(3) رثيف مهنا وبن مجد: نظريات العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 29.

(1) عزوق عبد الكريم: المرجع السابق، ص 54.

(2) المرجع نفسه، ص 51.

(3) صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 48.

الخنقة، خاصة أن خنقة سيدي ناجي لم تكن دائما في حالة وفاق مع جيرانها كقرية ليانة وبعض القبائل المجاورة. (صورة 94أ، ب، ج)

5. الصحن: (عد صورة 50) (أنظر شكل 22)

يحتوي مسجد سيدي المبارك على صحن، يقع في الجهة الغربية للمسجد. غير منتظم الشكل، مضع يستعمل للصلاة في وقت الصيف أين تكون الحرارة في أوجها. يوجد به رواق موازي لجدار القبلة (أسكوب واحد)، تقدر أطوال أضلاعه: الجزء علي يسار محراب الصحن تقدر بـ 9,70م أما الجزء المقابل للمحراب فيبلغ طوله 7,10م، أما الضلع علي يمين المحراب فيبلغ 7,15م، ويرتفع سقف هذا الرواق على عشرة عقود، بنفس عقود بيت الصلاة موزعة على الشكل الآتي:

ثلاثة عقود مقابل المحراب على يسار المحراب، أربع عقود وعلى يمين المحراب و ثلاثة عقود. تركز هذه العقود على عشرة سوارى نحتت بنفس طريقة باقي سوارى المسجد الجامع، ارتفاعها 2,40م، أما عرض هذا الرواق (الاسكوب) فيبلغ 1,20م، أما المسافة الفاصلة بين هذه السوارى فتتراوح ما بين 1,65م و 1,80م. (عد صورة 51)

وقد بلطت أرضية الصحن بالآجر الأحمر، الذي صنع بمواد محلية على يد صناع تونسيين الذين جلبوا في عهد حسين بن أحمد بن ناصر الذي تولى المشيخة عام 1210هـ الموافق لـ 1794م، وهم الاصطفا علي البنزرتي وأخوه محمد وقاسم الصفا قصي و أربع صناع للآجر، أما اليد العاملة البسيطة فكانت من أبناء المنطقة.

والملفت للانتباه في هذا الصحن هو محرابه الغاية في الإتقان، والذي يشبه إلي حد كبير محراب مسجد القيروان في زخرفته ودقة صنعه. (صورة 95) يعلو جزئه الأعلى عقد علي شكل حذوة الفرس، يبلغ جوفه (عمقه) 65سم، أما العرض عند القاعدة فهي 1,18م، أما ارتفاعه فيبلغ 2,07م، أما قطر العقد فيبلغ 90سم. وموقع الصحن بالجانب فهذه ظاهرة

عرفتها المساجد الفاطمية كما نجدها بجامع حسان بالرباط الذي يعود إلى الفترة الموحدية وهو يحتوي على صحنين جانبيين شرقي و غربي.(1)

رابعاً: المدرسة الناصرية(شكل28)

من أبرز ما ميز العمارة الإسلامية في شرق العالم الإسلامي وغربه، الاهتمام الكبير ببناء المدارس والتي يعد إنشاؤها من المنجزات العظيمة من الناحيتين العلمية والفكرية، وكذلك من الناحية المعمارية الفنية(1). وقد كان للمساجد والزوايا والربط(أو الأربطة)، التي انتشرت في شتى أنحاء المغرب. دور كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والحربية في المجتمع المغربي في العصر الإسلامي ويشير الونشريسي إلي وجود ظاهرة الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن في المساجد(2)

1. ظرفية التأسيس:

كان تأسيس خنقة سيدي ناجي أول أمرها، حول نواة مركزية وهي زاوية لتلقين العلوم و مبادئ التصوف. وتعاضم هذا الدور مع مرور الزمن، وتزايد السكان وانتشار مكانة شيوخها في نواحي الزاب الشرقي و الاوراس، رغم أن قرية ليانة القريبة منها كانت أقدم منها تأسيساً وعلماء، إلا أن صيت علماء خنقة سيدي ناجي فاقها في وقت قصير.

وقد ساهمت المدرسة الملحقة بالمسجد في شهرة البلدة، وتشير الكتابة الموجودة علي ساكف من الحجارة عبارة عن لوحة مستطيلة الشكل،(صورة96) طولها 1.50م، وعرضها 25سم، مثبتة فوق المدخل الجنوبي للمدرسة نقشت عليه كتابة تأسيسية بخط مغربي رديء، تتكون من أربعة أسطر ونقرأ في كتابة هذا الساكف الحجري، تقول أنها بنيت على يد " احمد بناصر " بن محمد الطيب بتاريخ أواخر رجب سنة 1171 هـ الموافق لـ 1758م، وهو الذي جدد بناء المدرسة، والجامع، والقبة، و الدمس، من ماله الخاص، والذي قدر آنذاك بـ8112 سلطاني ذهبي، ونقرأ النص التالي :

(1) Grandet (D): **Architecture et urbanisme islamique**, O.P.U, Alger, 1992, P39 .

(1) حسين أمين: المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم"بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى أحمد فكري (1986م)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م، ص103.

(2) كمال أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريسي - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية1997، ص109 .

- 1- الحمد لله وحده بنيت هذه المدرسة المباركة المسماة الناصرية على يد أفقر الورا./.
- 2- و خديم الفقراء المستمسك بسنت محمد خير الورا أحمد بن ناصر شكر الله صنيعه./.
- 3- وأمه من الثواب جزيله ربنا تقبل من إنك أنت السميع العليم بتاريخ أواخر رجب من عام إحدى وسبعين ومائة وألف ./.

نستخلص أن أحمد بن ناصر يرجع إليه الفضل في بناء، أو على الأقل في إعادة بناء المسجد والقبّة معا. ويذكر صاحب مخطوط تعريف بناء عمارة الخنقة، أن العمل بدأ العمل فيه حوالي 1151 من الهجرة.

وكانت تضم خمسة عشر غرفة وحاليا ثلاثة عشر غرفة للطلاب الوافدين من خارج الخنقة، وقد اعتبرت من أشهر المدارس في غير العواصم، وبذلك فمنطقة الزاب عرفت ظهور المدارس في وقت مبكر. فكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف و الاوراس و زاووة، وحتى قسنطينة وعنابة بل وتونس، وطرابلس أيضا.⁽¹⁾ وتنسب المدرسة الناصرية، إلي حمد بن ناصر مجدد بنائها، وليس إلي الطريقة الناصرية كما يعتقد البعض،⁽²⁾ إلا أن محمد موهوب بن أحمد بن حسين وهو من أحفاد أسرة بن حسين، فيري عكس ذلك وينسبها إلي الطريقة الناصرية التي انتشرت بالخنقة آنذاك بواسطة عمه سيدي عبد الحفيظ بن محمد الطيب دفين تبويحمد أو(تبويحمت) عن الشيخ الغرياني عن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي.⁽³⁾

و المرجح أن المجادلات والمناظرات، التي كانت تتم في حلقات الدرس بين الطلبة، والتي عادة ما تخرج عن الآداب العامة للمسجد، ضف إلي ذلك زيادة عدد الطلبة الوافدين لتلقي العلم من مختلف المناطق. جعلت القيمين على الزاوية التفكير في إنشاء مدرسة منفصلة عن بيت الصلاة.

(1) أبو القاسم سعد الله: زيارة إلي خنقة سيدي ناجي، "مجلة سيرتنا"، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، لعدد3، 1980م، ص 116 أنظر أيضا: تجارب في الأدب والرحلة لنفس المؤلف ص261.

(2) كريمة بن حسين: خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، منشورات التميمي، زغوان الجمهورية التونسية، العددان 90/89، ماي 1998م.

(3) محمد موهوب بن أحمد بن حسين: قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي، الجمعية الناصرية، دار الهدى عين مليلة، ص ص 17/16 (من 7 إلي 52) الجزائر، 2002.

فالقرن الرابع هو الذي أظهر هذه المعاهد الجديدة التي بقيت إلي أيامنا، (1) وقد عرفت بلاد المغرب ظهور المدارس منذ نهاية القرن الخامس الهجري/أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. وقد انتشرت في عهد المرابطين، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة فاس ومدرسة سبته، كما انتشرت المدارس المرابطية في طنجة، أغمات وسجلماسة، وتلمسان ومراكش. (2)

2. الوصف العام للمدرسة:

لقد روعي في تخطيط المدرسة "على مبدأ التخطيط على الداخل مع وجود عامل الوظيفة المتمثلة في تحديد الغرض الأساسي من البناء و الذي يكمن في وجود كتلة الصحن ككتلة أساسية داخل التكوين المعماري لا ترتبط بالوظيفة ولكنها تمثل عنصر التجميع للوحدات المعمارية من حوله ولذلك فإن عنصر الصحن يعد من العناصر الأساسية في جميع المنشآت الدينية والمدنية". (3)

ندخل إليها من الباب الرئيسي، الذي يقع في الجهة الغربية يبلغ ارتفاعه 20م، أما عرضه 1,70م. (عد صورة 65) وعن طريق رواق ذو سقف مبرمل أستعمل فيه الأجر المشوي (المحروق)، ندخل إلي ساحة تتوسط المدرسة، وهي بمثابة صحن يسمح بتهوية المدرسة، وكذا يعطي إمكانية للطلبة بالتحرك والدراسة. مبلط بالأجر الأحمر بنفس الطريقة التي بلط بها صحن المسجد والمدرسة (صورة 97) تتكون من طابقين:

الطابق الأرضي: مخصص للدراسة ما زالت المحارات التي كانت يستعملها طلبة المدرسة تتوسط صحن المدرسة (صورة 98أ، ب). نصحده للطابق الأول عن طريق سلم يتوسط صحن المدرسة، أين توجد غرف الطلبة على يسار السلم ويمينه، والتي كانت تؤدي وظيفة مأوى لللائمة ومسكن للطلبة والزوار. وقد خصصت لكل طالب غرفة صغيرة مجهزة بمسرجة، وحصيرة، ووسادة (صورة 99).

(1) آدم مبيتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام) الجزء 1 تحقيق عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1، 1986، ص 300.

(2) محمد محمد الكحلوي: "المدارس المغربية دراسة أثرية ومعمارية" مجلة العصور، المجلد 6، ج 1، (117/71) ص 73/72، السنة 1990م.

(3) محمد محمد الكحلوي: المرجع نفسه، ص 83.

تتميز جدران الغرف بخلوها من أي زخرفة، وكان يقيم في كل غرفة طالبين أو ثلاثة من خارج البلدة وقد كان هذا النمط سائدا في المدارس المغربية عموماً.⁽¹⁾ وتوج هذا الطابق بشرفة تطل مباشرة على صحن المدرسة بها عقود ترتكز على سوارى منحوتة بنفس طريقة باقي سوارى المسجد . وبهذه المدرسة مكتبة و مطهرة(صورة100).

وقد تخرج من هذه المدرسة التي لعبت دور كبير ليس في الخنقة فقط، بل انتشر صيتها إلى الجهة الشرقية كما سبق الذكر والبلاد المجاورة، وكان الطلبة الغرباء عن البلدة يلقون التكفل من شيخ الزاوية وأقربائه وبعض من أهالي الخنقة قدر المستطاع، ويصبح الطالب فرد من أفراد العائلة إلى أن يتم دراسته ولا يطالب بأي مقابل مالي.⁽²⁾

وقد كان هذا التنظيم سائدا في المدارس المغربية، أين كان كل طالب يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين.⁽³⁾ وقد اشتهرت منطقة الزاب بانتشار هذا النوع من المدارس، إلا أنها كانت توجد ضمن المسجد الجامع وليست مستقلة معماريا مثلما هي في خنقة سيدي ناجي، ولهذا كانت السباق في هذا المجال و أصبحت المنافسة شديدة فيما بينها على غرار، سيدي عقبة، و ليانة، و طولقة... الخ.

ويتضح من بعض النوازل والفتاوى الفقهية، أن المرحلة الأولى من التعليم في المغرب هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على احد المؤدبين في الكتاتيب، وتبدأ تلك المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره. وكان المؤدب يعلم الصبيان في تلك المرحلة الأولى القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن وتجويده، حيث جري العمل بالكتاتيب على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات القرآن بصوت واحد علي وجه التعليم، علاوة على الإمام ببعض علوم اللغة والنحو والفقه⁽¹⁾ ومن بين العلوم التي كانت تدرس في المدرسة، العلوم الشرعية، واللغوية، والنحوية والصرف، والحديث والبلاغة، والعروض والفقه، ويقول الورتيلاني⁽²⁾ في هذا الشأن "أما النحو فعندهم يعتني به الكبير والصغير، حتى أنهم

(1) محمد محمد الكحلوي: المرجع السابق، ص79.

(2) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص17، وأكد ذلك عبد الكريم الدر يدي إمام المسجد: أن الطلبة كانوا يخصون بنفس المعاملة لأهالي المنطقة.

(3) محمد محمد الكحلوي: المرجع السابق، ص79.

(1) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص113.

(2) الورتيلاني: المصدر السابق، ص119.

اشتهروا به اشتهارا بينا". وقد انتقد الورتيلاني علماء الخنقة لعدم انشغالهم بعلم التوحيد، وعندما سألهم عن سبب ذلك قالوا "وهل تحتاج الشمس إلي دليل في قوة قضية.. إن الله لا يحتاج في معرفته إلي دليل وبرهان" (3)

ولعل مرد ذلك أن طريقة التعليم، وكذا نوعيته هما من فرض ذلك، فالزاوية قامت على أساس التصوف والزهد والابتعاد عن كل ماله علاقة بالعلوم العقلية، فتعاليم سيدي ناجي الجد الأكبر للأسرة، والتي جمعها مؤسس الخنقة سيدي المبارك (وهي تعاليم صوفية) بقيت تتواتر من الأب إلي الابن مع مرور الزمن، أي أن علم التوحيد قد يؤدي في نظرهم إلي الكفر والخروج عن الدين. ولكن لا يمكن أن يكون هذا رأي العلماء ويبدوا أن اجتنابهم له، يعود لما يتضمنه هذا العلم من نظريات متناقضة وللخلافات بين الباحثين من السنة والمعتزلة وغيرهم، وعليه ينبغي لطالبه أن يتناوله بعمق واسع وفهم تام. وألا يستحسن الإعراض عنه وعدم الاكتفاء بالمبادئ البسيطة التي تجعل صاحبها متذبذبا بين مختلف الآراء والمجادلات. (4)

رغم ذلك فقد تخرج منها العديد من العلماء، الذين ذاع صيتهم في الجزائر وخارجه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: من خريجها الأوائل، أحمد التليلي القماري المشهور بخطه البديع، وخليفة بن حسن القماري صاحب جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل المتوفى في سنة 1208هـ. (1)

أما من خريجها المتأخرين: محمد بن عاشور صاحب كتاب منار الإشراف على عصاة الأشراف، الشيخ مكي محمد بن إبراهيم قاضي سيدي عقبة، والشيخ ابن حسين محمد الطيب قاضي أولاد جلال، والشيخ عمراني المسعود قاضي وادي سوف الخنقي الأصل، القماري، وسيدي المكي بن عزوز عالم طوالة. (2) كما جلبت شهرة المدرسة الناصرية والشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين، والشيخ أحمد

(3) الورتيلاني: المصدر السابق: ص 120.

(4) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص 10.

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص 450/291/285.

(2) كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص 65.

السرحاني عضو جمعية العلماء المسلمين، محمد المكي بن الصديق الونجلي الشاذلي المكي (3).

هذه المكانة العلمية يردها الورتيلاني قائلا "أولاد الشيخ سيدي ناجي حازوا المعالي من قديم الزمان، وقد وجدت كثيرا من الفضلاء منهم في محلهم سيدي محمد الطيب" (4). وكان علماء الخنقة يتبادلون الرسائل في مختلف العلوم الدينية، مع علماء الجزائر و قسنطينة، وتونس، وبسكرة، منهم العلامة الشيخ الثعالبي الجزائري، والشيخ خليفة بن حسن العلماء والطلبة إليها، وقد كان لها الفضل في تكوين عدد هام من الأئمة والمدرسين، إلا أن هذا الدور تراجع مع مجيء الاستعمار. وشيئا فشيئا فقدت المدرسة بريقها ومكانتها العلمية والثقافية، وخاصة بعد تعرض خنقة سيدي ناجي لهجرة جماعية من النواة القديمة إلى النواة الجديدة، وهي الولجة. وأصبحت المدرسة عبارة عن بناء

مهجور مثل باقي سكنات البلدة. و قد أشعت هذه المدرسة على المنطقة نور العلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد. (1)

3. المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك (التربة): (صورة 101)

بمحاذاة المدرسة الناصرية وعلى شمال مسجد سيدي المبارك، توجد مقبرة العائلة التي تضم قبور عائلة بن حسين وبعض العائلات ذات الحضوة في بلدة خنقة سيدي ناجي وتعرف هذه المقبرة لحد الآن، عند الأهالي باسم "التربة" وهي التسمية الشائعة في المشرق العربي بشكل كبير، والملفت للانتباه شواهد القبور (2) التي وضعت على هذه القبور والتي تتميز

(3) كريمة بن حسين: نفسه، ص ص64/65 أنظر أيضا: الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس الخنقة، مقال لعبد الحليم صيد(علماء من الخنقة و ليانة ص 113/98).

(4) الورتيلاني: المصدر السابق، ص120 "هو الشيخ محمد الطيب بن حسين توفي سنة1278هـ الموافق لـ 1862م".

(1) أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص260.

(2) محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ص147"يسميا أهل المغرب بالمقابر مفردها مقابرية، وكذلك أهل الأندلس، وهي ألواح من الحجر أو الرخام توضع فوق القبور لتدل بما عليها من كتابات على من يرقد في القبر، وهذه العادة قديمة عرفت في الأمم السابقة على الإسلام، وعنت بها عناية ملحوظة الفراعنة، اليونانيين والرومان والبيزنطيين والعرب قبل الإسلام عرفوا شواهد القبور واستعملوها بعد الإسلام . وأقدم شاهد قبر جاهلي هو شاهد امرئ القيس بن عمر المعروف بنقش النمارة الذي كشف عنه المستشرق الفرنسي دوسو في صحراء نماره بالشام وهو يؤرخ في سنة238م. وأقدم شاهد قبر إسلامي الذي عثر عليه في المقبرة الإسلامية بمدينة أسوان في صعيد مصر، وهو يؤرخ في سنة 31هـ/641م.

بتشابهها بشواهد القبور العثمانية. (صورة 102 أ، ب، ج) والتي تؤرخ لأصحابها. ونجد بعض القبور عليها عمائم من الرخام تدل على أن صاحب القبر كان يشغل مكانة كبيرة بين سكان خنقة سيدي ناجي، إما دينية أو سياسية أو اجتماعية، وبذلك نجد التأثير العثماني على البلدة بشكل واضح. (صورة 103)

هي شواهد جنائزية من الرخام منقوشة بطريقة الحفر الغائر، واستعمل خط نسخي بسيط في الكتابة الشاهدية، وهي مزدحمة وليست مميزة وإلي حد ما غير متقنة، وحسب التاريخ المدون عليها فهي متأخرة. وتخلو النصوص التذكارية التي تعلقو بلاطات هذه الشواهد من أي زخارف، ماعدا اسم ولقب المتوفى، وتاريخ الوفاة والبسملة، وهناك بعض الزخرفة على عمامة موضوعة على احد القبور زخرفت بزخارف نباتية. (صورة 104)

وقد أستعمل في تسقيف المدفن (التربة) التسقيف المسطح والقبة معاً، والتي فتح في رقبتها نوافذ لتوفير الإنارة للتربة. ولعل ارتباط القبة بالشكل السماوي يكون الجواب عن التساؤل في تغطية المدافن بالقباب، وخاصة عندما نعلم أن القبة تمثل السماء عند المسيحيين وخاصة في القرن الرابع الميلادي في سوريا وفلسطين⁽¹⁾، وقد استمر إنشاء القبة فوق القبور بعد ذلك في أماكن وسنوات متباعدة في العمارة الإسلامية.

ويغلب علي الظن أن تصور السماء بالقبة تدعمه بعض التفسيرات الخاصة بآيات من الذكر الحكيم، حيث أن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة، هو القبة في الآية الكريم (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم أستوي علي العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون)⁽²⁾ وأيضا في قوله تعالى (خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم)⁽³⁾.

كما توجد مقبرة ثانية على الجهة الشرقية، تضم قبور لعائلات لها مكانة إلا أنها ليست بنفس البناء والزخرفة على القبور، مثل المقبرة الأولى. أما باقي سكان خنقة سيدي ناجي فكانت لهم مقبرة عامة خارج البلدة.

(1) صالح لمعي مصطفى: المرجع السابق، ص 23.

(2) سورة الرعد(13): الآية 2.

(3) سورة لقمان(31): الآية 10.

الاستخلاصات:

و من الملاحظات التي يمكن أن نخرج بها من هذا الفصل:

- المنطقة لم تكن مهجورة من قبل، فبقايا القرية البربرية تدل علي تواجد بشري سابق في المنطقة.
- الواحة كانت ممر رئيسيا للقوافل المتنقلة من الصحراء نحو الشمال، أو من الجزائر وحتى المغرب الاقصي إلي الحجاز في مواسم الحج .
- مساحة الواحة ضيقة، عكس مدينة بادس المجاورة التي لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة والتي توجد في منبسط، وهذا ما جعلها عامل طرد للسكان في العهد الروماني والبيزنطي. ضف إلي ذلك وجودها في منخفض، و هو عبارة عن طمي و أتربة ترسبت من وادي العرب، و بذلك لا تستوعب العدد الكبير من السكان.
- الواحة كانت عرضة لفيضانات وادي العرب المجاور لها من حين إلي آخر، هذا كان عامل طرد للسكان .
- موقعها المحصن جعلها ملجأ للفارين والملاحقين سواء من الأفراد أو القبائل على مر الحقبات التاريخية، خاصة وأن المنطقة جغرافيا شهدت صراعات كبيرة.
- إشكالية النسب، و هي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار آخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريف في مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك: الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والثاني إلي الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم .

- ارتباط تأسيس خنقة سيدي ناجي بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية و الأسطورة.
- المسجد كان في بدايته عبارة عن زاوية ليتحول مع مرور الزمن إلي جامع ومدرسة.
- الملاحظ أيضا، هو توفر شروط العمارة الإسلامية في تأسيس الخنقة، من إحاطتها بصور بغرض الحماية، و تموضعها بين جبل و وادي، وهذا ما تكلم عنه ابن خلدون، وابن الأزرق، وابن الربيع.
- دقة وتنظيم البلدة من حيث تقسيم سكانها قبليا على أحياء وحارات و هو ما يشبه المدن الأولى التي أسسها المسلمون كالكوفة والبصرة والقيروان والفسطاط ولهذا عرفت البلدة ذات الخمس مساجد وخمس حارات وخمس سواقي وخمس أبواب خمس عيون.
- ظاهرة تعدد الأضرحة بالمسجد و هي ظاهرة نادرة قاما نجدها في مساجد الجزائر.
- الزخرفة التي تزين المسجد وهي زخرفة ذات نمط متطور عما وجدناه في مساجد الزاب الاخرى، زخارف نباتية، هندسية، فلكية غاية في الإتقان.
- المقبرة الملحقة بالمسجد الخاصة بأسرة بن حسين والتي تضم شيوخ وأبناء الأسرة ملحقة بالمسجد منفصلة عن مقبرة العامة من سكان الخنقة.
- طريقة بناء القبور والشواهد وهي دلالة عن التأثير العثماني في المنطقة كما تبين الحظوة والمكانة التي كانت لأسرة بن حسين.
- المدرسة الناصرية والتي تعد نموذجا فريدا من نوعها في الزاب من حيث التصميم والبناء والوظيفة عكس مسجد سيدي عقبة.
- الصحن الملحق بالمسجد والذي يتميز بالإتقان والزخرفة والاتساع.

● استعمال الحجارة في صناعة الأعمدة (السواري) و التيجان بإتقان عال عكس مسجد سيدي عقبة الذي استعملت فيه أعمدة وتيجان جلبت من خرائب تهودة الرومانية وكذا استعمال جذوع النخيل.

● الاستعانة باليد الفنية الخارجية و التي جلبت من تونس تحديدا.

● التحكم في تقنيات الري حيث استغل شيوخها ما وجدوه من قنوات رومانية قديمة في المنطقة وأضافوا لها قنوات جديدة لاستصلاح أراضي الخنفة.

● أن من رمم مسجد سيدي المبارك و هو عمر التونسي هو نفسه من رمم مسجد سيدي عقبة والدليل علي ذلك هو وجود نفس اسم المرمم في المسجدين.

● تمهيد

أولاً: الوصف العام للسرايا.

1. التصميمات العامة.

2. السقيفة.

3. الصحن.

ثانياً : أقسام السرايا.

1. الطابق الأرضي.

2. الطابق الأول.

3. السطح.

ثالثاً : الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا.

1. الدمس.

رابعاً: أنواع الزخارف المستعملة في السرايا ومسجد سيدي المبارك.

1. الزخارف النباتية.

2. الزخارف الهندسية

3. العناصر الرمزية الفلكية.

4. الزخارف الكتابية.

خامسا: المواد المستعملة في الزخرفة.

• الاستخلاصات.

السرايا⁽¹⁾ (أو منزل عائلة بن حسين):

• تمهيد:

إن دراسة العمارة ومكوناتها، تفتح مجالات واسعة لدراسة مختلف أوجه هذه الأخيرة ومهما يكن فإن الشكل العام للعمارة، يتبع الوظيفة المخصصة لها وأنه كلما زاد حجم المبنى دل ذلك على القوة والغني والأهمية، سواء كانت هذه الأهمية سياسية أو دينية ، إضافة إلي نوعية المواد المستعملة، والتي تعكس إلي حد كبير المستوي الاجتماعي لصاحب المبنى، أو أهمية المبنى نفسها فمعرفة أصل ونوعية المواد المستعملة ومميزاتها، من مواد محروقة كالآجر أو الحجارة، تسمح للدارس بتحليل جانب مهم من مختلف جوانب العمارة، سواء كان ذلك من حيث تقدير المستوي المعماري لفترة معينة، أو المستوي الاقتصادي. أضف إلي ذلك معرفة مدي تأقلم الإنسان مع بيئته واستغلاله لمختلف الموارد الطبيعية استغلالا عقلانيا.

وتعكس المواد المستعملة مدي استقرار المنطقة، والذي يتجلى في نوعية المادة المستعملة ، ومدي وحدتها وتنوعها في آن واحد، وكذا ثبات مصادر هذه المادة، كما يدل كل هذا بدوره على معرفة الإنسان لأهم الموارد الطبيعية لمنطقته وبالتالي تنوعها.

تعد السرايا معلما تاريخيا وأثريا بارزا في خنقة سيدي ناجي (صورة 105)، لما تتميز به من مكانة وهندسة معمارية وزخرفة. إلا أن هذا المنزل زالت أغلب معالمه نتيجة عدم مقاومته

(1) السرايا: هي المصطلح الشائع بين أهالي خنقة سيدي ناجي تدل علي منزل العائلة شيوخ خنقة سيدي ناجي، والمصطلح دخيل عن اللغة العربية وهو تسمية مرادفة لمصطلح القصر عند العثمانيين وهو شائع أكثر في بلاد المشرق عنه في بلاد المغرب، وفي منطقة الزاب فهو غير مستعمل ماعدا في خنقة سيدي ناجي ويدل ذلك علي التأثير العثماني في المنطقة.

للظروف الطبيعية، كالأمطار والفيضانات التي كانت تضرب المنطقة بين الفينة و الاخرى، ونتيجة لهجرة ساكنيه وعدم الاهتمام به إلا في السنوات الأخيرة أين أجريت عليه ترميمات وإصلاحات تمت دون دراسة علمية مدروسة. (صورة 106)

كما انه لم يتم بنائه مرة واحدة، بل كان يخضع إلي إضافات بين الفينة والأخرى حسب حاجة العائلة وعدد الأفراد.

قام بتأسيس المنزل، محمد بن محمد الطيب في 1732م⁽¹⁾، وأكمل بنائه أحمد بناصر أثناء عمليات الزيادة التي أضافها علي مسجد سيدي المبارك(المدرسة، والدمس، والقبة وكذا بناء القلعة) في سنة 1171هـ الموافق لـ 1758م. حيث أنفق من ماله الخاص حوالي ثمانية آلاف سلطاني ذهبي، هذه الإضافات والزيادات تدل على الرخاء المادي الذي كانت تعيشه بلدة الخنقة.

شهد المنزل زيادات متلاحقة بتزايد عدد ساكنيه، وبقي يستعمل إلي سنوات متأخرة من القرن العشرين، وأثناء دراستنا لهذا المعلم لفت انتباهنا عدم وجود أي كتابة شاهده تدل على تاريخ التأسيس مثلما وجدنا في باقي المباني الاخرى، ولعل مرد ذلك أن الاهتمام كان أكثر بالمباني الدينية على الدنيوية، أو انه كانت هناك كتابة اندثرت مع مرور الزمن فهجرة المسكن أفقدته أغلب معالمه العمرانية و الزخرفية.

ويعد هذا المسكن من المساكن المتعددة الوظائف، فبالإضافة إلي كونه مسكن العائلة فهو أيضا مقر للحكم وإدارة شؤون الخنقة، خاصة وأن البلدة كان لها الحظوة الكبيرة في العهد العثماني كما سبق ذكره في المدخل التاريخي، حيث كانت تسمى "دار إمارة الاوراس والزاب الشرقي" في جمع العشور والزكاة، ضف إلي ذلك أنها كانت مقصد لبعض البايات سواء من قسنطينة أو تونس كزائرين أو هاربيين للاحتماء وطلب الدعم. ولهذا كان التفكير في بناء مسكن يليق بأسرة بناصر.

(1) G.Mercier: op.cit, p157.

أولاً: الوصف العام للسرايا(المنزل):

1. التصميمات العامة:

تمتاز السرايا(أو منزل عائلة بن حسين) بطابع التربييع والتكعيب تقريبا(شكل29) مثل تصميمات قصور مدينة الجزائر، التي تعود للفترة العثمانية شأنها شأن التصميمات التي تمتاز بها العمارة الإسلامية المعروفة في العالم الإسلامي،⁽¹⁾ حيث يبلغ طول ضلعها16م، أما العرض 12م. وبذلك لا تختلف عن نمط القصور العثمانية بمدينة الجزائر العاصمة، مثل قصر عزيزة(25م x 20م)، وقصر حسين باشا⁽²⁾.

هذه التصميمات موجودة في تاريخ العمارة الشرقية، حيث بينت الاكتشافات الأثرية وجود مبان ذات طابقين بسلم داخلي وغرف حول الصحن، وزعت حسب الوظيفة المعيشية لذلك المجتمع.

لم يخرج منزل عائلة بن حسين عن هذا النمط المعماري، فهو يحتوي على طابق أرضي يشتمل على المرافق الصحية والمعيشية، وكذلك علي غرف خاصة للضيوف بينما الطابق العلوي يحتوي على غرف للنوم⁽³⁾ ونجد شبيهها في تخطيط القصور الأموية الأولى في بادية الشام وقد تم علي أساس الفناء المركزي المكشوف الذي تدور حوله وحدات المسكن الكبير⁽⁴⁾ وما يسترعي الانتباه في السرايا أن واجهتها تقع في زقاق ضيق بعيد عن مواجهة الشوارع الكبرى والعامة المتميزة بكثرة الحركة النشطة كما أنها تقع في غير مواجهة مراكز الجذب العامة كالأسواق والمرافق العامة ولعل السبب في هذا الاختيار لواجهة المنزل من المجانبة والابتعاد منها:

المحافظة على الخصوصية لسكان المنزل وعدم السماح لأقصى حد ممكن للعامة من مشاهدة الداخلين والخارجين من السرايا ويتميز واجهة السرايا بالبساطة وعدم الإلتقان ويتميز بمدخل محلي بعقد حذوة الفرس المرتكز على عمودين من الآجر(صورة107) وهو

(1) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص51.

(2) المرجع نفسه: ص51.

(3) صالح لمعي: عمارات الحضارات القديمة، ص53.

(4) سلسلة التعريف بالفن الإسلامي: المرجع السابق، ص456.

بنفس الوقت مدخل للرحبة وتختفي الظلة أو (كنة) التي تعلو المداخل عادة. يقع على الجهة الجنوبية يبلغ ارتفاعه 2,75م أما عرضه 2,15م والرحبة عبارة عن رواق كبير يفصل مسجد سيدي المبارك والسرايا يبلغ طوله 12م أما العرض حوالي 4م. (صورة108)

2. السقيفة:

تتخذ السقيفة مكانا بارزا في المسكن الجزائري الإسلامي بصفة عامة، وفي القصور بصفة خاصة.⁽¹⁾ و تتوفر السرايا علي سقيفة أو دهليز تتصل بالطابق الأرضي للسرايا، وتسمى السقيفة الأمامية أو الصغرى بينما السقيفة الأساسية التي تأتي بعدها، بالسقيفة الكبرى. ونلاحظ في هذه الأخيرة أنها سقفت بطريقة العقود المتشابكة (الأقبيبة)، (صورة109) وعلى اليمين يوجد قبو وهو مكان للاجتماع والاستراحة. (صورة110) وتتميز الساحة المقابلة لها بالاتساع وهي في نفس الوقت ممر يؤدي إلى صحن المنزل، طوله 10 أمتار، (صورة111أ،ب) كما تحتوي السقيفة الأمامية على مقاعد حائطية (دكانات) على جانبي السقيفة (صورة112): مقعدين على الجهة اليسرى ملاصقين للمسجد، واثنين على الجهة اليمنى ملاصقين لجدار السرايا يواجهان بعضهما البعض مخصصة للجلوس وتبادل أطراف الحديث.

3. الصحن: (صورة113)

يجب على المأوي أن يوفر كل راحة جسدية ممكنة لصاحبه، وهذه الراحة يمكن تأمينها فيزيائيا بخلق بيئة صحية داخليا وخارجيا، هذه البيئة لا يمكن خلقها إلا بتوفر الهواء والشمس، فالهواء والشمس عنصران طبيعيان لا يمكن الاستغناء عنهما في الأبنية لأنهما من المساعدات الأساسية لحياة الإنسان.⁽¹⁾

(1) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص55.

(1) رثيف مهنا وبن مجد: المرجع السابق، ص3.

يعتبر الصحن أو الفناء (وسط الدار) المجال المركزي والعصب الحيوي في المسكن الجزائري الأصيل.⁽²⁾ فالصحن هو الواسطة بين الغرف و المرافق الاخري، فضلا عن وجود الأروقة بينه وبين الغرف التي تقوم بدور المعدل للحرارة على الغرف، سواء في فصل الصيف أو في فصل الشتاء.

بالإضافة إلى إضفاء طابع الجمال والحيوية على السرايا، وتبلغ مقاسات أضلاع الصحن 6,10م، وبذلك فهو مربع الشكل يشبه صحن القصور العثمانية في مدينة الجزائر.⁽³⁾ فالصحن عامل مساعد على تلطيف الجو ومعدل للحرارة أو موزع لها، سواء في النهار أو أثناء الليل. ففي النهار تكون دورة الشمس في الصحن موزعة بكمية مناسبة على كامل المنزل، بحيث لا يكون التركيز على جزء واحد دون آخر بل يكون التوزيع الشمسي دائريا على كل جوانب المنزل الداخلية، أما في الليل فيتسرب الهواء البارد على طبقات أفقية في الصحن مما يسمح له بالتسرب رويدا رويدا إلى داخل الغرف، خاصة وأن المنطقة تقع في منطقة ذات مناخ حار. أيضا يسمح للمرأة داخل المنزل بقضاء جل وقتها سواء من أجل القيام بالأعمال المنزلية المختلفة أو الترويح عن نفسها أو لإقامة الأفراح.

ثانيا: أقسام السرايا (المنزل):

يمكن تقسيم المنزل إلى عدة طوابق، والملاحظ أنه يمثل بحق ناطحة السحاب في منطقة صحراوية تتميز ببساطة مساكنها. نظرا لارتفاعه الملحوظ مقارنة بباقي منازل الخنقة خصوصا، والنمط العمراني المعروف في منطقة الزاب عموما، حيث يبلغ ارتفاعه ارتفاع مؤذنة مسجد سيدي لمبارك الملاصقة له.

1. الطابق الأرضي: (صورة 114أ، ب) (شكل 29ب) يتوفر على غرف موزعة في الجوانب الأربعة التي تطوق الصحن، وهذه الغرف متفاوتة المساحة والحجم ويعود ذلك لوظيفة كل غرفة.

(2) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص60.

(3) المرجع نفسه: ص61.

على الجهة الشمالية للمنزل توجد غرفة مستطيلة، يبلغ طولها حوالي 6م من المحتمل أنها كانت تمثل المطبخ، حيث تكثر في جدار الغرفة مشكوات تستعمل عادة لوضع الأواني وأغراض المطبخ. كما توجد في الجهة الغربية للصحن غرفة كبيرة مقسمة إلي غرفتان صغيرتان يفصلهما باب(صورة115أ)، ارتفاعه1م وعرضه90سم يؤدي إلي الحديقة الملحقة بالسرايا(صورة115ب). أما ارتفاع أبواب الغرفتان الصغيرتان فيقدر بـ 90سم، أما العرض80سم وحسب الأستاذ عبد الغني فقد كانتا تستعملان كخلوة لشيخ الخنقة(والزاوية) يتعبد فيها. ويتواجد في هذا الجانب من المنزل مدخل ثاني ارتفاعه1,80م وعرضه1,20م، نرجح أنه خاص بحريم المنزل. فهو يعطي نوع من الخصوصية لساكني المنزل عكس مدخل المنزل علي الرحبة والمقابل مباشرة للمسجد والطريق المؤدي للدمس. يتوسط هذا الصحن بئر يتزود منه أهل السرايا وهي صفة تميزت بها المنازل ذات الطابع الإسلامي.(صورة116)

2. الطابق الأول: (صورة117)(شكل30)

نصعد إلي الطابق الأول عن طريق سلمين مثبتان إلي الجدار الجنوبي للمنزل: الأول(118أ، ب) ملاصق مباشرة للمدخل الشرقي للسرايا، وهو كما سبق ذكره خاص بسكان المنزل.

الثاني: يتوسط الجدار الجنوبي للمنزل، ويقع مباشرة تحت الرواق الرابط بين الجهة الجنوبية للمنزل والشمالية منه، ويؤدي هذا السلم إلي الطابق الثاني للمنزل ومنه إلي السطح(صورة119). وسلم آخر محاذي للجدار الغربي للسرايا، ويؤدي مباشرة للدمس. يحتوي هذا الطابق على غرف نعتقد، أنها كانت تستعمل كغرف للنوم فهي تحتوي علي نوافذ تطل على الشارع والداخل، وهي مربعة الشكل مسيجة(مقضبنة بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا)(صورة120) تشبه تلك النافذة المسيجة الموجودة على الجدار الجنوبي لضريح محمد بن حسين. وهذه الغرف أكثر تنظيما و اتساعا عن غرف الطابق الأرضي، وهي موزعة على الجهات الثلاث المشرفة على الصحن الشمالية، والغربية،

والجنوبية الشرقية، وأقيمت فيها مشكوات و دكنات(صورة121،ب) تشرف على رواق (مساحة يستعملها قاطني المنزل في الحركة والتنقل)، يبلغ عرضه 2،20م أما الارتفاع فيقدر بـ2،20م، أما طول هذا الرواق فهو 12،70م.(صورة122)

ولحماية مستعملي الطابق الأول من سكان المنزل من السقوط، طوق الطابق الأول بحاجز خشبي يحيط به من الجهات الأربع المطلة على الصحن لا يتعدى ارتفاعه 1،20م، وهو مثبت بين الأعمدة "السرايا" (وهي مربعة البدن حسب الترميمات التي أجريت على السرايا) التي ترفع العقود التي ترفع سقف الطابق الثاني(شكل31أ)، عددها ثلاثة على الجهة الغربية المطلة على الصحن، وثلاثة في الجهة المقابلة، وعلى الجهة الشمالية والجنوبية عقدان، وكلها عقود نصف كروية، تبلغ المسافة بين هذه الأعمدة 2،30م أما ارتفاعها 2م،(صورة123)(شكل31ب) إلا أن هذا الحاجز اندثر ولم يبق له أي أثر، وقد استنتجنا ذلك بمقارنة المنزل بمنزل مجاور له يشبهه في النمط العمراني وهو لأسرة بن حسين، وقد أكد وجوده الأستاذ عبد الغاني. أما الجهة الشرقية فقد استعملت كمرور ورواق يربط بين جانبي المنزل شمالا وجنوبا، وفي نفس الوقت تقسم المنزل إلي جزأين، شرقي وغربي، يبلغ عرضه 1،90م، أما طوله فيبلغ 7،10 م ينتهي بمدخل يؤدي إلي غرفة(صورة124).

نرجح أن القسم الغربي من الطابق الأول، كان يستعمل كجناح خاص بالضيوف القادمين للخنقة، حيث نجده أكثر إتقانا من حيث الزخرفة والتي يدل عليها بقايا الألواح الحجرية المنقوشة بأشكال هندسية ونباتية غاية في الإتقان مازالت مثبتة على نوافذ الغرف والأبواب، وهي تشبه نوافذ القصور العثمانية لمدينة الجزائر⁽¹⁾.(صورة125)

ونرجح أن القسم الشرقي من المنزل أضيف، بعد الإضافات التي قام بها أحمد بناصر على مسجد سيدي المبارك(المدرسة و الدمس والقبة وكذا بناء القلعة) في سنة 1171هـ الموافق لـ 1758م، حيث نجد أن الغرفة الموجودة في الجانب الشمالي للمنزل في الطابق الأول، هي في نفس الوقت هي جزء من سقف الدمس.وفتحت فيها نوافذ تطل علي الشارع.

(1) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق: ص158.

وفتح في هذا الطابق مدخل يؤدي إلى غرفة مستطيلة بها سلم يؤدي إلى الدمس، والملاحظ في هذه الغرفة وجود نوافذ تختلف عن باقي النوافذ الموجودة في باقي أنحاء المنزل، نرجح استعمالها كنوافذ للمراقبة والحراسة نظرا لشكلها الشبيه بنوافذ المراقبة التي توجد في الأبراج والقلاع ونعتقد أنها أضيفت في الفترة الاستعمارية.

وقد وجدت ما يعرف بالمخازن، (صورة 126، أ، ب) وهي ملاحق للمرافق التي تتصل بالحياة الاجتماعية للسكان، فطبيعة الظروف الاجتماعية التي كان عليها سكان المنطقة عموما، وشيوخ المنطقة بصفة خاصة. تقتضي أن يقيموا وينشئوا مخازن عديدة في المسكن، وكانوا يضعون فيها كل ما يقوم عليه معيشتهم. لذلك أستغل البناء جميع النواة المركزية (البئر السلمي) للسلام وكذا الغرف الصغيرة التي عادة ما تكون قرب الحمام والمطبخ، لهذا توجد غرف صغيرة في بداية كل طابق من نواة السلم.

3. السطح: (صورة 127) (شكل 32)

نصل إليه عن طريق السلم الذي يوجد في وسط الدار، ونجد فيه غرفة كبيرة الحجم أعيد ترميمها مفتوحة على السطح فيها ثلاث أبواب وهو محاط بسور ارتفاعه حوالي المتر. و تعتبر السطوح من المساحات التي استغلها سكان المنازل في الجزائر عموما وجعلوها حيزا لعدة أغراض منها على الخصوص:

نشر الغسيل، وعرض الغلال والثمار للتجفيف تحت أشعة الشمس، وعرض الأطعمة للتجفيف، ونشر الصوف للتجفيف المعد لبعض الصناعات اليدوية، بالإضافة إلى قضاء السهرات الليلية في فصل الصيف.

وتعلو هذه الغرفة غرفة أخرى نرجح أنها كانت تستعمل لجمع الأغراض في الصباح أو لتجميع الغلال والثمار المجففة بحث تؤدي وظيفة مخزن علوي.

والملاحظ أن السرايا كانت بها أعمدة شبيهة بتلك الموجودة بالمسجد والصحن، إلا أننا لم نجدها في مكانها. حسب عبد الغاني بن حسين الأعمدة الموضوعة في صحن المسجد جلبت من السرايا بعد انهيار جزء منها، نعتقد أنها كانت مستخدمة في المبني في الطابق الأعلى (صورة 128). كما نجد في الطابق الأرضي عمود يحمل عقدين اسطواني البدن بعد عمليات الترميم بالأجر المصنوع حديثا. وبمقارنته بالأعمدة الموجودة في الإسطبل المجاور

للسرايا والتي مازالت تحافظ على بنائها الأصلي نستنتج أنها كانت عبارة عن أعمدة ذات بدن اسطواني تعلوه أقواس نصف دائرية في أول أمرها قبل عمليات الترميم. ونجدها في الطابق الأول يقع عليها عبء ممر رواق الطابق العلوي، وهي موزعة على الجهات الأربعة.

ثالثا: الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا:

يختلف شكل الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا، حسب أهمية الموقع الذي وضعت فيه. فهي مركبة ضخمة في المداخل الرئيسية إلا أننا لم نجد اثر لهذه الأبواب، واستنتجنا ذلك من خلال مقارنة الباب الرئيسي للمنزل المجاور للسرايا بمدخل السرايا. أما أبواب المتبقية في مكانها فهي خاصة بالمباني الملحقة بالسرايا وهي حديثة الصنع، ويوجد في الغرفة الموجودة في الطابق الأرضي المستطيلة الشكل، باب مخلوع من مكانه مازال يحافظ على هيئته الأولى من الزخرفة والنقش.

وقد استعملت الأبواب في أماكن الاتصال بين المرافق عند بداية الممر الذي يؤدي إلي الغرف العامة للمنزل، كما استعملت للغرف في الطوابق العلوية.

أما النوافذ، فتعددت في مختلف أنحاء المنزل والميزة الملاحظة أنها في الطابق الأرضي للسرايا تطل على الداخل، وهي ميزة تميزت بها المباني الجزائرية الأصيلة ألا وهي قلة احتوائها على النوافذ، خاصة في الطوابق الأرضية وإن وجدت فإنها تفتح على الداخل (صورة 114أ، ب)⁽¹⁾ أما في الطابق الأول فقد فتحت نوافذ على جميع جهات البناء ماعدا المطل على المسجد وهذا يدل على أن الطابق الأرضي كان يستعمل للمرافق العامة والصحية أما الأعلى فكان مقر العيش لأفراد العائلة (صورة 129)، وقد وجدت نوافذ مربعة الشكل مسيجة (مقضبنة بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا) وهي طريقة استعملت في نوافذ القصور العثمانية في الجزائر (صورة 130). وفائدة الهواء هو تهوية الفراغات المعمارية لتأمين احتياج الإنسان فيزيائيا من الأكسجين اللازم للتنفس ويكون ذلك عن

(1) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق: ص 158.

طريق نوافذ وأبواب في محيط الفراغ المعماري وغالبا ما يكون في الأجزاء المسماة جدار المنشأ⁽²⁾.

1. الدمس: (صورة 131)

الدمس وهو عبارة عن رواق وممر ملاصق للمنزل على الجهة الشمالية بشكل موازي، يؤدي للمسجد والرحبة من الناحية الغربية، ومن الناحية الشرقية الشمالية يؤدي إلى المحكمة، وسجن البلدة الملاصقين للمنزل، ويتوج في آخره بمدخل شبيه بمدخل الرحبة، توجد به دكانات شبيه بتلك الموجودة في الرحبة. وقد سقف بالأجر المشوي، واستعملت فيه طريقة البراميل مثل مدخل المدرسة الناصرية وكذا السرايا.

خامسا: أنواع الزخارف المستعملة في مسجد سيدي المبارك والسرايا:

بسبب عمليات الترميم التي تمت على المنزل، والانهيارات التي أصابت المبنى جراء الفيضانات والأمطار و هجرته من طرف ساكنيه. زالت أغلب المعالم الزخرفية التي كان يحتويها، عكس مسجد سيدي المبارك والضريح. و المتبقي منها بعض الزخارف الموجودة على الحجارة التي تمثل اطر للنوافذ والأبواب، منها الزخرفة الموجودة في الجزء الشرقي من السرايا بشكل كبير (صورة 132). والمرجح أن هذا الجناح خصص من طرف شيخ البلدة لضيوف الخنقة. وقد استعمل الجص كعنصر للزخرفة بالإضافة إلى دوره في تقوية وصلابة المبنى، فقد شكلت منها الشمسيات المخرمة كما استعملت الحجارة بشكل رئيس في مختلف عمليات الزخرفة (صورة 133، أ، ب).

1. الزخارف النباتية:

تتنوع بين الغصن والساق والورقة والزهرة والثمرة وتتنوع على كامل المسجد، ومن أهم هذه العناصر الأغصان (شكل 33)، التي أخذت أشكالا ملتوية وحلزونية متناظرة على محور عمودي، إضافة إلى أغصان مرتبة أفقيا، وقد استعملت هذه العناصر من طرف الفنان في زخرفة إطار الباب الغربي التذكاري بالجامع، وأنجزت هذه الزخارف على الحجر بطريقة

(2) رثيف مهنا وبن مجد: المرجع السابق، ص 3.

الحفر البارز، كما يظهر كذلك لدينا عنصر ورقة الاقنثة مرسومة على وجهها تارة وعلى جانبيها تارة أخرى، ومنها حتى الأوراق المطوية، وأيضا الورقة المزدوجة وهي تزين الزليج، والورقة المنفردة مرسومة على جانبها، وهي تزين أيضا الزليج.

العنصر النباتي الثالث الذي يوجد بجامع سيدي المبارك يتمثل في:

الزهرة: تتوعدت منها ذات الأربعة فصوص والزهرة ذات ستة فصوص وثمانية فصوص، تزين إطار نافذة ضريح سيدي محمد بن حسين المواجهة للشارع، وإطار المحراب وإطار الباب الغربي للمسجد (صورة 134، ب، ج). والملاحظ أنها توجد داخل مزهريات غاية في الجمال، ويظهر التأثير العثماني جليا في زخرفة المعالم الإسلامية في خنقة سيدي ناجي. (صورة 135، ب، ج)

فلقد عرفت الجزائر في العهد العثماني تطورا وازدهار كبيرين في المجال الاقتصادي، السياسي والاجتماعي، وقد انعكس هذا التطور على مجال العمارة والفنون. حيث يعتبر الفن في هذه الفترة مزيجا بين عدة أساليب فنية، بالإضافة إلى الطراز المحلي المغربي الذي كان سائدا قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر⁽¹⁾ كما ظهر التأثير الغربي على التحف والصناعات التقليدية والتي كان يمارسها اليهود كصناعة الحلبي والأحجار الكريمة⁽²⁾ كما وصل التأثير الغربي عن طريق التجارة بين أوروبا والجزائر هذه الأخيرة كانت تستورد بلاطات الزليج والرخام من هولندا وإيطاليا⁽³⁾ ورغم أن السكان المحليين كانت لهم أساليبهم الخاصة إلا أنها كانت بسيطة لا ترقى إلى هذا المستوي من الزخرفة والإبداع مثلما نلاحظها في مباني الخنقة رغم أن اليد العاملة البسيطة كانت من الخنقة إلا أن الحرفيين كانوا من خارج الخنقة وخاصة من تونس التي كانت لها علاقات مميزة منذ تأسيسها حيث كانت اتصالات بين الجزائر وتونس خاصة في المجال التجاري حيث كانت تستورد من تونس الزليج⁽¹⁾ كما نجد التأثير الأندلسي والذي وصل عن طريق الأندلسيين الذين استقر البعض منهم بالجزائر

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري الموافق لـ 16م/20م) ج1، 1985، ص144.

(2) المرجع نفسه: ص155.

(3) نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ الجزائر "من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي"، ط2، الجزائر 1965، ص143.

هؤلاء احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم كما امتازوا بفن التطريز والتفنن في العمارة والنقش ومن بين الصناعات التي اشتهروا بها هي صناعة القرמיד الزليج والمجصصات ذات الأشكال والزخارف المختلفة.⁽²⁾

وأهم ما يميز الفن العثماني أنه ذو خصائص فنية متعددة، منها الأسلوب التركي وهو الأسلوب المتأثر بالأساليب والعناصر الفنية الفارسية والصينية، حيث ظهر ما يعرف برسم الحيوانات الخرافية الفارسية، وكذلك رسم النباتات والأزهار والأوراق ذات الأصل الفارسي، كالوريدات والمراوح النخيلية(شكل33) وزهرة اللوتس وشوكة اليهود(تعرف أيضا بالأقنثة) والرمان والأوراق بمختلف أشكالها، وكذلك الأشجار.⁽³⁾

وقد أخذت الأزهار مكانة كبيرة في الزخرفة العثمانية خاصة، زهرة اللالة والقرنفل وأنواع أخرى مثل زهرة الرومان، الياسمين، وزهرة عرف الديك واللوتس، وعادة ما ترسم في المزهريات، هذه الأخيرة اتخذت أشكالاً وأحجاماً متنوعة و زينت بزخارف مختلفة شبيهة بما يوجد بقصر البارود.

نستنتج من ذلك، أن الفنان أولي عناية كبيرة بالأزهار والمزهريات، هذه الأخيرة تفنن في رسمها ومنحها أشكالاً متعددة لتزيد فنههم وأسلوبهم جمالا فنيا رائعا. نجد هذه المزهريات في الإطار الذي يحيط بالباب الغربي للمسجد وإطار المحراب، وإطار الباب الغربي للمسجد. وما يميز الفن الإسلامي انه فن زخرفي، استمد عناصره من الطبيعة المحيطة والروح العقائدية، وقد اتجه الفنان المسلم نحو الارابيسك، فأخذ يتفنن

بالعناصر الطبيعية وذلك باستعمال الأسس الرئيسية والمبادئ العامة كالتوازن والتماثل.⁽¹⁾ وقد اتخذ الفنان العثماني من زهور بلاده مصدرا غنيا لخلق الأساليب الزخرفية النباتية⁽²⁾ ومن بين الزهور التي لقيت نصيبا وافرا من الاستخدام عند العثمانيين زهرة اللالة، حيث غرس في حدائق اسطنبول حوالي ألف نوع من هذه الزهرة وأصبحت تقام لها

(2) ناصر الدين سيعدونى والشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص98.

(3) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، 1940، ص277.

(1) محمد الدين طالو: الفنون الزخرفية، ص11.

(2) سعاد ماهر محمد: الخزف التركي، 1977، ص72.

المسابقات،⁽³⁾ أما الأشجار فقد أخذت شجرة السرو أيضا نصيبا وافرا في الزخرفة لما تحمله من دلالات ورموز، كما استعملت المراوح النخيلية بشكل جد محور ومتناسق في إطار المحراب لبيت صلاة المسجد، وإطار الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك. (صورة 136، أ، ب، ج)

شجرة السرو⁽⁴⁾: (شكل 35) (صورة 137) من بين الزخارف النباتية التي استعملت في الزخرفة بالجامع، شجرة السرو. فلقد أحب العثمانيين هذا النوع من الأشجار ويعرف بالتركية باسم "selui" وكثير غرسه في المقابر، وذلك لما يحمله من رائحة طيبة لمنع الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى، فهو رمز الخلود في عقيدتهم لبقاء خضرة أوراقه طوال أيام السنة⁽⁵⁾

وكذلك شكل هذه الشجرة الرشيقة وطولها وتطلعها نحو الأفق قد يشبه مآذن المساجد⁽⁶⁾ وقد رسمت بشكل بديع بطريقة الحفر البارز على ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك يتوجها هلال حيث رسمت شجرتان تفصلهما نجمة ثمانية الأضلاع وتتبعث منه زهرتا قرنفل وتتوجان بهلال. (صورة 138، أ، ب).

2. الزخارف الهندسية:

وجدت الأشكال الهندسية بكافة أنواعها، و استعملت هذه العناصر بالجامع حيث نجدها تزين داخل المحراب وخارجه (عد صورة 72) و(صورة 139، أ، ب، ج) (شكل 36)، وتكرر نفس الزخرفة على جانبي غرفة المنبر، بالإضافة إلي إطار الباب الشرقي المدخل للمدرسة الناصرية والباب الغربي للمسجد واطر نوافذ بيوت السرايا ومدخل السرايا من ناحية الرحبة. وقد نقشت هذه الزخارف على مادة الحجارة بدقة متناهية بطريقة الحفر الغائر تارة، وتارة أخرى بطريقة الحفر البارز، وتحتوي هذه الزخرفة على الخط أو السطر

⁽³⁾ Arsevan(ce): les arts décoratif, p58.

⁽⁴⁾ هو عبارة عن شجر مخروطي الشكل من النوع الصنوبري، يمتاز بطوله واخضراره طوال أيام السنة، ويجد حوالي أربعة عشر نوعا من شجر السرو خاصة في مناطق البحر المتوسط وآسيا الوسطى وشمال الهند.

انظر: la grande encyclopédie: article "cypies", p708.

⁽⁵⁾ سعاد ماهر: الخزف التركي، ص75.

⁽⁶⁾ Arsevan(ce): op.cit, p60 .

والمثلث والمربع والمستطيل ونشاهد هذه الأشكال الهندسية على النحو التالي:
(صورة 140 أ، ب، ج)

الخط أو "السطر": خطوط مستقيمة ومتوازية ومتقاطعة ومنحنية ومنكسرة (في القوس والأخاديد والزوايا القائمة والحادة، المثلثات والمربعات، والمستطيلات والمعينات).
المثلث: تتنوع منها المتسلسلة والتي تكونها الخطوط المتقاطعة وداخل المربع والموضوعة فوق بعضها البعض. (عد صورة 60)

المربعات: والتي تتكون نتيجة الخطوط المتقاطعة والمنكسرة، والمربع المقسم إلي أربع مربعات والمنقسم إلي مثلثين.

المستطيل: نتيجة الخطوط المتقاطعة والمنكسرة.

المعين: استخدم في أشكال مختلفة، وبشكل متناظر معين داخل معين.

الدائرة: تتنوع، هناك السداسية الفصوص والتي تنتمي إلي مجموعات من خمس دوائر، وذات شكل مروحة ذات شفرات. (صورة 141)

3. العناصر الرمزية الفلكية:

كالأهلة والنجوم، فقد وجدت بمسجد سيدي لمبارك والسرايا ضمن الزخرفة التي وجدت في اطر الأبواب والنوافذ. ويعتبر الهلال من بين العناصر الزخرفية التي تقنن الفنان المسلم في رسمه ونقشه على التحف، وكذا على واجهات المباني العثمانية في الجزائر سواء الدينية منها أو العسكرية أو المدنية.

ورمز الهلال عند المسلمين يختلف مدلوله عن باقي الشعوب، فهو يستعمل لحساب الأشهر القمرية، و به يستدل على بعض التواريخ كالحج وبداية ونهاية شهر رمضان يقول سبحانه وتعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)⁽¹⁾.

ويمثل الهلال عند العثمانيين الإمبراطورية العثمانية، حيث اتخذ شعارا لها حيث نجده يتوج شجرة السرو بشكل تناظري (عد إلي صورة 134 أ و صورة 138 أ)، أما النجوم فظهرت إلي جانب الهلال بمختلف أشكالها وأحجامها منها الخماسية والسداسية الأضلاع والثمانية

(1) سورة البقرة: الآية 189.

الأضلاع، وهي نتيجة تقاطع مربعين (شكل النجوم) ووجدت في مسجد سيدي المبارك والسرايا تزين إطار باب مسجد سيدي المبارك (عد إلى صورة 136، ب و 138 أ)، تتوسطه وريجات رباعية الفصوص موزعة داخل النجم عددها ستة عشر وردة، وداخل المحراب لبيت الصلاة التي تمثل مركز انبعاث الأشعة وهي تمثل الشمس، وهي ثمانية الأضلاع (عد صورة 72). وقد ساد في الفترة الإسلامية عنصر زخرفي يعرف بالأطباق النجمية، وهي عبارة عن عنصر من الأشكال النجمية مختلفة الأضلاع والأحجام، ظهرت في مصر في عصر المماليك،⁽²⁾

وقد ورد في القرآن الكريم إشارة للنجوم في قوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلا الآيات لقوم يعلمون)⁽³⁾ وتتكون نتيجة تقاطع مربعين فيؤدي ذلك إلى نجمة ثمانية الأضلاع أو خماسية الأضلاع نتيجة مثلثين متقاطعين فيما بينهما، على أن يكون أحدهما رأسه إلى الأعلى والثاني رأسه إلى الأسفل، ويعرف هذا النوع من النجمات باسم ختم سيدنا سليمان كما يسمى لدى اليهود باسم نجمة سيدنا داوود. و قد خربت زخرفتها في المسجد.

والسؤال المطروح حول النجمة السداسية (انظر صورة 134 ج) و هو هل توجد علاقة بين هذه النجوم واليهود الذين وجدوا في الجزائر في الفترة العثمانية؟ خاصة وان المنطقة كانت تعرف وجود بعض اليهود في المنطقة يزاولون بعض الحرف التقليدية حتى خروج الاستعمار. أما النجوم الثمانية الأضلاع، فتظهر في طره شريط المحراب وهي ناتجة عن مربعين متقاطعين وبداخلها زهرة متعددة الفصوص، وأيضا في إطار الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك. (انظر صورة 134 ج، 138 أ)

4. الزخارف الكتابية

تتميز المعالم الإسلامية الأثرية في خنقة سيدي ناجي مقارنة بباقي المعالم الأثرية في منطقة الزاب الشرقي، بإعطاء الزخرفة الكتابية أهمية بالغة، سواء في مسجد سيدي المبارك أو السرايا، إلا أن هذه الأخيرة لم يتبقي منها إلا بعض الزخارف النباتية والهندسية. وقد

(2) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 241.

(3) سورة الأنعام: الآية 97.

استعمل النقاش العديد من أنواع الخطوط منها، الخط المغربي والرقعي و المشرقي ، و الملاحظ علي هذه الكتابات بعض الأخطاء الإملائية والسؤال المطروح: كيف يمكن لمنطقة اشتهرت بكونها مركزا علميا يشهد لها، وكذا وجود مدرسة للتعليم وهي المدرسة الناصرية تكون مثل هذه الأخطاء؟، إلا أن التفسير الوحيد لذلك هو عدم تحكم النقاش الذي أكلت له مهمة الزخرفة الكتابية في قواعد وأبجديات اللغة العربية وهم ممن جلبوا من تونس للقيام بهذه الأعمال، إلا أن مثل هذه الأخطاء الإملائية وجد مثلها في القصور العثمانية في مدينة الجزائر، وتتضمن كلمات شائعة في الزخرفة الإسلامية وخاصة بلدان المغرب الإسلامي وهي كلمات (الباقية) و(العافية)، ومثلها تماما تزدان بها بعض القصور في تونس⁽¹⁾. وقد تنوعت الزخرفة الكتابية على الجص والحجارة مثلما نجد ها على يسار المحراب والتي كتب عليها بخط مغربي:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله./

وحده الصلاة والسلام على من لا نبي بعده./

بني هذا المسجد المبارك على يد أفقر الورا./

وخديم شراك نعال الفقرا تقي الجنان./

المستمسك بسنة والد النظر بن./

عدنان الشيخ البركة سيدي محمد بن محمد./

بن الطيب رحمه الله وثبت أجره غفر الله له وجميع./

المسلمين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا ./

هم يحزنون⁽¹⁾ بتاريخ أواسط صفر الخير من./

سنة سبع وأربعين و مائة و ألف./

أما فوق باب مسجد سيدي المبارك على الجهة الشرقية، فنقشت كتابة على ساكف من الحجر نفذت بخط مغربي بأسلوب الحفر البارز (انظر صورة 47 و 90). وتشتمل الكتابة على أخطاء إملائية، كما هو الحال بالنسبة لكلمة السعيد وللمبارك اللتان سقط منهما على

(1) محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 225.

(1) سورة يونس: الآية 62.

التوالي، حرفا الياء و الباء، بينما كلمة اسطي كتبت تارة بحرف الصاد وتارة بحرف السين مما يدل على عدم تمكن النقاش من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية.

وقد ضمت هذه الكتابة عدد من الأسماء تركت بصماتها في هذا المسجد وكذا خنقة سيدي ناجي، منها الاسطي أحمد بن عمر بن الشريف النقاش الذي قام بتركيب وصنع الباب، وأيضا اسم المعمار الذي بني المسجد وهو من أصل تونسي من مدينة صفاقص وإلي جانب هذا الاسم، اسم الشخص الذي وكل إليه نقش الكتابة وهو الاسطي الصديق بن المبروك بالطيب. والمدهش في الأمر هو الدعاء لنفسه بالرحمة. و نفذت الكتابة بطريقة فريدة وغريبة في الوقت نفسه، حيث نقشت الأحاد (11) بالأعداد فوق سنة النون في كلمة سنة، ونقشت الأربعة(4) بصورتها العددية أيضا ولكن لوحدها علي السطر، وأما عدد الآلاف فقد نقش بالأحرف.

أما في غرفة ضريح سيدي ناجي فنجد كتابة أكثر إتقانا ووضوحا عن باقي كتابات المسجد خطها علي باشا عندما كان مختبئا في خنقة سيدي ناجي كتبت بخط نسخ مشرقى استعمل فيه مادة الرصاص (عد إلي صورة87)، أما فوق مدخل الضريح فكتب علي بلاطة من الجص نص يدل على باني مسجد سيدي المبارك وهو احمد بن ناصر(عد إلي صورة178)

خامسا:المواد المستعملة في الزخرفة:

فقد تنوعت، منها الجص الزليج والرخام والحجارة والخشب، حيث استعمل الجص في زخرفة المحراب وإطاره، وجانبي مشكاة المنبر، و شمسيات الجدار الشمالي لبيت الصلاة والضريح، وأستعمل في تلبيس وسائل الدعم والجدران والمئذنة.

الحجارة: استعملت في صنع السواري والقواعد والتيجان، واطر الأبواب و النوافذ في الجامع والسرايا،ونعتقد أنها جلبت من الجبال المجاورة لمنطقة خنقة سيدي ناجي،كما استعملت كأساسات لحماية المباني من فيضانات وادي العرب.(صورة142أ،ب)

الزليج: استعمل في تزيين جداري المحراب والضريح.

الخشب: فنجده استخدم في صناعة المنبر والأبواب والأخشاب التي تثبت وسائل الدعم،وكعوارض بين الجدران لإعطائها صلابة أكثر وتنوعت بين العرعار وسعف و جذوع النخيل في التسقيف(صورة143أ،ب،ج)، وخشب الأرز في صناعة أبواب المسجد

،الباب الغربي للجامع والباب الشرقي للمدرسة الناصرية وباقي الأبواب.كما استعمل في
زخرفة غرفة ضريح احمد بناصر(صورة144)
الحديد:استعمل في زخرفة الأبواب والنوافذ في كل من السرايا والمسجد والمدرسة
الناصرية(عد صورة140أ، ب)
كما نجد مربعات خزفية(انظر صورة86)، استعملت في تكسية و تزيين إطار وساكنف
الباب المدخل لضريح سيدي لمبارك، وكذا النافذتين على يسار ويمين الباب، ملونة بألوان
زرقاء وخضراء ومزخرفة بشكل جميل وألوان مختلفة شبيهة بالمربعات الخزفية التي تزين
قصور العثمانيين في مدينة الجزائر، كقصر عزيزة وخديوج وقصر حسن باشا ومصطفي
باشا⁽¹⁾.وحسب بعض الروايات الشفوية فقد جلبت المربعات الخزفية من ايطاليا وما يرجح
صحة ذلك هو قرب المنطقة من تونس مما ساعد علي وصولها للخنقة بسهولة.
كما استعمل الرخام في محراب مسجد سيدي المبارك ونلاحظ ذلك في التيجان والأعمدة.
(صورة145)

● الاستخلاصات:

(1) محمد عقاب:المرجع السابق، ص253.

من خلال دراستنا النظرية والوصفية، وكذا التحليلية لأهم المعالم الإسلامية لخنقة سيدي ناجي، والمتمثلة في مسجد سيدي المبارك وكذا السرايا. يمكن الخروج بعدة ملاحظات واستنتاجات أبرزها:

- تأسيس خنقة سيدي ناجي جاء كحتمية دفاعية بدرجة أساسية بعد فرار سيدي المبارك من مطاردة الشايبة له في الصحراء .

- ارتباط تأسيسها بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية و الأسطورة.

- إشكالية النسب، و هي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار آخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفى مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان، والثاني إلي الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم .

- أن خنقة سيدي ناجي اكتسبت مكانة مرموقة علميا واقتصاديا في مدة وجيزة في منطقة الزاب الشرقي رغم وجود قرى لها أسبقية الظهور في المنطقة كسيدي عقبة، ليانة وبادس التي كانت مركزا عمرانيا كبير منذ العهد الروماني، ورغم ذلك لم تحقق ما حققتة خنقة سيدي ناجي.

فهل هذا يعود فقط للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها مؤسس الخنقة والزاوية وهو سيدي المبارك ؟

أم أن هذه الأسرة جلبت معها موارد مالية كبيرة أثناء تنقلها من تونس، وهذا ما جعلها تصبح مركز استقطاب للاستقرار السكاني والازدهار الاقتصادي (للحرفيين والتجار).

- أن المنطقة ورغم بعدها عن مقر الحكم العثماني إلا أنها لم تكن بعيدة عن مجريات الأحداث السياسية والثقافية المكانة التي حظيت بها في العهد العثماني من لدن الحكام العثمانيين دون المناطق الأخرى، والذي تجلي في حصول شيوخها على حق جباية الزكاة والعشر في الزاب الشرقي وجبل ششار، وهي حظوة لا يمكن الحصول عليها مجانا خاصة وان العثمانيين كانوا لا يعطونها لأي كان.

- موقع خنقة سيدي ناجي، وهو طريق القوافل بين الصحراء والنل بالنسبة للقبائل الرحل في رحلة المصيف، وكذا طريق الحج الذي كان يمر بها، والذي كان ينطلق من المغرب الاقصى وموريتانيا، وهذا ما شجع حركة التجارة والتبادل التجاري في المنطقة(خريطة11).

- العلاقات الطيبة مع دايات تونس حيث كانت ملاذا للبعض منهم أثناء صراعمهم علي السلطة واستضافتهم، وهذا ما يسمي في لغة اليوم الدبلوماسية "بالجوء السياسي"، هذه المكانة جعلتهم حلقة وصل بين الايالتين التونسية والجزائرية عند حدوث الأزمات. إلا انه من جهة أخرى، كانت هذه المكانة مثار شكوك بايات قسنطينة وعدم الثقة في شيوخ الخنقة، وبذلك كانت خنقة سيدي ناجي منطقة تجاذب بين الايالتين.

- الروابط الثقافية و حتى الأسرية بين أسرة سيدي ناجي و الأيالة التونسية، جعلت المنطقة تتأثر بالنمط العمراني والثقافي التونسي، فقد استفادت الخنقة من دون شك ببعض المظاهر الثقافية والفنية من تونس نظرا للتقارب الكبير الذي كان بينهما. فقد استعان شيوخها في تزيين مسجد سيدي المبارك بصناع تونسيين ماهرين أمثال: أحمد بن عمر التونسي الذي نقش المحراب و الاصطا حسين الذي نقش القبة وعلي بن محمد التونسي وعمر الصفا قسي... إلخ، وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة الخنقة، فنقش مثلا على الباب الغربي للمسجد ما يلي: "ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال سنة 46 ومائة وألف علي يد صانعه أصطا أحمد بن عمر الشريف الجبيلي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفا قسي رحمه الله".

- الزخرفة العثمانية البارزة في معالم الخنقة في المسجد والسرايا، والتي تدل بشكل لا يدعوا للشك أن المنطقة كانت تعيش في رخاء اقتصادي ومالي كبيرين.

- ظاهرة استعمال العقود النصف دائرية، والتي نجدها في اغلب المنازل في خنقة سيدي ناجي إلي يومنا هذا، وهذا يدل أن المعماري في المنطقة أصبح يتحكم في تقنيات البناء بدرجة كبيرة. حيث أصبح يكيف عمران البلدة حسب متطلبات البناء والظروف الزمنية التي تعيشها(صورة145،أ،ب،ج،د).

- ظاهرة استعمال العقود البرميلية على شكل العقود الرومانية والتي استعملت في المدرسة الناصرية والسرايا (شكل 34أ، ب)

- عمليات الترميم العشوائية التي تمت عليها دون دراسة علمية، شوهت هذا المعلم التراثي وأفقده زخرفته وهندسته التي تعود إلي حوالي أربعة قرون خلت (صورة 146أ، ب)

يمكن القول في الأخير، أن مكانة شيوخ خنقة سيدي ناجي الدينية والعلمية جعلت تأثيرهم ينتشر بسرعة في ناحية الزاب الشرقي، وكذا حنكتهم السياسية منذ تولي أحمد بن ناصر المشيخة في البلدة جعلتهم يحتلون هذه المكانة مع مرور الزمن. إلا أن البلدة فقدت هذه المكانة في الوقت الراهن، بعدما أهملت وتعرضت للموت البطيئ بعد هجرة سكانها، وبذلك تعرضت السرايا للسقوط⁽¹⁾

الخاتمة:

لقد تبين لنا من الدراسة الميدانية المتعلقة بالمعالم الأثرية الموجودة في منطقة الزاب الشرقي، استخلاص بعض خصوصيات العمارة الإسلامية المحلية بالمغرب الأوسط، القرون الأولى للفتح الإسلامي والعهد العثماني.

أول ما نلاحظه من هذه الخصائص، أنها عمارة محلية في طابعها ونسقتها العمراني في بدايتها الأولى، إلا أنها تأثرت فيما بعد بالمؤثرات الخارجية الآتية من منطقة الأناضول وبالتحديد تركيا بسبب الوجود العثماني بالجزائر، وهذا ما نلاحظه في عمارة خنقة سيدي ناجي وبالتحديد في السرايا.

كما أن عمارة الزاب الشرقي، اعتمدت في بدايتها على المواد المحلية الصنع في عملية البناء والزخرفة، مثل جذوع النخيل واللبن والجص، ومع مرور الزمن تطورت أساليب البناء وتقنياته، حيث استعمل البناء تقنيات مختلفة عن التقنيات المستعملة محليا ومزجها

(1) هذه الحالة المزرية التي آلت لها خنقة سيدي ناجي في السنوات الأخيرة يعبر عنها ما قاله الشيخ محمد الأخضر السائحي: ويحها كانت كالعروس جلوها *** ليلة العرس في حلي وعقود مالها أقفرت من الحسن حتى*** لتراها مثل الهشيم الحصيد وعلى القصر خيمت في سكون***مثل صمت الدجى معاني الجمود والمقاصير خاويات عواري*** موحشات من الحسان الغيد

بتقنيات خارجية، مستعينا بخبرات خارجية من المناطق المجاورة للجزائر، كتونس مستغلا الروابط التاريخية بين هذه الأخيرة وتونس، كذلك استعان بالمواد التي كانت تجلب للجزائر في العهد العثماني من دول أخرى.

والملاحظ في عمارة الزاب الشرقي، أن المعماري لم يهتم بالجانب الجمالي بشكل كبير، بقدر اهتمامه واحترامه لأسس البناء وقواعده، وهذا ما وجد في مسجد سيدي عقبة.

أما في معالم خنفة سيدي ناجي فنجده قد بدأ يطور مهاراته وتقنياته، وبدأ يعطي الناحية الجمالية حقها من حيث استعمال الحجر والمزج بين عدة مواد وتقنيات في المبني الواحد، دون الإخلال بالنسق العام للمبني، ضف إلي ذلك اهتمامه بالعنصر الزخرفي في المبني لإضفاء الناحية الجمالية عليه، حيث لم يكتفي بالزخرفة البسيطة علي الجص بل تعداه إلي الزخرفة على الحجر ومواد أخرى، كذا تنوع مواضيع الزخرفة، سواء النباتية أو الهندسية وحتى الرموز الفلكية، كالنجوم والأهلة تحت تأثير العمارة العثمانية في الجزائر.

يتبين من ذلك أن النحات المسلم متحكم لدرجة كبيرة عمليات النحت، يتجلي ذلك من خلال التيجان المنحوتة التي توجد في مسجد سيدي المبارك، والتي تتميز بدقتها وجمالها.

أما فيما يتعلق بعمر البناء وسلامته، فقد لجأ معماريو المنطقة إلي استعمال الأسس التي كان البناء يعطيها الأهمية البالغة، بحيث راعي حتى تضاريس المنطقة وتطبيق النوع اللائق بها.

فالمهندسون المسلمون في جميع العصور، كانوا يطورون عماراتهم حسب التطور الحضاري وحسب البيئات. فتصميم المسجد منذ الوهلة الأولى، وضع ملائماً للوظيفة، وأضيفت المئذنة التي لم تكن من ضمن معمار المسجد النبوي فقد كان المؤذن يقف فوق أعلى المنزل، ومنذ اللحظة الأولى كان الأساس في بناء أي مدينة جديدة أن يكون هو الأساس. فنشأ في وسط المدينة ثم تفتح الشوارع على أبوابه، وحول هذه الشوارع تقام البيوت، أما الأسواق فكانت تحيط المسجد.

و من هنا نجد في كل مدينة إسلامية، المسجد الجامع وحوله أسواق. في هذا الإطار نجد مسجد سيدي عقبة وسيدي مبارك لم يخرج عن هذا النمط العمراني للمدينة الإسلامية. وعلى مستوى المنازل نستطيع أن نلمس التأثيرات الإسلامية واضحة في بنائها، فهي تتكون

من فناء في الوسط والكتل حول الفناء المربع، وأكثر النوافذ تفتح على الفناء، والمدخل أيضا جعلوه "منكسرا"، فالمنزل في المعمار الإسلامي إذا ما فتح الباب، فإن الزائر يجد أمامه جدار ومن ثم ينحرف يمينا أو يسارا حتى يدخل، وبذلك إذا فتح الباب فالزائر لا يشاهد من بالداخل ولا تتكشف عورات المنزل. أما النوافذ فمعظمها تفتح على الفناء، و يمكن أن تكون مكشوفة بينما جعلوا النوافذ المطلة على الخارج قليلة.

و الخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة أن عمارة الزاب عموما والزاب الشرقي خصوصا حملت الصفات العامة للعمارة الإسلامية يمكن حصرها كالتالي:

1. من حيث الهندسة والتخطيط

- الاعتماد في التسقيف على القباب والسقوف المعقودة وتكاد تكون القبة العنصر الشائع الذي لا يستغني عنه في العمائر الدينية، والمدنية أحيانا.
- استخدام الصحن أو الفناء المحاط بالأواوين أو الأروقة كعنصر أساسي في تخطيط العمائر بكل أنواعها تقريبا.
- الاعتماد على العقود ذات الأقواس المختلفة والعمد أو العضائد كعناصر أساسية لحمل السقوف.
- العناية بالواجهات وأسوار المباني والاهتمام بالبوابات بشكل خاص.
- مراعاة التقاليد الاجتماعية والدينية في الهندسة والتخطيط، وإيجاد الحلول للتكيف مع البيئة الطبيعية وأحوال الجو.

2. من حيث المظهر العام

- الإكثار من الزخرفة والعناية بالتجميل.
- الميل إلى التنوع في استعمال العناصر، والاعتماد على التكرار في بعضها الآخر.
- توخي التناظر في توزيع العناصر، و الاعتماد على التكرار في بعضها الآخر.

- تجنب تمثيل الكائنات الحية، والتركيز على استعمال المواضيع الهندسية والنباتية، والعمل على إغناء هذه المواضيع وتطويرها.
- تسخير الخط العربي، بعد تطويره وتجميله، في أغراض فنية و زخرفية .

في الأخير نختم هذا العمل بمقولة للباحث غوستاف لوبون:
(يكفي الإنسان أن ينظر إلي احدي البنايات التي أقيمت في دور راق من أدوار الحضارة العربية مسجدا كان ذلك البناء أو قصرا أو أن ينظر إلي ما صنع فيه من أدوات أو خنجر أو جاد قرآن ليبري لهذه الآثار طوابع خاصة لا يتطرق الوهم إليه في أصلها والباحث في مصنوعات العرب كبيرة كانت أو صغيرة لا يري فيها أية صلة ظاهرة بمصنوعات أية أمة أخرى فالإبداع في مصنوعات العرب تام واضح)⁽⁴⁾.

ثبت المصادر والمراجع

⁴غوستاف لوبون:حضارة العرب ص499

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

- الحديث النبوي الشريف.

1. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257 هـ):

• فتوح إفريقية و الأندلس، (تح عبد الله أنيس الطباع)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964

2. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ) :

• فتوح البلدان تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1978م.

3. أبو عبيد الله البكري: (ت 487 هـ)

• المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك، (تح دي سلان) مكتبة الحكومة الجزائر 1857م

4. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) (ت 284 هـ)

• البلدان، نشر م.ج.جوية. ط2، بريل، ليدن 1892م

5. ابن عذارى المراكشي (ت 712) :

● **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (تح ج.س. كولان و ليفي بروفنسال) ط2، دار الثقافة بيروت لبنان، 1980.

6. ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد: (ت685هـ)

● **كتاب الجغرافيا**، (تح إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة2، الجزائر، 1982م.

7. الإدريسي أبو الحسن محمد بن إدريس الحموي (ت560هـ):

● **وصف إفريقيا الشمالية و الصحراء**، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (اعتني بتصحيحه ونشره هنري بيرس)، الجزائر ، 1957م

8. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ):

● **القصد و الأمم** (في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن تكلم بالعربية من الأمم)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350 هـ.

9. محمد بن عبد المنعم الحميري (ت أواخر القرن9هـ):

● **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تح إحسان عباس)، مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1984م.

10. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ (ت 696 هـ):

● **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي (839 هـ)، تعليق إبراهيم شيوخ، جزء1، ط2، مطبعة السنة المحمدية مصر، 1968م.

11. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ)

● **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1980

12. عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ):

● **كتاب العبر وديوان و المبتدأ الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المقدمة، مجلد 06 القسم الثاني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2003م

13. السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن احمد بن أبي الحسن الشافعي (ت911هـ)

● **وفاء الوفاة بأخبار دار المصطفى** جزء1، بيروت، 1971م

14. ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (المعروف بالكرخي ت النصف الأول من القرن الرابع هجري):

● **المسالك و الممالك** (ت محمد جابر عبد العالي الحبي)، مطابع دار القلم، القاهرة، 1981م.

15. الواقي، محمد:

• فتوح إفريقية، مطبعة ومكتبة المنار، ج2، 1966.

16. البر شوي محمد بن علي – الشهير بابن سباهي زاده (ت 997 هـ):

• أوضح المسالك في معرفة البلدان و الممالك، (تح المهدي الرواضية) الطبعة 1، 2006م دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

17. ابن الحاج النميري:

• فيض العباب" وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلي قسنطينة و الزاب" دراسة و إعداد، محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990،

18. محمد بن محمد بن عمر العدوانى من أهل القرن (13 هـ / 17م):

• كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر أحوال والتقلبات السياسية و الاجتماعية لمنطقة المغرب العربي و أصول بعض المدن و القرى ،التحقيق أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي ،ط1، بيروت لبنان 1996م

19. مؤلف مجهول:

• الاستبصار في عجائب الأمصار: تحقيق عبد الحميد زغلول،الدار البيضاء،1985م.

20. أبو العباس أحمد القلقشندى: (ت 821 هـ):

• نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،(تح إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان ، ط3، 1991م.

21. شهاب الدين ياقوت الحموي(628هـ):

•المشترك وضعاً و المفترق صفعاً، دار عالم الكتب، بيروت لبنان ط 2، 1986م

22. محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ):

• إعلام الساجد بأحكام المساجد: تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ط1989، 2.

23. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري(630هـ):

• الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت1967.

24. جلال الدين السيوطي(ت911هـ):

• لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق أحمد عبد العزيز و أشرف عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1991.

25. الحسن بن محمد الوزان الفاسي: (المعروف بليون الإفريقي950هـ):

• وصف إفريقيا ، الجزء الأول والثاني، ترجمة، محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ، 1983م.

26. ابن بطوطة محمد بن عبد الله (ت779):

• تحفة النظر في غرائب الأمصار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت لبنان، 1980.

27. العياشي عبد الله بن أبي بكر (1090هـ):

• الرحلة العياشية، ماء الموائد، ج1، ج2 محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط المغرب ط2، 1977م.

28. حسين الورتلاني (1765ت):

• نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ، ط1، بيير فونتانا، الجزائر، 1908م.

29. عاشور بن محمد:

• منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1، 1914م.

• القواميس والمعاجم:

30. أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور (الإفريقي المصري):

• لسان العرب، المجلد 3، دار صادر بيروت لبنان.

31. الجوهري (عبد الله العلايلي):

• الصحاح في اللغة والعلوم إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، المجلد 1 و2، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت لبنان، 1974م

32. الزر كلي (خير الدين) :

• قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد 5 ط2 دار العلم الملايين، بيروت لبنان، 1995م

33. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي) :

• معجم البلدان، المجلد3، دار صادر، ط2، بيروت لبنان 1995م

34. خور رشيد زكي وآخرون :

• دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 13.

35. الفيروز آبادي (مجد الدين):

•القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار صادر، بيروت لبنان، ط 5، 1996م

•المنجد في اللغة والإعلام، ط21، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م

ثانيا: المراجع:

اللغة العربية:

1. بلحميسي مولاي:

•الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.

2. عبد الكريم عزوق:

•القباب والمآذن في العمارة الإسلامية: ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر 1994م.

3. بن قربة صالح:

•عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991م.

4. بن قربة صالح:

•المنذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م.

5. أحمد توفيق المدني:

•كتاب الجزائر، دار المعارف ودار الكتاب، الطبعة 2، البلدة، الجزائر، 1963م.

6. العربي إسماعيل:

•الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983م.

7. مسعود الخوند :

•الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء 11، طبع لبنان، 1996م.

8. مرتاض محمد:

•الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م

9. كامل بابا:

•روح الخط العربي: دار العلم للملايين دار لبنان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة 1994.

10. ثروت عكاشة :

•القيم الجمالية في العمارة الإسلامية: دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981م.

11. الشيخ الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد):
• تاريخ الجزائر العام الجزء الرابع ط6، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت لبنان، 1983م.
12. سعد الله (أبو القاسم):
• تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر هجري (16-20م) ج1 وج2، ط2 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
• أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد الخامس، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 2005م.
• تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.
13. شافعي فريد:
• العمارة العربية الإسلامية ماضيها، حاضرها، مستقبلها، ط، 1982م، جامعة الملك سعود.
14. شافعي فريد:
• العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاية، الهيئة المصرية للتأليف و النشر، مصر، 1970م.
15. عقاب (محمد الطيب):
• لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1990م.
16. فكري أحمد:
• مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر 1965م.
17. رشيد بورويبة و آخرون:
• الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
18. كارل بروكلمان :
• تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1977م.
19. أحمد مختار العبادي:
• دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان.
20. موسى لقبال :

●المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج (سياسة ونظم)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

21. خطاب محمود شيت:

●قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة و النشر بيروت، لبنان، ط1، 1966م.

22. حسين مؤنس:

●تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن 6 ميلادي إلى القرن 19 ميلادي) المجلد الأول، الجزء الأول، ط1. مطبعة العصر الحديث، بيروت لبنان.

23. حسين مؤنس :

●أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، ط1، م، مطابع تين واه، سنغافورة، 1987.

24. عبد الحليم صيد :

●أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، مطبعة سوف الوادي، ط1، 2000م.

25. محمد الخضري بك :

●محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، الجزء1، دار التحرير للطبع و النشر، 1969م.

26. ثيري جاك :

●تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، (ترجمة جاد الله عزوز الطلحي)، مصراته، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الإعلان، ط1، 2004م.

27. رابح بونار:

●المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م.

28. نور الدين عبد القادر:●

صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، الجزائر، 1965م.

29. زكي محمد حسن:

●الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، مصر، 1940م.

30. ناصر الدين سيعدوني والشيخ المهدي بوعدلي:

●الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

31. محمد عبد العزيز مرزوق:

●الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة بيروت، لبنان.

32. آدم ميتز:

• الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام) الجزء 1 (تحقيق عبد الهادي أبو ريده)، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط1، 1986م.

33. كمال أبو مصطفى:

• جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الوثائقيسي - مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية 1997م.

34. حسين أمين :

• المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم"بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى أحمد فكري (1986م) الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة 1983م.

35. رثيف مهنا وبن مجد:

• نظريات العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

36. محمد الطيب عقاب:

• قصور مدينة الجزائر "أواخر العهد العثماني" دار الحكمة، الجزائر، 1999م.

37. عبد الله كامل موسى عبده:

• المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، موسوعة العمارة الإسلامية، مجلد 1، دار الآفاق العربية.

38. حسن باشا :

• موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مجلد 1، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م.

39. عبد الكريم عزوق:

• القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

40. صالح لمعي مصطفى:

• القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

41. صالح لمعي مصطفى:

42. • الوثائق والعمارة (دراسة في العمارة الإسلامية في العصر المملوكي الجركسي) الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.

43. عبد الحق معزوز ولخضر درياس :

• جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج 1 (كتابات الشرق الجزائري)، مطبعة وتمر الجزائر 2000م.

44. حمودة بن محمد بن عبد العزيز :

• الكتاب الباشي الجزء الأول، الدار التونسية للنشر 1970.

45. عثمان الكعك :

• موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلي الاحتلال الفرنسي) تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 2003.

46. محمد هزاع الشهري:

• المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني 923هـ/1344هـ (دراسة معمارية حضارية) ط1، القاهرة، مصر 2003م.

47. وجدان علي بن نايف :

• سلسلة التعريف بالفن الإسلامي "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين" دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

48. أحمد بن أبي الضياف:

• إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1963.

49. وليام سميتيز:

• أسس التصميم في العمارة، (ترجمة محمد بن عبد الرحمن الحصين): النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1998.

50. أحمد شلبي:

• كيف تكتب بحثاً أو رسالة، دراسة منهجية، ط18، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، 1987.

51. بورويبة رشيد و الدكالي:

• سلسلة الفن والثقافة، المساجد في الجزائر، وزارة الأخبار، مطبعة التاميرا روتوبريس م.م، اسبانيا، 1970.

52. حسن باشا:

• موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، الطبعة 1، 1999.

الرسائل الجامعية

1. شهيبي عبد العزيز:

• "مساجد الزاب ووادي ريغ دراسة أثرية معمارية" رسالة دكتوراه درجة ثالثة، جامعة الجزائر ، 1984م.

2. الأمين عمر:

● "مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ) الموافق لـ (10-12م) للفترتين الزيرية و الحمادية"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية قسم الآثار، جامعة الجزائر السنة 2000م-2001م

3. سعاد سليمان:

● "منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآثار معهد الآثار جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004م/2005م.

4. جميلة معاشي:

● "الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلى القرن 13هـ" دراسة اجتماعية سياسية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1992م.

5. مطروح أم الخير:

● "تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي" (دراسة تاريخية أثرية) السنة الجامعية 94/93 جامعة الجزائر معهد الآثار.

المجلات والمقالات

1. مجلة التاريخ:

● أعمال الملتقى الوطني الأول لمراسلي مركز الدراسات التاريخية الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر العاصمة، النصف الثاني من سنة 1985، رقم 19، ص ص 73-78

2. محمد محمد الكحلوي:

● "المدارس المغربية دراسة أثرية ومعمارية" مجلة العصور، المجلد 6 ج1، (117/71) ص73/72 السنة 1990م.

3. أبو القاسم سعد الله:

● زيارة إلي خنقة سيدي ناجي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد 1980، 3م، ص116.

4. محمد موهوب بن أحمد بن حسين:

● قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، "الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي"، الجمعية الناصرية، دار الهدى عين مليلة، ص ص 17/16 (من 7 إلى 52) الجزائر، 2002.

5. كريمة بن حسين:

● خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، المجلة "التاريخية المغاربية"، منشورات التميمي، زغوان الجمهورية التونسية، العددان 89/90، ماي 1998م.

6. كريمة بن حسين:

● خنقة سيدي ناجي إبان الحكم العثماني، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة

7. عبد الحليم صيد:

"علماء من الخنقة وليانة" الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي "1602م - 2002م" (98 إلى 113) ص 98 الجزائر.

8. خالد محمد مصطفى عزب:

• كتاب الأمة "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، ط1 جويلية/ أوت، 1997، قطر العدد 87 السنة 17، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامي، قطر.

الدراسات:

- "المبادئ العامة لعملية إعادة الاعتبار للنواة القديمة لبلدية خنقة سيدي ناجي"، مكتب الدراسات المعمارية والعمرانية، مديرية السياحة والصناعة التقليدية.
- تحديد وتهيئة منطقة التوسع السياحي خنقة سيدي ناجي "تقييم الوضع الحالي"، مكتب الدراسات التقنية والاقتصادية باتنة، مديرية السياحة لولاية بسكرة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. M.(dallon): note sur la classification du pliocène supérieur de l'Afrique. Bulde le soc. Et de géo et archeol. D'Oran. T.L VXi. 1940.
2. p. (salama) : les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger 1951.
3. Lucien (Golvin): la mosquee ses origines sa morphologie ses diverses fonctions sons role dans la vie musulman plus specilement en afrique du Nort)alger ;imprimiers ,la typo /lithoet jules carbonel Reunies 2 Rue de Normandie,1960 .
4. Lucien (Golvin): le Maghrib centrale a l'époque des Zirides.
5. G. (Camps): la civilisation préhistorique de l'Afrique du nord et de sahra, Ed. Doin, Paris 1974.
6. Gsel(stephane):Atlas archéologique,de L'Algérie ,Cartes au200 000 ème du service Géographique de1,Armée,paris-Alger. feuille48, 49, F/N37
7. Alzonne (clement): Algérie, Fernand nathan, Paris.
8. Rachid (Bouruiba):
 - L'art relegieux musulman en Algérie, S.N.E.D .2Edition, Alger, 1981.
 - Apport de L Algérie a L architecture religieuse Arabo - Islamique .O.P.U, Alger.1986.
 - Les inscriptions commémoratives des Mosquées D'Algérie, O.P.U, Alger, 1986.
 - Anecdotes, récits et contes Maghrébins et, Andalous, Entreprise Nationale du livre, Alger
 - Cites disparues "Tahert,sedrata,Achir,Kalaà des bènihammad",Ministère de L'information ,Alger.

9. Dokali Rachid – Les mosquées de la période Turque a Alger, S.N.E.D, Alger1974.
10. Grandet Denis - Architecture et urbanisme Islamiques, OPU, Alger, 1992.
11. Ratereau(André) :Le Mzab,une leçon d architecture précède ,De l implicite en architecture par Hassan Fekry, Sindibad , Paris,1981.
12. (Marçais)G:L'architecture musulman d'occident.
13. (Marçais)G: le Tombeau de Sidi Okba, Mèlanges d'histoire et d'archéologie de musulman, tome 1, Imprimerie Officielle, Alger, 151-159.
14. (Marçais)G:L'Art Musulman, presses universitaires de France, paris, 1981.
15. Venture de paradis: Alger au 18^{em} siecle, Tunis.
16. la grande encyclopédie: article "cypies"
17. .Marthe.et Edmond Gouvion: kitab Aayane el maghariba, imprimerie oriental Fontana frères, 1920
18. .Grandet (D): Architecture et urbanisme islamique, O.P.U, Alger, 1992
19. Baradaz j:**fossatum Africae** recherche Aérienne sur l'Organisation des confins Sahariens à l'Epoque Romaine Arts et Métiers Graphiques, paris.
20. Arseven celal esad:Les arts décoratifs turcs, istanbul.

Les Revue :

- Gustave. mercier:" Khanguet sidi nadji, quelques inscriptions arabes inédites" In Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique Constantine,1915,135-p165
- Simon;h : "Notes sur le mausolée de Sidi Okba" Revue Afriquane ,1909,vol,53pp27-40
- Jean.despoi: la bordure saharienne de l'algerie orientale" Revue Afriquane", 1942, pp97l_219
- Masqueray: Le Djebel Chachar "Revue Afriquane" ,TXXIII ,Alger ; 1879 .pp69-70.
- Bouruiba .r: note sur les plans des mosquée, pp78-35.

Les études:

- Etude sur la région du zab-cherghi.
- Etudes et documents sur le patrimoine culturel, Conservation des sites et du mobilier archéologiques principes et méthodes, UNESCO.

الخرائطة:	الصفحة:
1 موقع بسكرة بالنسبة للجزائر.....	168
2 الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب وبلاد الأندلس	168
3 إقليم الزاب ضمن مملكة بجاية وتونس في العهد الاغربي.....	169
4 إقليم الزاب تحت النفوذ الاغربي.....	169
5 إقليم الزاب في الوقت الحاضر.....	170
6الموقع الإداري لبلدية سيدي عقبة.....	170
7 المسلك الذي اتخذته الفاتح عقبة بن نافع من طبنة إلى تهودة.....	171
8 القلاع الرومانية التي أقيمت على مصبات الأودية في منطقة الأوراس.....	172
9الموقع الإداري لبلدية سيدي ناجي والبلديات المحيطة بها.....	172
10مسار رحلة الحج والتي تمر بكل من سيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي.....	173

الشكل:	الصفحة:
1:مراحل التوسع العمراني لبلدية سيدي عقبة حسب الرواية المتداولة حاليا.....	173

- 2: عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة 174
- 3: وجود قبر الفاتح عقبة بن نافع و قبر سيدي عسكر المجاور لمسجد سيدي عقبة بنفس المستوى من الأرضية..... 174
- 4: شكل مسجد سيدي عقبة في سنة 1847..... 175
- 4ب: مخطط مسجد عقبة بن نافع من عمل الطالب..... 175
- 5أ: مخطط مسجد سيدي عقبة هنري سيمون..... 176
- 5ب: مخطط مسجد عقبة بن نافع عبد العزيز شهبوي..... 176
- 6: مخطط المسجد النبوي الشريف في بداياته الأولى..... 177
- 7أ: وسائل الدعم المستعملة بين التيجان وأقواس الرواق..... 177
- 7ب: محراب مسجد سيدي عقبة زخرفة تيجان سواري المحراب..... 178
- 8 زخرفة تيجان سواري المحراب..... 178
- 9: رسم تخطيطي للزخارف الجصية المستعملة في محراب مسجد سيدي عقبة..... 179
- 10: تركيب وزخرفة منبر مسجد سيدي عقبة..... 180
- 11أ،ب: رسم تخطيطي لمئذنة جامع سيدي عقبة مع مقطع أفقي للمئذنة..... 180
- 12: رسم تخطيطي للباب التذكاري بجامع سيدي عقبة..... 180
- 13: نماذج من الزخارف النباتية بجامع عقبة بن نافع..... 181
- 14: نماذج من عناصر الزخرفة النباتية المستعملة بمسجد سيدي عقبة..... 181
- 15: نماذج من الزخارف الهندسية بجامع عقبة بن نافع..... 182
- 16: نماذج من الزخارف الهندسية المستعملة في المساجد بالجزائر..... 182
- 17أ،ب: نموذج من الخط الكوفي والنسخي بجامع عقبة بن نافع..... 183
- 18أ،ب: نموذج من الخط الرقعي والتوقيعي بجامع عقبة بن نافع..... 183
- 19: القناة الرومانية التي استغلها سكان الخنقة في الزراعة..... 184
- 20: مسجد سيدي المبارك و المدرسة الناصرية والمقبرة الملحقة..... 184
- 21: بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك..... 185
- 22: صحن مسجد سيدي المبارك..... 185
- 23: أنواع التيجان المستعملة في عمارة خنقة سيدي ناجي..... 186
- 23: صحن مسجد سيدي المبارك..... 186
- 24أ: طريقة وضع الحجارة في عقود عمارة خنقة سيدي ناجي..... 186
- 24ب: شكل العقد النصف دائري المتجاوز..... 187
- 25: الوسائل المستعملة بين التاج والعقد في عمارة الخنقة..... 187
- 26: رسم تخطيطي محراب جامع مسجد سيدي المبارك..... 188
- 27: مقطع طولي لمئذنة سيدي المبارك..... 188
- 28: المدرسة الناصرية..... 189
- 29أ،ب: الطابق الأرضي من السرايا (منزل أسرة بن حسين)..... 189
- 30: يبين الطابق الأول من السرايا..... 190
- 31أ: يبين الطابق الثاني من السرايا..... 190
- 31ب: العقود المتجاوزة في عمارة خنقة سيدي ناجي..... 191

- 32:يبين الطابق الثالث من السرايا.....191
33:المراوح النخيلية المستعملة في الزخارف على أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المبارك.....192
34أ:يبين نماذج من العقود الرومانية.....192
34ب:عقد نفقي استعمل في المدرسة الناصرية.....193
35: شجرتا سرو يتوسطهما هلال.....193

- الصورة:**
1:تصوير جوي لموقع بسكرة بالنسبة للجزائر.....194
2:تمثل بعض البقايا الرومانية التي عثر عليها في المنطقة.....195
3:تصوير جوي لواحة سيدي عقبة.....194
4أ:تصوير جوي لمنطقة تهودة.....196
4ب،ج:تصوير جوي لبقايا مدينة تهودة الرومانية.....196
5:شاهد قبر عبد الرحمان بن حيوة المؤرخ بـ 128هـ.....197
- الصفحة:**

- 6:تصوير جوي لمسجد سيدي عقبة والمركب الإسلامي الذي أقيم بجانبه.....197
- 7:منظر عام لبيت الصلاة بجامع عقبة.....198
- 8ب: بانكة تتوسط بيت الصلاة بمسجد سيدي عقبة.....198
- 9أ:احدي الغرف التي كانت مستعملة من طرف طلبة المسجد.....199
- 9ب:محارات كانت تستعمل من طرف الطلبة في المسجد.....199
- 10:بئر مسجد سيدي عقبة التي كانت تزوده المياه الضرورية.....200
- 11:غرفة ضريح عقبة بن نافع.....200
- 12أ:الباب الشرقي لغرفة باب الضريح.....201
- 12ب:باب غرفة الضريح.....201
- 13:ضريح سيدي عقبة داخل الروضة.....202
- 14ب:مداخل بيت الصلاة بمسجد سيدي عقبة في الجدار الغربي للمسجد.....202
- 14أ:المدخل الغربي لمسجد سيدي عقبة.....203
- 15:النوافذ في مسجد سيدي عقبة.....203
- 16أ،ب:عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة.....204
- 17:أنواع التيجان المستعملة في مسجد سيدي عقبة.....205
- 18:الروابط في مسجد سيدي عقبة.....205
- 19:العقود المستعملة في مسجد سيدي عقبة.....206
- 20:عقد مدبب بمسجد سيدي عقبة يتقدم باب المئذنة.....206
- 21أ:العقود التي ترفع القبة التي تتقدم محراب مسجد سيدي عقبة.....207
- 21ب:عقد نصف دائري تزيينه أحاديد.....207
- 22:محراب مسجد سيدي عقبة.....208
- 23:الأعمدة الثلاثية الملتصقة التي تزين محراب مسجد سيدي عقبة.....208
- 24:الجزء العلوي من محراب مسجد سيدي عقبة.....209
- 25أ:كتابة تزين طره المحراب.....209
- 25ب: الزخرفة التي تزين محراب مسجد عقبة بن نافع من الداخل.....210
- 26:منبر مسجد سيدي عقبة.....210
- 27:الزخرفة التي تزين المنبر.....211
- 28:غرفة المنبر.....211
- 29:قبة ضريح عقبة بن نافع الفهري.....212
- 30:تبين قاعدة القبة التي تتقدم محراب مسجد سيدي عقبة.....212
- 31:القبة التي تتقدم المحراب.....213
- 32:جزء من السقف الأصلي لمسجد سيدي عقبة.....213
- 33:مئذنة مسجد سيدي عقبة.....214
- 34:باب طبنة.....214
- 35:زخرفة الإطار العلوي لباب طبنة التذكري.....215
- 36أ:أنواع المسامير المستعملة في زخرفة باب طبنة.....215
- 36ب:أنواع الزخارف التي تزين باب طبنة.....216

- 37أ: بعض الزخارف التي تزين أبواب المسجد.....216
- 37ب: لوحة شاهدة بالخط الكوفي بدون التنقيط "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله"...217
- 38: بلاطات خزفية على جانبي المحراب.....217
- 39: لوحة شاهدة من الحجر كتب عليها بالخط الكوفي "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله".....218
- 40أ: كتابة شاهدة نقشت على الخشب ثبتت على الجدار الغربي لغرفة الضريح.....218
- 40ب: كتابة تزين طره المحراب في مسجد سيدي عقبة وبعض الزخارف الجصية...219
- 41: الزخارف الجصية التي تزين محراب مسجد سيدي عقبة بن نافع.....219
- 42: عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة.....220
- 43: بلدية خنقة سيدي ناجي صورة جوية.....220
- 44أ: منظر عام لخنقة سيدي ناجي.....221
- 44ب: منظر عام لخنقة سيدي ناجي تتحصر بين الجبال ووادي العرب.....221
- 45أ: المدخل الرئيسي لخنقة سيدي ناجي بعد ترميمه.....222
- 45ب: توضيح خنقة سيدي ناجي في عشرينيات القرن الماضي.....222
- 45ج: رغم المرتفعات التي تحيط بالخنقة أحيطت بسور يحميها من هجمات الأعداء..223
- 46: وادي العرب.....223
- 47: كتابة تأسيسية على يسار محراب بيت الصلاة بمسجد سيدي لمبارك.....224
- 48: كتابة تأسيسية على ساكف باب المدرسة الناصرية.....224
- 49: الاسكوب المقابل لمحراب مسجد سيدي المبارك.....225
- 50: صحن مسجد سيدي المبارك.....225
- 51: الرواق المقابل لجدار القبلة بصحن مسجد سيدي المبارك.....226
- 52: نموذج لأحد الأعمدة الاسطوانية يظهر فيها القاعدة والبدن.....226
- 53: البلاطة الموازية لجدار القبلة بمسجد سيدي المبارك.....227
- 54أ: قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية.....227
- 54ب: قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية.....228
- 55أ: شكل أحد التيجان في بيت الصلاة مسجد سيدي المبارك.....228
- 55ب: تيجان بسيطة مستعملة في صحن المدرة الناصرية.....229
- 55ج: تيجان كورنثية في صحن المدرسة الناصرية.....229
- 56أ: أنواع عقود بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....230
- 56ب: عقد نصف دائري في صحن المدرسة الناصرية.....230
- 57: الوسائل المستعملة في الانتقال بين العقود والتيجان بمسجد سيدي المبارك.....231
- 58: الروابط الخشبية بمسجد سيدي المبارك.....231
- 59: الباب الذي يتوسط الجدار الشمالي لبيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك والذي يدخل للمدرسة الناصرية.....232
- 60: الجزء العلوي لباب بيت الصلاة المؤدي للصحن بمسجد سيدي المبارك.....232
- 61أ: منظر خلفي لأحد الأبواب بمسجد سيدي المبارك مازال على حالته الأصلية.....233
- 61ب: طريقة غلق وفتح الأبواب في مسجد سيدي المبارك.....233

- 62:باب غرفة منبر مسجد سيدي المبارك.....234.
- 63:باب غرفة الإمام على يمين المحراب ببيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....234.
- 64:أقباضتان على باب المدرسة عليها زخارف هندسية.....235.
- 64ب: باب المدرسة الناصرية.....235.
- 65: الباب الغربي لمسجد سيدي لمبارك.....236.
- 66:بويب فتح في الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك يدخل للروضة.....236.
- 67: توضح شكل أحد الأعمدة في فتحة محراب مسجد سيدي المبارك.....237.
- 68أ: شمسيات استعملت في بيت الصلاة بجامع سيدي المبارك.....237.
- 68ب:استعمال الشمسيات فوق المداخل في المنازل في خنقة سيدي ناجي.....238.
- 69:محراب مسجد سيدي المبارك.....238.
- 70أ،ب: نتوء في الجدار الجنوبي لمسجد سيدي المبارك.....239.
- 71أ: الجزء العلوي لمحراب بيت الصلاة.....258.
- 71ب:إفريز من الزخارف النباتية تزين إطار محراب مسجد سيدي المبارك.....240.
- 72:استعمال التناظر لملا الفراغ في محراب مسجد سيدي المبارك.....240.
- 73:الزخرفة التي تزين طره المحراب بمسجد سيدي المبارك.....241.
- 74أ،ب:منبر مسجد سيدي المبارك.....242.
- 75:السكة المستعملة في جر المنبر إلى داخل وخارج المشكاة بمسجد سيدي المبارك.....241.
- 76أ: قاعدة القبة التي تتقدم محراب بيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك.....243.
- 76ب:القبة التي تتقدم المحراب بمسجد سيدي المبارك فتحت في رقبتها نوافذ.....243.
- 77:قبة ضريح سيدي المبارك.....244.
- 78أ:كتابة تأسيسية ثبتت فوق مدخل غرفة الضريح سيدي المبارك.....244.
- 78ب:زخارف جصية تزين سقف قبة ضريح سيدي المبارك.....245.
- 79:القبة التي تعلو ضريح محمد بن حسين.....245.
- 80أ: قبة المقبرة(التربة).....246.
- 80ب:شكل العقود التي تحمل القبة التي تعلو المقبرة.....246.
- 81أ:استعمال العوارض بين التيجان والجدران في صحن مسجد سيدي المبارك.....247.
- 81ب:المواد المستعملة في تسقيف المقبرة تتمثل في جذوع النخيل وأشجار العرعار.....247.
- 81ج،د: طريقة التسقيف المستعملة في المباني بخنقة سيدي ناجي.....248.
- 82:سقف بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك بعد ترميمه واستعمال المواد الحديثة....249.
- 83:الجمال المحيطة ببلدة خنقة سيدي ناجي المصدر الأساسي لمادة التافز.....249.
- 84أ،ب:عناصر الإضاءة المستعملة في مسجد سيدي لمبارك.....250.
- 85:استعمال الخشب في التسقيف في مسجد سيدي المبارك.....251.
- 86:بيض النعام معلقة في بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك.....251.
- 87أ: غرفة ضريح سيدي المبارك.....252.
- 87ب:كتابة شاهدة في غرفة ضريح سيدي المبارك.....252.
- 88:ضريح احمد بن ناصر.....253.
- 89:لوحة شاهدة على ضريح محمد بن حسين علي الجدار الجنوبي للضريح.....253.

- 90: زخارف كتابية بخط مغربي و هندسية ونباتية تزين نافذة ضريح بن حسين.....254
- 91: صورة مؤذنة مسجد سيدي المبارك.....254
- 92: جوسق مؤذنة مسجد سيدي المبارك.....255
- 93: سارية ذات قاعدة مربعة في الشرفة التي تعلو المؤذنة في مسجد سيدي المبارك..255
- 94أ،ب،ج: منظر من شرفة المؤذنة بمسجد سيدي المبارك.....256
- 95: محراب صحن مسجد سيدي المبارك.....257
- 96: كتابة تأسيسية على ساكف باب المدرسة الناصرية.....257
- 97: صحن المدرسة الناصرية المبلط بالأجر الأحمر.....258
- 98أ،ب: المحارات التي كانت تستعمل في المدرسة الناصرية.....259
- 99: تبيين الطابق الأرضي والأول بالمدرسة الناصرية.....260
- 100: رواق الطابق الأول.....260
- 101: المقبرة الملحقة بالمسجد أو ما تعرف "بالتربة".....261
- 102أ،ب،ج: شواهد القبور في مقبرة سيدي ناجي.....262
- 103: شواهد القبور العثمانية في مقبرة الكتانية بقسنطينة.....261
- 104: كتابة شاهدة غير متقنة على احد القبور بالمقبرة.....263
- 105: السرايا قبل عملية الترميم.....263
- 106: منظر عام للسرايا أو منزل أسرة بن حسين بعد عمليات الترميم.....264
- 107: المدخل الرئيسي للرحبة.....264
- 108: منظر عام للرحبة التي تفصل بين مسجد سيدي المبارك والسرايا.....265
- 109: طريقة العقود المتشابكة التي استعملت في تسقيف السقيفة "الرحبة" داخل السرايا.....265
- 110: قبو مخصص للجلوس داخل السقيفة بداخله مشكاة.....266
- 111أ: الرواق المدخل للسرايا.....266
- 111ب: رواق جانبي داخل الرحبة.....267
- 112: دكانات ملاصقة لجدار المسجد وجدار السرايا تخصص للجلوس.....267
- 113: تبيين الصحن والأروقة المطلة على وسط الدار في سرايا الخنقة.....268
- 114أ،ب: غرفة مستطيلة في الطابق الأرضي.....269
- 115: تبيين طريقة البراميل في تسقيف غرف الطابق الأرضي للسرايا.....270
- 116: بئر يتوسط صحن السرايا.....270
- 117: تبيين الأروقة الجانبية في الطابق الأول المطلة على الصحن أو وسط الدار.....271
- 118أ: أحد السلالم الجانبية داخل السرايا.....271
- 118ب: تبيين السلم في الطابق الثاني من السرايا.....272
- 119: منظر الطابق الثاني من قصر السرايا بعد الترميم.....272
- 120: زخرفة نباتية قوامها شجرة السرو وهندسية قوامها الدائرة تزين إطار نافذة في السرايا..273
- 121أ: منظر داخلي لأحدى الغرف في الطابق الأول من السرايا.....273
- 121ب: العقود النصف دائرية المتجاوزة داخل إحدى الغرف استعملت كمشكوات....274
- 122: الرواق المخصص للراجلين في الطابق الأول في السرايا.....274
- 123: العقود المتجاوزة نصف دائرية تطل على وسط المنزل بعد عمليات الترميم.....275

- 124:العقود المتجاوزة في الطابق الأول.....275
- 125أ: نقوش رخامية بأحد أطر النوافذ بدار عزيزة ونجد ما يماثلها في أطر نوافذ وأبواب السرايا ومسجد سيدي المبارك.....276
- 125ب:منظر جانبي يبين الجزء الشرقي من منزل أسرة بن حسين.....276
- 126أ:البئر السلمي يستعمل عادة لتخزين الأغراض.....277
- 126ب:غرفة صغيرة من المحتمل أنها كانت تستعمل كمخزن داخل السرايا.....277
- 127:السطح بالطابق الثاني من السرايا.....278
- 128أ،ب: الحجارة التي استعملت في التيجان والأعمدة بمسجد سيدي المبارك.....279
- 129:استعمال النوافذ في الطوابق العليا من المنزل.....278
- 130:النوافذ المقضبنة و الشمسيات في طوابق العليا للسرايا.....280
- 131:الطريق المؤدي إلي الدمس حيث نلاحظ تقابل الدكنات داخل الدمس.....280
- 132 نافذة في الطابق الأول مقضبنة تزخرف إطارها زخارف هندسية ونباتية.....281
- 133أ:استغلال الحجارة في زخرفة مسجد سيدي المبارك والسرايا.....281
- 133ب:العارضة الجانبية للباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....282
- 134أ:طريقة الحفر البارز وأسلوب تنفيذ الزخارف البارزة في بمسجد سيدي المبارك.....282
- 134ب:ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....283
- 134ج:الزخارف النباتية والهندسية المستعملة في تزيين إطار الباب الغربي.....283
- 134د:زخارف نباتية قوامها وردتان رباعيتا الفصوص تتوسطهما دائرة بها نجمة سداسية.....284
- 135أ:زخارف نباتية قوامها مزهرية تتبعث منها ورود ثمانية وخماسية الفصوص.. 284
- 135ب،ج: مزهرية علي احد الأبواب في مسجد سيدي المبارك.....285
- 136أ:الزخرفة النباتية بطريقة الحفر الغائر قوامها زهرة القرنفل ومراوح نخيلية....286
- 136ب:زخارف نباتية و هندسية تزين قاعدة إطار الباب الغربي بمسجد سيدي المبارك.....286
- 136ج:زخارف نباتية و هندسية وفلكية قوامها الهلال والمراوح النخيلية والأزهار تزين تيجان أعمدة وإطار محراب بيت الصلاة لمسجد سيدي المبارك.....287
- 137 شجرة السرو على إطار أحد نوافذ السرايا.....287
- 138:نوع الزخرفة على ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....288
- 139أ:أشكال هندسية قوامها الدائرة بداخلها أوراق تنطلق من مركز الدائرة.....288
- 139ب:زخارف نباتية و هندسية تزين إطار باب غرفة الإمام.....289
- 139ج:زخارف متنوعة نباتية و هندسية أعلى مدخل الباب المدخل لصحن المسجد....289
- 140أ،ب:استعمال المسامير الحديدية في زخرفة الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك.....290
- 140ج:زخارف هندسية جصية تزين محراب مسجد سيدي المبارك.....291
- 141: طريقة الحفر الغائر في نقش الأشكال الهندسية في أطر النوافذ والأبواب بمسجد سيدي المبارك والسرايا.....291
- 142أ:استعمال العوارض الخشبية والطوب والآجر في مبني السرايا.....292
- 142ب:استعمال الحجارة في البناء لمقاومة السيول الجارفة من واد العرب.....292
- 142ج:تقنية البناء التي كانت سائدة في مباني الخنقة.....293

- 141ب: تاج سارية المحراب بمسجد سيدي المبارك والزخرفة التي تزينه.....293
 143أ: مواد البناء المستعملة في عمارة الخنقة.....294
 143ج، د: منظر سفلي لسلم في أحد المنازل بالخنقة.....295
 144: زخرفة تزين إطار الروضة الخاصة بضريح أحمد بن ناصر.....295
 145أ: العقود المتجاوزة في المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك.....296
 145ب: العقود النصف دائرية التي كانت موجودة في السرايا قبل انهيار جزء منها...296
 145د: تقنية السنبلة في البناء بعمارة الخنقة.....297
 145ج: تقنية السنبلة في البناء بعمارة الخنقة.....297
 146أ: استعمال اللبن والآجر في عمليات الترميم.....298
 146ب: عمليات الترميم العشوائية التي تمت علي السرايا دون دراسة علمية.....298

فهرس الموضوعات

العنوان:	الصفحة:
الإهداء.....	1.....
الشكر.....	2.....
قائمة المختصرات.....	3.....
المقدمة.....	13-4.....
*مدخل عام.....	28-1.....
أولاً: الإطار الجغرافي.....	3-2.....
ثانياً: الإطار التاريخي.....	9-3.....
ج- منطقة بسكرة في فترة ما قبل التاريخ والحقبة الرومانية.....	5-3.....
ح- بسكرة في المصادر والنصوص التاريخية الإسلامية.....	9-6.....
ثالثاً: : الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.....	21-9.....
ت- التعريف ببلاد إفريقية والمغرب.....	12-10.....
ث- الفتح الإسلامي لأفريقية والمغرب.....	21-12.....
رابعاً: مفهوم الزاب ومدلوله الجغرافي.....	39-21.....
ج- الزاب لغة.....	23..21.....
ح- الزاب اصطلاحاً.....	26-23.....
خامساً: دور القبائل العربية من بني هلال في لمنطقة.....	27-26.....
سادساً: ما جاء من أدعية في فضل إفريقية.....	28.....
*الفصل الأول: ضريح عقبة بن نافع الفهري ومسجده.....	74-29.....
أولاً: التعريف بالبلدية.....	34-31.....
خ- الموقع الجغرافي.....	31.....

21.	العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.....	55
22.	العقود.....	55
ج-	العناصر المعمارية.....	55
5.	المحراب.....	58-55
6.	المنبر.....	59-58
7.	نظام التغطية.....	60
62-60.....	1-3 القبلة	
63.....	2-3 السقف المسطح	
66-63.....	8. المنذنة	
69-67.....	د- العناصر الزخرفية بمسجد سيدي عقبة	
69-67.....	3. وصف الباب التذكاري لجامع سيدي عقبة(باب طينة)	
72-69.....	4. أنواع الزخارف الموجودة في المسجد	
69.....	1-2 الزخارف النباتية	
70.....	2-2 الزخارف الهندسية	
72-71.....	3-2 الزخارف الكتابية	
74-73.....	رابعاً: الاستخلاصات	
124-75	*الفصل الثاني:مسجد سيدي المبارك بن ناجي والمدرسة الناصرية	
76.....	أولاً:التعريف بالبلدية	
76.....	خ- الموقع الجغرافي	
76.....	د- الموقع الإداري	
77.....	ذ- إشكالية التسمية	
79-78.....	ر- المناخ السائد في منطقة سيدي ناجي(الحرارة،التساقط،الرطوبة،الرياح)	
81-80.....	ز- اختيار موقع الخنقة	
93-82.....	س- ظرفية التأسيس	
	ثانياً: مسجد سيدي المبارك بن ناجي	
96-94.....	ث- ظرفية التأسيس	
96.....	ج- الوصف العام للمسجد	
97.....	9. بيت الصلاة	
97.....	10. الصحن	

98.....	11. الدعامات والأعمدة
99	12. التيجان
99.....	13. العقود
100.....	14. العناصر المستعملة بين التيجان والعقود
102-100	15. المداخل
102.....	16. النوافذ
.....	ح- العناصر المعمارية للمسجد
104-103.....	6. المحراب
105-104.....	7. المنبر
108-106.....	8. نظام التغطية
112-111	9. المئذنة
113.....	10. الصحن
.....	ثالثا: الأضرحة الموجودة بمسجد سيدي المبارك
110-108.....	4. ضريح سيدي المبارك
110	5. ضريح أحمد بن ناصر
111-110.....	6. ضريح بن حسين محمد بن حسين
.....	رابعا: المدرسة الناصرية
116-114.....	4. ظرفية التأسيس
119-116.....	5. الوصف العام للمدرسة
121-120.....	6. المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك
124-122.....	• الاستخلاصات:
149-125.....	*الفصل الثالث: السرايا(منزل عائلة بن حسين)
128-127.....	• تمهيد
.....	أولا: الوصف العام للسرايا
130-129.....	4. التصميمات العامة
130.....	5. السقيفة
131.....	6. الصحن
132.....	ثانيا : أقسام السرايا
132.....	4. الطابق الأرضي
134-133.....	5. الطابق الأول
135.....	6. الطابق الثاني
136.....	ثالثا : الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا
137.....	2. الدمس

137.....	رابعاً: أنواع الزخارف المستعملة في السرايا ومسجد سيدي المبارك
140-137.....	5. الزخارف النباتية
141.....	6. الزخارف الهندسية
143-141.....	7. العناصر الرمزية الفلكية
145-143.....	8. الزخارف الكتابية
146-145.....	خامساً: المواد المستعملة في الزخرفة
149-147.....	• الاستخلاصات
153-150.....	• الخاتمة
166-154.....	• ثبت المصادر والمراجع
173-167.....	• ملحق الخرائط
193-173.....	• ملحق الأشكال
298-194.....	• ملحق الصور
299.....	• فهرس الخرائط
301- 300.....	• فهرس الأشكال
307-302.....	• فهرس الصور
310-308.....	• فهرس الموضوعات

الفهارس

- 1 فهرس الخرائط.
- 2 فهرس الأشكال الصور.
- 3 فهرس الصور.
- 4 فهرس الموضوعات.

الصفحة:	الفهارس:
167-154.....	9. ثبت المصادر والمراجع.....
173-168.....	10. ملحق الخرائط.....
193-173	11. ملحق الأشكال.....
298-194.....	12. ملحق الصور.....
299.....	13. فهرس الخرائط.....
301- 300	14. فهرس الأشكال.....
307-302	15. فهرس الصور.....
310-308	16. فهرس الموضوعات.....